سلسلة قراءات فى التاريخ القديم

٥

دكتور محمود إبراهيم السعدنى

تاريخ الحضارة المصرية القديمة

(رؤية حضارية)

موضوعات مختارة



سلسلة قراءات فى التاريخ القديم
(٥)

تاريخ
الحضارة المصرية القديمة
(رؤية حضارية)

موضوعات مختارة

بقلم
الأستاذ الدكتور/محمود إبراهيم السعدنى
أستاذ تاريخ الحضارة اليونانية - الرومانية
(ووكيل الكلية لشئون البيئة)
كلية الآداب - جامعة حلوان

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد

اســـم الكتـاب : تاريخ الحضارة المصرية القديمة
اســـم المؤلـف : د./ محمود إبراهيم السعدنى
اســـم النــاشر : مكتبة الأنجلو المصرية
اســـم الطــابع : مطبعة محمد عبد الكريم حسان
رقـــم الإيداع : ٧٧١٦ لسنــة ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-05-2133-7

الإهــداء

* إلي كل مصري ...... على أرض بلدى .....

هذا قبس من تاريخك .... مجدُ أجدادكِ

علّموا العالم فنَ الحياة ،

وأحيوا فيه أخلاق الضمير ،

وبنوا للإيمان ، رموزاً تتحدى الفناء

وعاشوا بسطاء ، زادهم اليقين ،

أوفياء لملوك ، فراعنة ، آلاف السنين .

* فهل كان لهم شبيه تحت السماء :

يؤمن ببعث جديد ، لا بالفناء ؟

* خُذْ ، منه ، زاداً ليومك وغدك ،

وأرفع الرأس ، وأصبر علي بلاء الأقوياء

فلا الدنيا باقية ، ولا مال الجبناء ،

إلا مَنْ رَحِمَ ربنا ، وعَمَل صالحًا ، منيبًا

لرب السماء

أ.د. محمود السعدنى

فهـــرس الكتـــاب

تصدير الطبعة الأولى

القاهرة ٢٠٠٥ م

لما كنت من أشد المتحمسين لإحترام التخصص الدقيق لكل أستاذ جامعي ، ولايمكن أن «يفتي ومالك في المدينة» – حيث تتواجد الآن على أرض مصر كليات عدة للآثار ، وكذلك للسياحة ويتولى التدريس فيها أساتذة وزملاء أجلاء ، لهم باعهم الطويل في التأليف لمقرراتهم الدراسية بخبرات ممتدة سنوات عديدة ، إلا أنني تجرأت على إعداد كتاب في تاريخ الحضارة المصرية ، تلبية لإلحاح شديد من إدارة المعهد العالي للسياحة والفنادق ، بمدينة (٦) أكتوبر ، وفي غياب أساتذة التخصص لسنوات متصلة !!! وذلك إستناداً على خبراتي المتراكمة ، أيضاً ، في :

(أ) عمل رسالة الماجستير (M.A.) في اليونان (فيما بين ٧٤ – ١٩٧٦م) في موضوع (Kefti) حاملي الهدايا اليونان لمصر وفرعونها المجيد تحوتموس الثالث ، في مطلع القرن (١٥) ق.م .

(ب) عمل رسالة الدكتوراه (Ph.D.) في «العلاقات المصرية اليونانية القديمة ، فيما بين ٩٤٥ – ٥٢٥ ق.م» ، وتحديداً في ضوء النحت المصري والمتمصر المكتشف على الأرض اليونانية وتأثير النحت المصري ، آنذاك، على البدايات المتواضعة للفن التشكيلي اليوناني في العصر الجيومتري وحتى الأرخايكي ، فيما قبل إزدهار العصر الكلاسيكي الذهبي لحضارتهم.

(جـ) قمت بعمل بحوث كثيرة – لاتقل عن (١٠) – بلغات عربية وأجنبية وجميعها منشورة في دوريات محلية

ومؤتمرات محلية وعالمية ، حول موضوعات تاريخية وأثرية حول التأثير والتأثر بين مصر واليونان القديمة.

(د) قمت بالإشراف - بحكم التخصص والتدريس لتاريخ مصر إبان العصرين البطلمى والرومانى - على رسائل عديدة ، سواء منفرداً أو بالإشتراك مع أساتذة أجلاء . فى كلية الآثار بجامعة القاهرة ، مثل أ.د. عبد الحليم نور الدين ، ولعل إضافتى الحقيقية لهذا السفر القديم / الجديد : **قديم** فى مادته إستناداً إلى المادة المرجعية الأساسية عند أستاذ أساتذة المصريات أ.د. / عبد العزيز صالح -يرحمه الله - ، **والجديد** فى عرضه ، فى ضوء أحدث الدراسات والإكتشافات ذات العلاقة ، يمكن أن تكمن فى الجزء الثانى من هذا الكتيب الدراسي ، كمقرر طلاب ، حيث تم تسليط الضوء - من خلال دراستين خاصتين بالعلاقات الخارجية المصرية مع جيرانها ، فى الشرق (مع بابل وآشور) ، وفى الغرب مع اليونان وقبرص ، مما يضيف مادة علمية متخصصة ، موثقة بالدليل الأثرى المعاصر لها ، ويكمل رتوش الصورة الحضارية لمصرنا الغالية داخلياً وخارجياً ، آملين أن تنال إستحسان القارىء ، وتفتح شهية الباحث لموضوعات طرحناها ، فى شكل أسئلة - حيناً - وعلامات التعجب أحياناً .

هذا وبالله التوفيق ، وعليه قصد السبيل..

الجيزة - مدينة المبعوثين بجامعة القاهرة

في ٢٠٠٥/٣/٥

المؤلف

أ.د. محمود السعدني

أولاً :

قراءة في تاريخ بعض الأسرات المصرية القديمة

قراءة پانورامية فى تاريخها من حيث :

* أصل سكان وادى النيل .
* المؤثرات الأجنبية ودورها المحدود .
* سبق الحضارة المصرية على العالم أجمع (نماذج فقط) .

التمهيد

(١) مفهوم الحضارة وماهيتها :

يُخلط كثير من المثقفين بين كل ماهو قديم وبين مصطلح «حضارة» ، فيقعون فى المحظور ويخطئون ، حين يظنون ، أن هذا هو ذاك ، وأن كل أثر قديم يمثل إنجازاً حضارياً .

والحق ، أن مصطلح «حضارة» - سواء فى الشرق [١] أو فى الغرب [٢] - له مدلول واحد ، ذو أبعاد متعددة ، وهو :

العيش فى جماعة متحضرة ، تحقق إنجازاً مادياً وفكرياً .

ومنْ ثم ندرك أن هذا الإنجاز البشرى المتنوع والكبير والشامل ، لايمكن أنَ يتأتى إلا لجماعة إنسانية :

(أ) مستقرة ، فى مكان ما ، استقراراً تاماً .

(ب) لها موارد معيشية ثابتة .

(جـ) ولها قيادة إدارية علُيا ، تُعْلِى قيمة الصالح العام ، وتملك المبادرة الشخصية ، والإرادة القوية ، وحسْن التخطيط ، واستغلال الظروف.

وهكذا ، ندرك حجم مسئولية القيادة الواعية ، والعملية ،

---

(١) ففى الشرق ، تُشتق من كلمة : تحضَّر ، أي عكس البداوة والتخلف ، وبالتالى جاءت كلمة «الحَضَر» .

(٢) وفى الغرب ، الأوروبى ، جاءت كلمة "Civilization" من الكلمة اللاتينية : "Civilis" بمعنى "Civilized" ، أى/متحضر ، المأخوذة من "Civis" بمعنى «مواطن» ، يقيم في كيان اجتماعى ووسط جماعة منظمة ، يحدد الحقوق والواجبات .

والطموحة لإتمام الإنجاز الحضارى لأية جماعة بشرية ، مهما كانت إمكاناتها المكانية ، ومهما كانت ظروفها المحلية ، فلا المكانِ ، ولا الزمان ، بل عنصر الإنسان هو أهم ، وأخطر ، وأعظم مقوم من مقومات الحضارة الإنسانية ، وبخاصة القائد ، والزعيم ، أو الملك ، والفرعون .

ودليلنا على ذلك ، أن بلداناً كثيرة ، غنية بمواردها الطبيعية ، من مياه وأرض خصبة وثروات معدنية ، لم تقم على أرضها حضارات ذات بال ، ولكنها ظلت ذات طابع تراثى فقير ، غير متطور . وهنا يمكننا أن نستخدم مصطلحات أخرى – غير «حضارة» – للإشارة إلى إنجازها البدائى (Primitive) الذى لم يتجاوز حدود استخداماتها الضرورية فى حياتها اليومية لقرون عدة متوالية ، ومنْ ثم ، كان مصطلح «تراث : Tradition» ، أو ثقافة : "Culture" ، كإنجاز جزئى إنسانى بسيط، هو الأَوْلَى بالتناول والإشارة لمثل تلك الموروثات لبعض الجماعات الآدمية – مثلما الحال بين بعض القبائل فى وسط أفريقيا وأمريكا الجنوبية – وهو عكس مفهوم «الحضارة» : المتنوع ، والواسع ، والشامل ، على الصعيدين : المادى والفكرى العقلى.

- شـهادات للتاريخ -

(٢) خصوصية "الحضارة المصرية"

إنه إذا كـان مـاقـاله نابليـون بونـابرت ، (عن مـصـر ومكانتـهـا الحضارية ودورها القيادى فى منطقتها ، من ناحية ، وكذلك تأثيرها الكبير على السياسات العالمية) صحيحاً - إذ صرح : «قُلْ لِي مَنْ يحكم مصر ، أقول لك مَنْ يحكم العالم [٣]» .

وكـذلك إذا صحّ تقـدير مؤرخى اليونان والرومـان ، منذ القرون الأولى لإنجازهم الحضارى الهام - فى مشوار تاريخ الحضارة الإنسانية فى قلب العالم القديم - حينما قال :

(أ) هيرودوت (Herodotus) **: [من القرن الخامس ق.م] :**

«إن مصر ، هى أرض مملوكة للمصريين ، وهبة النيل [٤]» .

(ب) استرابون (Strabo) **: [من القرن الأول ق.م] :**

«.. ولمصر خصوصية واضحة : شعب يكدح فى أرضه ، ويعطى لمليكه ، وملك يعدل فى حكمه ، والكل يعمل فى سلام "en eiréne" [٥]» .

---

(٣) هذا القول مأخوذ عن لسان د./ وسام السيسى ، الطبيب العالم المصرى الغيور على بلده وتاريخها عن برنامج «شاهد على العصر» - مساء الثلاثاء ٢٠٠١/٢/٢٠م - للإذاعى الناجح/عمر بطيشة .

(٤) وهذه هى الترجمة العربية الأمينة ، والحقة ، للنص اليونانى الأصلى (الكتاب الثانى) والقول الشائع المختصر : «مصر هبة النيل» - غير سليم وجاء نتيجة لترجمة غير أمينة من أصحابها!!! .

(٥) وتلك ترجمة ، لنا ، أيضاً ، عن النص اليونانى الأصلى ، من طبعة "Loeb" العالمية ، من «جغرافية» استرابون ، التى ترجمها المرحوم / وهيب كامل ، لأول مرة ، فى الستينات .

(جـ) ديون كاسيوس [٦] (Dio Cassius) :

«إن منْ يستولى على مصر ، يستطيع أن يقهر روما بمجاعة [٧]» .

وكان تاكيتوس (Tacitus) ، من قبله ، قد أكد المعنى نفسه حين قال : [فى تبريره لخطوات أغسطس الإدارية للاستئثار بمصر] :

«خشية أن يحتل أحدٌ تلك الولاية ، ومفتاحى البر والبحر ، ولو بحامية بسيطة ضد جيوش ضخمة ، فيصيب إيطاليا بمجاعة [٨]» .

فإذا كان كل ذلك صحيحاً ، وشهادات مثقفى الزمن الماضى ، وكذلك سياسة قواده ، سليمة ، وتقديراتهم حكيمة ، **فإن الإنجاز الحضارى المصرى يصبح ، بحق ، ذا خصوصية شديدة ، تصل إلى حد التفرد ، والعظمة ، على غير مثال .**

وليس هناك ، (فى التاريخ القديم ، من دلالة أعمق على صدق كل أولئك ، [حيث «وشهد شاهد من أهلها» – بالحق – كشاهد عيان ، له الأولوية ، دائماً ، للحكم على الأشياء ، وبخاصة فى قضايا خلافية بين الناس ، فى زمان ما ، ومكان ما ، لا نملك نحن اليوم ، لا الوسيلة ولا الدليل ، على درجة مصداقية تلك الأحداث التى مرت عليها قرون

---

(٦) مؤرخ رومانى ، ورجل من رجالات السياسة والإدارة الرومانية ، فى القرن الثانى الميلادى ، وسجل فى تاريخه "Bibliothékc" ، أحداثاً كثيرة عن مصر، ونهاية الملكة البطلمية على أيدى الرومان وغزوهم لمصر ، عام ٣٠ ق.م.

(٧) ويقصد احتكاره لتجارة القمح بها ومنعها عن روما ، التى كانت – كما كان القمح المصرى لأثينا ، فى القرن (٥) ق.م – سلعة استراتيجية . راجع كتابنا/تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، (موضوعات مختارة) ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ص١٥١–١٦٠ .

(٨) وهو مؤرخ رومانى ، من الطبقة الأرستقراطية النبيلة ، وأكد فى تواريخه (Tacitus) على أهمية تعداد سكان مصر الكبير ووفرة قمحها . Historiac, I : 11 .

عديدة ، وأصبحت فى غياهب الزمان ، وبحور النسيان)] من وقوع هذه الأحداث التاريخية الآتية :

(١) يكتفى الإسكندر الأكبر بها – دون غيرها فى إفريقيا كلها – ويعامل أهلها بكل ود وتقدير ، بل ويجاملهم فيحتفل معهم ، وليس الزي المصري؟....... ، ويقدم القرابين إلى آلهتهم ، فى منف ، تعظيماً لقدر حضارة مصر [٩] .

(٢) يقوم بطلميوس [١٠] (Ptolemaios) بن لاجوس ، باقتناصها – دون بقية ولايات إمبراطورية الإسكندر – فى عام ٣٢٣ ق.م ، ويدافع عنها باستماتة ضد كل رفاقه المقدونيين الطامعين فيها ، ويدخل هو وخلفاؤه من بعده فى حروب ستة قاسية ، كلفتهم الكثير، حقداً وحسداً بينهم ، على المملكة البطلمية فى مصر ، حيث كانت الإسكندرية القديمة ، آنذاك ، وحوالى عام ٢٠٠ ق.م ، بشهادة رجل سكندرى غيور على مدينته :

«أعظم مدينة فى العالم القديم ، وهى الدنيا كلها ، وما الأرض إلا تخوماً لها، وما المدن الأخرى إلا قرى لها[١١]» .

(٣) يتّخذ منها أغسطس (Augustus) – إمبراطور روما الأوحد منذ عام ٢٧ ق.م – ضيعةً خاصةً له ، طمعاً فى ثرواتها ، وإستغلالاً

(٩) راجع كتابنا / تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان (المرجع السابق) ، ص ص٧٤-٧٦ .

(١٠) أحد أكبر قادة الإسكندر الأكبر ، وأقربهم إلى قلبه ، طيلة حملته على الشرق القديم (٣٣٣ - ٣٢٣ ق.م ، ويُقال أنه كان أخاً ، غير شقيق للإسكندر المقدونى(!!!) .

(11) Tarn, w.w., Hellenistic Civilization, 3 rd ed., Great Britain (London), 1975, Chap. 5. & Papy. Berlin : 130451-28.

لطيبة شعبها وسماحتهم ومسالمتهم ، وخوفاً من مكانتها ، وذلك فى إجراء سرى ، غير معلن ، وخلافاً لما خلدّه فى أثره ولوحة انتصاراته : Res Gestae ، حينما قال - بدهاء شديد لإرضاء الناس - Aegyptum imperio populi romani adieci بمعنى «لقد ضممتُ مصرَ إلى أملاك الشعب الرومانى [١٢] » .

(٤) قيام الوالى الرومانى لمصر ، دوميتيوس دوميتيانوس (Domitia-nus) ، فى عام ٢٨٤م ، بالإستقلال بمصر - دون بقية الولايات الرومانية - عن سيادة روما له، وإعلان نفسه ملكاً عليها ، مما أجبر الإمبراطور الرومانى شخصياً ، وهو دقليديانوس ، أن يأتى مسرعاً ويحاصر الأسكندرية مالايقل عن (٦) أشهر وينجح فى القبض على دوميتيانوس وقتله .

وهكذا تتحقق مخاوف أغسطس ، فعلاً ، ولكن بعد مرور أكثر من قرنين ونصف من الزمان ، مما يؤكد صدق تقديراته ودقة حساباته ، منذ ذاك التاريخ البعيد.

ثم ، أخيراً ، ليس هناك أقوى وأعظم وأخلد من شهادة رسولنا الكريم - عليه الصلاة وأفضل التسليم - سيدنا محمد بقوله : «أوصيكم بمصر خيراً ، فإنهم خير أجناد الأرض» ، وكذلك ذكر القرآن الكريم لها، فى حوالى (١٤) موضعاً . أليس - فى ذلك كله من شهادات التاريخ - من دليل خالد على خصوصية مصر ، وتفرد المصريين؟!!!

---

(١٢) حول التفسير الصحيح لتلك العبارة الغامضة ، وحقيقة وضع مصر الفريد لولاية رومانية ، راجع بحثنا فى / المرجع السابق ، ص ص١٥١-١٦٣ .

قضايا خلافية :
(٣) أصل السكان

يقول سيريل ألدريد [١٣] (C. Aldred) – فى معرض حديثه عن محدودية تأثير المستحدثات الأجنبية على الإنجاز المصرى الكبير ، والمتنوع ، والمصرى الخالص طبقاً للظروف المصرية وطبيعة الشعب المصرى العملى المكافح :

«وقصارى القول فإن المستحدثات التى تسربت إلى الحضارة المصرية ، فى ذلك العصر (ويقصد ماقبل ٣٢٠٠ ق.م) ، كانت مجرد مبادئ وأفكار ، ولم تكن أسلوباً عاماً كاملاً . وهذه المهارات الحديثة (ويقصد بعض الزخارف والأشكال وكذلك الأختام الأسطوانية) التى وفدت إلى مصر ، فى ذلك العصر ، وجدت أرضاً خصبة للإنتشار والتطور ، إذ سرعان ماتم إمتصاصها ، وإفرازها ، بعد تمصيرها أو تكييفها ، طبقاً للظروف المصرية ، على أيدى شعبٍ منوثبٍ ، ومتحمسٍ ، ومستعدٍ للتطور والتغيير» .

أى أنه لولا هذا الشعب المصرى القديم ، فى دلتا مصر وصعيده ، بمواصفاته السابقة الذكر ، أى :

(أ) متوثب .　　　(ب) متحمس .　　　(جـ) مستعد .

لتلقى ومجاراة أى تطور وتغيير ، لما كان من الممكن أن يكون

---

(١٣) فى كتابه : الحضارة المصرية ، ترجمة وتحقيق/مختار السويفى ، ومراجعة وتقديم الدكتور/أحمد قدرى (يرحمه الله) ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ط/١ (١٩٨٩) ، ص٦٦.

هذا الشعب هو أصل الحضارة الإنسانية ، بمعناها الواسع ، ونشاطاتها العديدة ، وسبْقه المؤكد لكثير من نواحى الحياة والإبداع البشرى .

والحق أن أصل هذا العنصر السكانى المصرى القديم يصعب ، بل ويستحيل - الآن - أن نكون على يقين علمى من جذوره الأولى ، ومصادر هجرته قبل نزوحه إلى وادى النيل . وذلك لعدة أسباب :

(١) لم يكن التسجيل ، من أى نوع ، قد بدأ ولم تكن الكتابة قد عُرِفت بعد .. ومن ثم لانملك دليلاً على أصل الهجرات .

(٢) ليس هناك دليل أثرى يقينى ، من أى نوع ، يؤكد أصل السكان ومناطق هجراتهم الأولى .

(٣) ثم - أخيراً - لاتوجد أية بقايا آدمية كاملة - لمومياء مثلاً - تعطينا صورة كاملة لملامح وسمات الإنسان الأول المصرى القديم الذى نزل إلى الوادى - من الهضاب القريبة (شرقية أو غربية) وسكن على ضفتى النيل وبنى قراه بجواره :

(أ) ليزرع أرضه الخصبة ، السهلة الفلاحة .

(ب) وليشرب من مائه العذب ، الدائم الجريان .

(جـ) وليتقوَّت على بعض أسماكه ، السهلة الصيد .

ولهذا كله ، كان الإستقرار - للمصريين القدماء - يمثل نقطة التحول الأولى لتلك الجماعات المبكرة (؟!!) - غير المعروفة الأصل [وإن كنا نرجح الأصل الآسيوى لسكان الدلتا ، والأصل الإفريقى لسكان الصعيد ، وذلك فيما قبل ٣٢٠٠ ق.م. - أى قبل أن تتم الوحدة بين عناصر الشمال والجنوب ، تحت إمرة ملك أو فرعون واحد للبلاد جميعاً، ويتم التزاوج والاختلاط بين عنصرى الشعب المصرى الواحد

بمباركة من الحاكم الأوحد للبلاد كلها] ...

وإنه لمن المؤكد (كما فى كل الحضارات الإنسانية الأخرى فى منطقة شرق المتوسط : فى العراق ، وسوريا ، وتركيا ، واليونان) أن أصل السكان الأول لكل تلك الحضارات سيظل قضية خلافية بين العلماء إلى أن يتم العثور على مومياء كاملة ، يمكن تأريخها بتلك الفترات المبكرة من تاريخ هذه الحضارة أو تلك .. ذلك لأن الجماجم وحدها – (كما هو معروف فى علم الأنثروبولوچيا [١٤]) لاتكفى لتفسير كثير من سلوكيات الإنسان ، كما لاتكفى للتعرف على أصل عنصره ومصدر هجرته الأول، ولاسيما أننا لم نعثر على جماجم كثيرة ، فى أماكن عديدة ، من العالم القديم، ويمكن تأريخها بزمن معاصر لبعضها البعض ، حتى يمكن عقد مقارنات بينها(؟!!!)– وهذا لم يحدث حتى الآن .

(٤) مظاهر السَّبْق الحضاري المصري

لقد كانت الكتابة المصرية القديمة ، بحروفها الأولى فى حضارة نقادة نقلة نوعية كبيرة ، تؤكد حرص المصرى القديم على أن يحفظ أفكاره وينقلها إلى الآخرين ، لمزيد من الفهم المتبادل .

ولم تأت العلامات الهيروغليفية للغة المصرية القديمة من وحى الخيال ، بل من الواقع المصرى المحيط بالفلاح ، والعامل ، وأرباب

(١٤) علم الأنثروبولوچيا (كلمة من أصل يونانى ، من جزئين : Ánthropos إنسان ، و Logos بمعنى «علم» ، وبالتالى فإن كلمة "Anthropology"، ومرادفاتها الأوروبية ، تعنى : علم بقايا الإنسان وأصل السكان .

الحرف الأخرى ، ومظاهر أخرى عديدة من الحياة اليومية .

ولعل أبرز مثال على ذلك هو استخدام علامة «حمْ» ، التى تشبه أداة الثقب (المثقاب) ، الذى يستخدمه الحجّارون فى ثقب وتفريغ الأحجار [١٥] .

وكذلك علامات «أمشى» = «....» ، كأرجل تتحرك فى إتجاه ما. فضلاً عن استخدام أشكال «الذراع» «....» واليد «....» والحبل «....» والرغيف : «....» والبيت: «..(..» .. إلخ [١٦] .

(١٥) والمفاجأة الحضارية الرائعة ، هى وجود هذا المثقاب - حتى اليوم لدى نحاتى المرمر فى البر الغربى (القرنة) ، الذين يصنعون القازات الحجرية اليدوية المطلوبة - بشدة - من السياح الأجانب لأنها : "Hand made" إنها هى مصر الحضارة ، والخلود الأبدى !!!! أنظر : سيريل ألدريد ، الحضارة المصرية ، ص٧٢ شكل ٢٩ .

(١٦) قارن لوحة جدارية - علي الحجر الجيري ، لأحد جدران المعبد الجنائزى للملك بيبى الثانى (الأسرة السادسة) ، حيث بلغت العلامات قمة عالية من الإتقان .

المرجع/سيرج سونيرون (S. Sauneron) : كُهان مصر القديمة (مترجم عن الفرنسية) ، القاهرة .

موجـــــز

مراحل تاريخ الحضارة المصرية القديمة وأبرز أحداثها

* مصر بلد مستقر ، خطوطه دائماً متشابهة ثم هو ذو شمس لاتحتجب أبداً ونهر يتدفق كل عام ليفيض على جانبيه ويهب لهم الحياة . هذا هو الإطار الذى يشكل الروح المصرية وخلق فيه ميوله الأصلية فى الفن والفكر وأسلوب الحياة ووسائل التعبير . كل أولئك يتسم فى هذا البلد بالبساطة والانسجام فلم يختلف شئ فى مظهره وفى نظامه الأبدى عما كان عليه منذ البداية ومن هنا بدأ عصر الأسرات .
* منذ عام ٣٢٠٠ - ٢٨٠٠ ق.م حيث تاريخ جلوس الملك مينا على عرش مصر وظهور الأسرة الثالثة (زوسر) ومن أهم الوقائع الدينية بناء هرم زوسر المدرج وبداية العمارة الحجرية .
* ٢٧٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م حيث حكم الأسرة الرابعة (خوفو - خفرع - منكاورع) وأهم الوقائع الدينية بناء الأهرام ومصاطب الأفراد بالجيزة .
* ٢٦٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م فترة ظهور الأسرة الخامسة وفيها تم بناء أهرام صغيرة بسقارة وهيلوبوليس وبداية ديانة الشمس .
* ٢٤٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م حكم الأسرات من ٦-١١ وكانت هذه نهاية الدولة القديمة وعصر الاضمحلال الأول (أو / الإنتقال الأول) وهو عصر إزدهار الديانة الأوزيرية التى أصبحت أبيدوس مركزاً لها وأثناء هذه الفترة ظهرت متون التوابيت.

* ٢٠٠٠ – ١٧٥٠ ق.م الأسرات ١٢–١٤ (الدولة الوسطى) وأشهر الملوك فى ذلك الوقت أمنمحات وسنوسرت وتميزت هذه الفترة بظهور أهرام الفيوم فى بحيرة موريس – اللابيرانث – ظهور الإله آمون – الإهتمام بآلهة الفيوم ، والمشروعات الزراعية بها،
* ١٧٥٠ – ١٥٨٠ ق.م عصر الاضمحلال الثانى واحتلال الهكسوس مصر (الرعاة) ثم النهوض مرة أخرى وفى ١٥٨٠ ق.م ظهرت الأسرة ١٨ . ومن ملوكها امنحتب وتحوتمس وتميزت هذه الفترة بزيادة السلطان الزمنى لآمون إله طيبة ، وتكوين الإمبراطورية المصرية فى سوريا
* ١٣٧٥–١٤٤٣ ق.م مازال الحكم للأسرة ١٨ وأشهر ملوكها امنحتب الرابع ، أخناتون ، نفرتيتى ، توت عنخ آمون وفيها ظهر فن العمارنة[١٧] وكانت العبادة الوحيدة لأتون قرص الشمس . وفى عام ١٣٤٣ ق.م ظهر القائد حور محب وحدثت ردة إلى المذهب الأصيل .
* ١٣١٤–١٠٨٥ ق.م الأسرتان ١٩ ، ٢٠ وهو عصر الرعامسة وفيه زاد الاهتمام بالآلهة ست وزع رب هليوبوليس وبتاح رب منف .
* ١١٠٠ ق.م أواخر عصر الرعامسة وانتهت هذه الفترة بنهب المقابر الملكية واستيلاء كبار كهان طيبة على السلطة واتسمت هذه الفترة بظهور الملوك الكهان والأسرات الحاكمة فى الدلتا مما أدى إلى ظهور التنبؤات والمراسيم الإلهية ونمو طوائف الكهان المحليين وبخاصة فى الدلتا .

(١٧) راجع كتابنا ، تاريخ الفن القديم ، الأنجلو ٢٠٠٤ ، ص ص ٧٠ – ٧٦ .

* ٣٧٠-٦٦٣ ق.م فى عام ٧٣٠ ق.م حدث الغزو الأثيوبى وكان عام ٦٦٣ ق.م بداية الأسرة ٣٦ (الصاوية) وإعادة غزو البلاد حيث بدأ الأشوريون يخربون طيبة وزاد الاهتمام بأرباب الدلتا (نبت) و (إيزيس) و (أوزيريس) والعودة إلى القديم .
* ٥٢٥ ق.م حدث الغزو الفارسى وتميزت هذه الفترة بتزايد الاهتمام بتقدير الحيوانات المقدسة والسحر الشعبى .

مظاهر بعض السبق الحضارى المصرى القديم

(أ) الهندسة والعمارة :

بالرغم من أن الأدوات التى كانت فى متناول رجال العمارة المصرية كانت أولية (ميزان – خيط – مثلث) فقد كان مستوى البناء يثير الإعجاب إذ كان المهندسون يحصلون على الخط المستقيم فى أساس مبانيهم بحفر خندق الأساس حتى مستوى مياه الرشح أو عن طريق خلق مستوى صناعى فى حفرة تبطن بالطَّفل ثم ينقلون هذا المستوى الأفقى على الجدران ولإتمام ذلك كانت المهارة الفنية والحرص يحلان محل الآلات الدقيقة .

إن معرفة الاتجاهات الأصلية كان لها دور وأثر كبير فى إقامة مبانيهم إذ أن إنشاء كل بناء كان يبدأ بالنظر فى الكواكب ومراقبتها كما أنه قد عثر كذلك فوق بلاطات الأساسات الخاصة بمختلف القاعات على طائفة من خطوط تحدد محور البناء. وليس هناك ، فى العالم أجمع ، ما ينافس ضخامة المعابد المصرية .

(ب) العقاقير والصيدلة :

كان هناك معرفة بالعقاقير وصفاتها برغم ماكانت تقتضى صناعتها من أساليب فنية لها طابع خاص وأن خزانة الكتب فى معبد «إدفو» تشير إلى أنها كانت تضم كتاباً فى معرفة كل أسرار المعمل ولم تخلُ المعابد فى بعض الأحيان من معامل صغيرة تستخدم كمخازن للمواد زكية الرائحة مثل معبد «الكرنك» - فى الأسرة الثامنة عشر - ومعبد «إسنا» فى العصر الرومانى .

(جـ) النحت :

تعتبر تماثيل الآلهة والفراعنة ، طيلة التاريخ المصري كله بمثابة أحد أهم مظاهر حضارة أرض النيل ، ذلك لأكثر من سبب ، تتفوق به على غيرها من فنون النحت الأخرى لدى الشرق أو الغرب القديم :-

(١) ضخامة أحجامها ، بشكل لافت للنظر ، مما جعلها من أشهر تماثيل العالم القديم قاطبة فى نوع «النحت العملاق Monu-mental Sculpture ويكفى تدليـــلاً على ذلك تماثيل أبى سمبل، فى واجهة المعبد ، أو جزء الكتف والصدر لرمسيس الثانى ، فى صالة معبده فى هابو ، والتى يصل وزنها إلى أكثر من ١٠٠٠ (ألف طن».

(٢) صلابة أحجارها ، إذ كانت تُصنع ، فى أغلبها ، من أحجار قوية مثل الجرانيت الأسوانى ، حيث صنعت منه المسلات ، وكقطعة واحدة دائماً ، يصل إرتفاعها إلى أكثر من ٢٠ متراً .

وكان لزاماً - لإشتراك أعداد كبيرة من العمال والفنانين فى

صناعة التمثال الواحد ، أن يخترع المثال المصرى تكنيكاً هندسياً ثابتاً لتستقر المعايير ، وكان Cannon II, Canon I على أساس حجم قبضة اليد الواحد (Grid) ..[١٨] .

(د) الكتابة : -

إنه ليس من قبل المبالغة أو التعصب الوطنى لحضارة الأجداد الأوائل ، رمز الفخار المجيد بالماضى التليد بين أجيال اليوم التائهة بين شرق وغرب ، ولكنه إحقاقاً للحق التاريخى على كل دارس للحضارات القديمة ، ولاسيما فى منطقتنا ، فى الشرق القديم ، أن نقول :

لم تترك حضارة ما ، فى العالم القديم كله ، آثاراً مكتوبة ، أى سجلات ، مثلما فعلت الحضارة المصرية القديمة .

إنك لتدهش ، حقاً ، من الكم المهول للكتابات المصرية القديمة على كل شئ من آثار الفراعنة :

(أ) **فوق الجدران** : فى المعابد أو المقابر .

(ب) **فوق الأعمدة** : فى المعابد أو المقابر .

(جـ) **على التماثيل** : فى كل العصور وفوق كل الأحجام .

(د) **على الأثاث الجنائزى** : مهما كانت المادة المصنوع منها .

(هـ) **فوق المومياوات** : استغلالاً للمساحات الكبيرة ، من البردى ، للغلاف الخارجى لها .

---

(١٨) راجع كتابنا ، تاريخ الفن القديم ، الأنجلو المصرية ٢٠٠٤ ، ص ص ٢٢ - ٢٤ وكذلك هاريس ، تراث مصر ، (ترجمة د. / صالح بدير) الهيئة العامة للآثار ، القاهرة ،٢٠٠٤ ، ص ص ٧٥ - ٩٨ .

(و) **على الأوشابتى** [١٩] : مئات التماثيل الصغيرة المصاحبة للمتوفى.

وإنك ، كذلك ، لتعجب أشد العجب حينما تتأكد استمرارية وانتشار تلك الظاهرة الفذة ، وذاك الحرص الشديد عليها ، حتى بين الطبقة العاملة ، متوسطة الحال ، وأنها لم تكن حكراً على الأثرياء القادرين على دفع أجور النحاتين ، والخطاطين ، والرسامين ، وليس أدل على ذلك من وجود أمثال تلك الكتابات داخل مقابر عمال بناة الأهرامات [٢٠] . وهاهو الفلاح المصرى ، الآن : يحرص كل الحرص على تعليم أبنائه فى المدارس ، حتى ولو كان هو شخصياً أمياً ، لم ينل حظه من التعليم !!! إنه تراث الأجداد لايزال حياً ، عبر القرون ورغم مرور آلاف السنين والأزمان .

لقد وجد المصرى القديم ، فى الكتابة ، بخطوطها المختلفة ، الوسيلة المثلى لخلود ذاته الحية ، متحدياً الفناء الجسدى ، ومعبراً بها عن كل خلجات نفسه : فى حياته ، وعند مماته .

هكذا كانت «الكتابة» ، من أوائل مظاهر السبق الحضارى المصرى القديم ، خلال القرن الثانى والثلاثين ق.م. ، أى حوالى ٣٢٠٠ ق.م ، تقريباً . هذا فضلاً عن تجانس العنصر السكانى لأفراد المجتمع المصرى القديم ، على ضفاف النيل الخالد وفى كل القرى

(١٩) هكذا كان يطلق عليها «أوشابتى / أو / شاوابتى ، بمعنى «المُجيب» ، أى ذلك العامل الأجير ، الذى يستجيب لنداء سيده حتى يساعده فى إنجاز الأعمال المطلوبة منه فى الحياة الآخرة ، بعد البعث ، تخفيفاً عليه .

(٢٠) «كشف أثرى هام» : العثور على مقابر بناة الأهرامات» ، مجلة «اليقظة» ، عدد يناير سنة ١٩٩٢ ، ص ص١٦-١٩ . وشكراً للطالبة التى أمدتنى بهذه المقالة .

المبعثرة ونجوعه القصية ، في دلتاه وفي صعيده الأعلى . وإذا أضفنا عنصراً آخر ، وهو السبق الإداري ، وتقسيم السلطات المحلية في شكل هرمي وصولاً إلى أعلى سلطة حاكمة في البلاد ، وهي الفرعون ، لتأكدنا من توافر عوامل إستقرار النظام والحكم في مصر القديمة وهدوء الأوضاع ورتابة الحياة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحضارة العالمية القديمة ، حينما كانت البدايات الأولى ، في شرقنا القديم- منها أقدم حضارات في العالم كله - لاتزال في مراحل التكوين والتأسيس ، ولم يكن التاريخ قد عرف طريقه بعد إلى معظم أرجاء العالم القديم ، لأنها - ببساطة - لم تكن قد توصلت إلى معرفة الكتابة حتى ذاك الوقت ، في الربع الأخير من الألف الرابعة ق.م [٢١] ، كما حدث فعلاً في مصر وحدها ، ودون بقية أنحاء العالم المعمور آنذاك (Oikouméme) ، كما كان يحلو لليونانيين تسميته به .

(٢١) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص٧٩ .

(٥) : ماهية وتاريخية اسم "مصر"

تُرجِّح معاجم اللغة وعلماء الإستقاق أن إسم مصر فى اللغات الأوروبية الحديثة جاء من الإسم المصرى القديم (كيمة) .

المصرى القديم : (كيمة) Kemet

لاتينى : Aegyptus + يونانى : A'yuπτos

وأن مسماها فى الإنجليزى:Egypt .والفرنسى:Egypte . والإيطالى : Egitto .

قد تم إشتقاقه من المقابل اليونانى A'yuπτos ، وكذلك اللاتينى (Aegyptus) ولمزيد من الشرح والتفصيل نسجل الآتى :

[١] : Kémet (كيمة) = السوداء (الأرض السوداء) .

أو Tawi (تاوى) = الأرضين (أرض الدلتا أو أرض الصعيد) .

أو Misr (مصْر) = الحد ، الحاجز ، المكان الحصين .

جاءت كمترادفات [فى النصوص المصرية والتوارة (اللغات السامية القديمة)] .

مما لاشك فيه أن الإشتقاق الأول ، من (كيمة) هو الأقدم نظراً لدلالاته على تكوين مصر الچيولوچى الخالد ، من أرض سوداء ، يأتى بها فيضان النيل ، كل عام ، وتم ترسيب طبقاتها عبر آلاف ، بل ربما بلايين السنين أما الاشتقاقات الأخرى ، فواضح من معانيها أنها جاءت متأخرة بعد توحيد مصر على يدى أشهر ملوكها الأوائل مينا (نارمر) فى الألف الرابعة ق.م ، وربما بعد

ذلك ، لاسيما بعد استقرار أحوال البلاد فى مملكة واحدة إبان الدولة القديمة ، منذ الأسرة الثالثة فصاعداً (منذ حوالى ٢٧٨٠ ق.م) [٢٢] وكذلك لفظة «مصر» ، فإنها لايمكن ، على الأرجح ، أن تكون قد ظهرت إلا بعد ظهور عاصمة البلاد الشهيرة ، مدينة«منف» [٢٣] (Memphis) ، كأقدم مدينة محصنة بسور خارجى، منذ بداية عصر الأسرات ، أى أواخر الألف الرابعة ق.م، ضماناً لأمن العاصمة من الأخطار الخارجية ، أو حتى «من الانتفاضات المحتملة من أبناء الدلتا (الوجه البحرى) الذى كان قد أدمج لتوه فى الوحدة السياسية الجديدة تحت زعامة ملوك الصعيد» ، [٢٤] على أيدى أوائل ملوك الأسرة الأولى . هذا بالرغم من القول بأن مصر القديمة عرفت نظام الحصون والقلاع منذ عهد نعرمر ، موحد القطرين ، وخلفائه [٢٥] .

[٢] أما الإسم Aijuπτos (آيْجيبتوس) اليونانى ونظيره اللاتينى (Ae-gyptus) ، علماً بأن اليونانى هو الأقدم بما لايقل عن ستة قرون من الزمان، فقد أطلقه هوميروس فى ملحمتيه الخالدتين (الإلياذة والأوديسيا [٢٦] على نهر النيل ، كبدل الجزء عن الكل ، ولشهرة

---

(٢٢) وفقاً لتأريخ أ.د./ عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ط٣ (١٩٨٢) ص٩٦ .

(٢٣) وهى كلمة يونانية ، أطلقها اليونانيون على مدينة «إنب حج» ، التى تعنى «الجدار الأبيض» ، أو (الحصن الأبيض) أو (السور الأبيض) كأول مدينة حصينة فى البلاد . راجع ، صالح ، المرجع السابق ، ص ص٨٧-٨٨ .

(٢٤) المرجع نفسه .

(٢٥) نحن نميل إلى رأى أستاذ ناد. صالح (المرجع نفسه ، ص٩٤) بأنه يصعب تأكيد هذه الاستنتاجات بأدلة قاطعة .

(٢٦) الأوديسيا ، الكتاب الرابع .

النهـر العظيمـة . وظل هذا الإسم كناية عن مـصر كلهـا ، طيلة العصور اليونانية فيما قبل هيرودوت (٢٧) . وقد قال به هوميروس، فى القـرن التـاسع ق.م. ، ولاندرى ، يقـيناً من أين جـاء باشـتقـاق تلك الكلمة ، (٢٨) التى غـدت ، فيمـا بعد – على أيدى الرومـان – هى الأصل لكل اشتقاق أوروبى للدلالة على «مصر» .

ولكن التكريم الإلهى لهذا البلد الطيب ، جـاء من رب العزة فى قرآنه الكريم ، حيث ورد اسم «مصرْ» ست مرات ، فى مناسبات طيبة ، ضمن محكمِ آياته المباركات. فهَل بعد ذلك من تكريم ؟!

---

(٢٧) ذلك لأن هيرودوت ، أبا التاريخ (الكتاب الثانى) هو أقدم مصدر لتسمية نـهر النيل بهذا الاسم «نيلوس : Neilos » وعندئذ استقر اسم «أيجبتوس» للدلالة على «مصر» ، البلد ، و«النيل» على النهر .

(٢٨) يذكـر د. صـالح ، المرجع نفـسـه ، ص٢٥ ، أنه ربما جـاء من لفظة «أجـبـة» الفيض الفيضـان. ونحن نزكي هذا الإحـتـمال أكثر من غيره لثبات صـوامت الجذع الأربعة في اللفظتين = وهي حروف : ai - g - p - t .

(٦) : عوامل إزدهار الحضارة المصرية القديمة المبكر

(أ) عوامل طبيعية :

(١) امتداد النيل ، بطول البلاد ، وكثرة مياهه ، وخصوبة طميه (تربته) [٢٩] ، وتجدد ذلك سنوياً مع الفيضان الصيفى فى كل عام.

ومن هنا جاء الخطأ الشائع لترجمة نص هيرودوت ، كما ترجمه أولاً الأوربيون ونقلناه نحن عنهم ، بأن «مصر هبة النيل» . والحق أن مصر «هبة المصريين» وفقاً للترجمة الحرفية للنص اليونانى الأصلى [٣٠] . وشتان مابين الترجمتين فى المعنى الإجمالى والمضمون الحضارى .

(٢) وفرة المواد الأولية الأساسية للحياة اليومية .

(٣) إنبساط السطح ، على الأقل حول ضفتى النيل ، وقلة العوائق الطبيعية الحادة .

(٤) اعتدال المناخ .

(٥) الامتداد الكبير للصحراء الشرقية والغربية ، كموانع طبيعية وحصانة ربانية للمدن العمرانية خلفهما .

---

(٢٩) يسميه البعض «الغرْيَن» ، وهى رواسب الأحجار التى تتفتت عبر مسيره مياه النهر من أقصى الجنوب عند منابعه وروافده الأولى .

(٣٠) هيرودوت ، الكتاب الثانى : gé epektetos para tois Aigyptoisi kai dóron tou potamou"

(ب) عوامل بشرية :

(١) كثافة تعداد السكان ، مما مكّنها من القيام بأعمال ضخمة وإنجازات سريعة .

(٢) مناعة أهلها وجلدهم ، نظراً لبساطة حياتهم .

(٣) وحدة لغتهم (المصرية القديمة) [٣١] .

(٤) ندرة الفوارق العرقية بينهم ، مما يساعد على التجانس ووحدة الحس الجماعي والروح الوطنية المتآلفة دائماً .

(٥) سهولة الإتصال بين تجمعاتهم – لكونهم جميعاً يقيمون حول ضفتى النيل ، على امتداده من الجنوب إلى الشمال ، أو فى دلتا النيل حيث لاعوائق حادة بالمرة .

(٦) استقرار النظم الإدارية الداخلية ، ومركزية الحكم . وهو – فى نظرى – أهم عوامل النجل والازدهار – جميعاً ، ولاسيما فى ضوء استكانة ومناعة المحكومية اللامحدودى فكان لابد من علو مكانة الأداة الحكومية والجهاز الإدارى لأخذ المبادرات واتخاذ القرارات المصيرية فى كل الميادين ، أوقات السلم أو الحرب .

ويكفى أن نعرف ، بالحق ، أن التاريخ القديم كله ، ولاسيما فترات الإنجاز الحضارى الضخمة ، فى كل العالم القديم ، هو من صنع قيادات فذة ، وبفضل قرارات حاسمة لرجال عظام ، أجبرت التاريخ على أن ينصت لهم فى خشوع وأن ينحت أسماءهم فى سجل الخالدين .

---

(٣١) الهيروغليفية (Hieroglyphics) ، تسمية يونانية للكتابة المصرية القديمة وتعنى : «الخط المقدس» ، وهناك الهيراطيقى ، والديموطيقى ، ثم القبطى ، وكلها أشكال خطوط للغة واحدة .

(٧) : مصادر تاريخ مصر القديمة

ولكن ، كيف عرفنا كل تلك التفاصيل الدقيقة عن حياة ، وعلوم، وعقائد ، وحرف ، وفنون ، ونظم ، وعلاقات (سواء الداخلية أم الخارجية) للمصرين القدماء ؟!

إن دليلنا ووسيلتنا إلى كل ذلك هى مانسميه نحن بمصادر معلوماتنا عن تلك الحضارة القديمة ، والتى لابد أن تكون أحد شيئين :

(أ) إما مصادر أدبية (Literary sources) .

(ب) أو مصادر غير أدبية (Non Literary sources) .

وكلاهما مواد أثرية يتم الكشف عنها نتيجة لأعمال الحفائر المستمرة .

فالأولى : تندرج تحتها كل المواد المكتوبة ، أياً كان موضوعها ، سواء على بردى [٣٢] (Papyri) ، أو على أحجار أو فخار (Ostraka) ، ومنها قد تم التعرف على جوانب مذهلة من اهتمامات المصريين القدماء فى مجال الفكر ، والأدب ، والعلم ، والإدارة ، والسياسة ، وكذلك الحرب .

---

(٣٢) هى كلمة يونانية الأصل (πàπupoi) ، مأخوذ عن أصل مصرى ، هو – فى الغالب – "Pa-Pi-ur" ، التى بمعني: أن النبات الملكى أو نبات الفرعون ، لأنه كان إحتكاراً ملكياً للقصر القديم . "Pa-Pi-ur" ، التى تعنى «النبات الملكى» ؟! راجع حول ذلك التفسيرات المختلفة: Mavδηλapa β.Eλληvikoi: πáπvpoi, Aθηvai, 1980 pp.41 – 51

وكذلك راجع : R. Harris, The legacy of Egypt, Chap. xii Greek papyri. أو ترجمتنا له رتعليقنا عليه في أحدث نشر لنا : قصة البردي اليوناني في مصر ، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥ م.

أما الثانية : وتشمل كل ماتخرجه الحفائر إلى النور ، من غير النوع الأول ، أى بخلاف المواد المكتوبة . ويمكن أن تشمل : الرسوم الجدارية (على الجدران : سواء فى المعابد أو فى المقابر) ، والتماثيل (على اختلاف المواد المصنوعة منها) وأدوات الحياة اليومية ، فضلاً عن الأشكال المعمارية لمنازلهم ومقابرهم ومعابدهم التى خلدها المصريون القدماء .

من هذين النوعين السابقين ، اللذان يعتبران – فى رأينا – شاهد العيان الأول ، أو بعبارة أخرى ، الدليل المعاصر للأحداث الغابرة ، يمكن أن نكون صورة شبه متكاملة عن الحياة المصرية القديمة بحلوها ومرها ، بانتصاراتها وهزائمها ، بإيجابياتها وسلبياتها . ومع ذلك فإن الحقيقة التاريخية تغيب كثيراً فى طيات الأحداث والتفصيلات التقليدية التى ملأت سجلات المصريين القدماء . والباحث العلمى التاريخى، المعاصر ، عند دراسته للماضى البعيد ، يشعر بخيبة أمل ، فى أحيان كثيرة، بحثاً عن الحقيقة المجردة للأحداث الماضية . والحق نقول – بصفة عامة – أنه يندر وجود الحقائق المجردة (الأصلية) فى مصادر التاريخ القديم كله [٣٣] . ذلك لأنه يلاحظ الآتى :

(١) المبالغة والتضخيم والتهويل فى ذكر الأعمال والإنجازات سواء الملكية أو الخاصة بكبار الموظفين والأثرياء .

وهنا أستعير كلمات عالم المصريات العظيم الدكتور صالح الذى يقول :

---

(٣٣) راجع تحليلنا المختصر ، فى كتابنا : معالم تاريخ روما القديم ، القاهرة ١٩٩١ ، أو ترجمتنا وتعليقنا عليه في أحدث نشر : قصة البردي اليوناني في مصر ، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥ ص ص١٩-٢١ ، بعنوان«حقيقة مصادر التاريخ القديم» .

«واصطبغت بعض تسجيلاتهم الفردية هذه ، بصبغة تقليدية ، ردت الأمر كله فيها إلى إيحاءات الملوك ووصفهم بما كانوا يستحبون أن يوصفوا به دائماً ، من قداسة وعدل وقوة بأس ، ولو لم يكن لبعضهم نصيب من ذلك كله . بينما اصطبغ بعضها الآخر بنصيب أكبر من الواقعية ، فصورت نصوصها الأحداث قريبة مما جرت به فعلاً ، بغير تضخيم كبير ولاتنسيق كثير ، وردت بعض الفضل فيها إلى أصحابها الفعليين [٣٤]» .

وهنا تكون المشكلة : كيف أتعرف - وأنا دارس اليوم ، على مبعدة عدة آلاف من السنين على حقيقة ماكان يجرى فى مصر القديمة : هل أصدق كل شئ أقرأه فى سجلاتهم القديمة ووثائقهم البردية ، أم أكذبها ؟! متى أميل إلى التكذيب ومتى يجب علىَّ أن أصدق المصدر الذى أمامى ؟!

الواقع أن هذا هو صُلْب عمل المؤرخ ، فليست هناك وسيلة سحرية أفصل بها المادة التاريخية الكاذبة عن الصادقة ، ويجب على الباحث الحق أن يتشكك فى وثائقه ويقيم عليها كل خطوات منهج البحث التاريخى ، الظاهرى والباطنى [٣٥] حتى يصل إلى أقرب نقطة من اليقين العلمى ، إن أمكن .

(٢) عدم دقة وأمانة وفهم كتابات الكثير من المؤرخين الأجانب اللاحقين (اليونان والرومان) الذين يتناولوا فى مؤلفاتهم التاريخية

---

(٣٤) الشرق الأدنى القديم ، ط(٣) ، ١٩٨٢ ، ص٣٩ .

(٣٥) حسن عثمان ، منهج البحث التاريخى ، القاهرة ١٩٧٦ .

أو الجغرافية ، التاريخ المصرى القديم [٣٦] .

ولسوف أستعير هنا – للمرة الثانية – ماقاله مرجعنا الرئيسى فى هذا الخصوص، الدكتور صالح ، العلامة المصرى الكبير :

«واختلف نصيب كل مؤرخ وجغرافى ورحالة من هؤلاء وهؤلاء عن زميله فى مدى تحريه الأمانة فيما رواه عن مصر ، «ومدى معرفته الصحيحة بتاريخها ، ومدى إقامته بها ، ومدى فهمه لتقاليد أهلها [٣٧] ، بل إن ماكتبه كل منهم جمع فى طياته بين المنطق وبين الخرافة ، وبين الصدق حيناً والإفتراء حيناً آخر ، وبين أدلة الذكاء وقرائن الغفلة ، وبين صور المدح وصور الذم فى آن واحد [٣٨]» .

ولهذا كله وَجَبَ على الدارس الحذَر وأن يُعمل عقله وأدوات بحثه المعروفة ، ويقارن ويحلل ثم يجتهد ، اجتهاداً شخصياً : على أساس من القرائن والأدلة ، سواء المعاصرة للحدث أو اللاحقة عليه ، ذلك لأننا ، فيما يخص الحضارة المصرية القديمة، أمام « مجلد تاريخى شاسع » – كما وصفها بذلك العلامة الإنجليزى (Breasted) ، ولكنه غير ملئ

(٣٦) ولى أنا شخصياً بحثان حول عدم «صدق رجالات الرومان هما :

(أ) "Egypt as a'Provincia Romana', a Reconsideration inDio's Narrative". فى كتابى / تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان ، الأنجل المصرية ، القاهرة ٢٠٠٠م ص ص ٤١ – ٥٩ ..

(ب) «نيرون واليهود : قراءة فى حوليات تاكيتوس» ، دورية «أوزيريس» ، العدد الأول سنة ١٩٩١ ، ص ص٣٣-٤٧ .

(٣٧) المرجع نفسه ص ٢٤ وهناك مقالة طيبة حول هذا المعنى فى الموسوعة العلمية الألمانية العظيمة: Otto Lexikon der Aegyptologie.s.v. Interpretatio.

(٣٨) المرجع السابق ، ص٣٩ .

بكتابات تاريخية حقة ، ويستثنى من هذا الحكم قائمة انتصارات تحوتموس الثالث (القرن ١٥ ق.م) ، فى الكرنك ،وهو عمل يحتوى على وصف دقيق لأبرز فتوحات هذا الملك القدير النشيط [٣٩]، وبعض النصوص الأخرى ، مثل لوح بالرمو (Palermo) ؛ وبردية تورين (Turin) وتاريخ مانيتون (Manetho) القليل [٤٠] .

---

(٣٩) بارنز : تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة/محمد عبدالرحمن برج ، القاهرة سنة ١٩٨٤، ص ص٣٢-٣٤ .

(٤٠) المرجع نفسه ، ص٣٤ .

(٨) : تاريخ علم الآثار المصرية : (Egyptology)

علم الآثار المصرية منذ نشأته وظهوره واكتشاف اللغة المصرية القديمة وفك رموزها على أيدي شامبليون (J.F. Champollion) العالم الفرنسي عام ١٨٢١م ، قد مر بمرحلتين واضحتين ، هما :

الأولى : ويمكن وصفها بأنها «وصفية تحضيرية» ، كانت في الفترة فيما بين ١٨٠٩-١٨١٣م ، وقام بها العلماء الفرنسيون الذين رافقوا حملة نابليون بونابرت على مصر ، ونشرت أبحاثها في مجلدات ضخمة تحمل عنواناً هو : Description de l'Égypte .

والثانية : ويصح وصفها بأنها كانت «البداية الحقيقية للحفائر المنظمة» ، وبدأت منذ عام ١٨٢٨ ، وكان من زوادها روسيلليني (Ro-sellini) الإيطالي ، ولپسيوس (Lepsius) الألماني . ومنذ ذلك الحين ، بدأ علم الآثار المصرية يسير على ركائز ثلاث : الوصف ، والرسم (التصوير) ، والحفر والتنقيب ، بالإضافة إلى ماكان قد بدأ من قبل ، وهو المزيد من التركيز في دراسة اللغة المصرية القديمة لمعرفة أسرارها[٤١] .

والآن ننتقل إلى إيجاز قصة فك رموز اللغة المصرية القديمة والمضامين التاريخية والحضارية للنقش المدون على حجر رشيد .

- تم الكشف عن الحجر نفسه عام ١٧٩٩ مصادفةً ، في منطقة رشيد ، شمال دلتا مصر ، خلال حفر خندق حول قلعة قايتباي ، في هذه

---

(٤١) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ص٣٩-٤٠ .

المدينة .

– حاول الفرنسيون تهريبه إلى فرنسا ، ولكن هزيمتهم فى موقعة أبى قير ، أسلمت هذا الأثر ، مع غيره ، إلى الأعداء المنتصرين ، وهم الإنجليز ، وبالتالى توجه المصير إلى لندن حيث مازال معروضاً فى المتحف البريطانى .

– النص المنقوش (Inscription) على سطح هذا الحجر البازلتى الأسود عبارة عن :

(أ) ١٤ سطراً ، بالهيروغليفية (فى أعلاه) .

(ب) ٣٢ سطراً ، بالخط الديموطيقى (فى الوسط) .

(جـ) ٥٤ سطراً ، باللغة اليونانية (فى أسفله) .

وبدأت محاولات قراءة هذا النص الهيروغليفى الأول عام ١٨٠٢م على أيدى أربعة علماء ، كان شامبليون أكثرهم حظاً وتوفيقاً ، عندما انتهت دراسات هؤلاء عام ١٨٢١م ، معلنين النتائج التالية :

(١) النص ، الثلاثى اللغة ، عبارة عن قرار جماعى لكهنة منف ، عام ١٩٦ ق.م.

(٢) يتضمن الشكر للملك البطلمى الحاكم آنذاك ، ويدعى الملك «الظاهر» (Epiphanes) ، على الإعفاء الملكى من تكاليف وواجبات (Leitourgia) كانت على المعابد منذ البطالمة الأوائل .

ويعلق أستاذنا الجليل الدكتور/عبدالعزيز صالح على شكر الكهنة للملك البطلمى محاولاً إعطاء معانى حضارية لطريقة حفر وصياغة قرار الشكر ، فنراه يقول بأن لذلك مغزين ، هما :

أولاً : تعمُّد كاتب القرار الكهنوتى بوضع أو نسخ الموضوع باللغة

الهيروغليفية فى أعلى الحجر (ثم أتبعه بالكتابة الشعبية ، ثم جعل الترجمة اليونانية وهى اللغة الرسمية فى البلاد آنذاك ولغة الحاكم ، الملك البطلمى ، فى آخر الحجر) يعكس بجلاء، وإن كان بطريقة غير مباشرة ، روح التحدى المصرية ، كلما وجدت لذلك سبيلاً :

«وذلك مما قد يعنى أن عجز المصريين المادى إزاء حكامهم البطالمة الأجانب، لم يمنعهم من أن يتلمسوا كل سبيل يعبر عن قوميتهم الدفينة ، وينتقم لكرامتهم المغلوبة على أمرها [٤٢] » .

ثانياً : وضوح اللمز والغمز حول القرار الملكى بالإعفاء بالعبارة الضمنية ، المحكمة الصياغة ، التى تعكس الروح المصرية الذكية اللماحة ، التى تقول :

« .. إن الملك ثبت للمعابد ولمصر تقاليدها وفقاً للقانون [٤٣]» ، وكأن الملك لم يمنحهم شيئاً من عندياته ، أى لم يحسن إليهم أو يمن عليهم ، بل إنه أقر التقاليد والقانون المعمول به من قبل ، وبالتالى فلا فضل له عليهم» [٤٤] .

أما الحفائر والتنقيب عن آثار مصر القديمة تحت رمالها الدافئة ، التى كانت صاحبة الفضل الأول فى الحفاظ عليها من التآكل ، فقد مرت بعدة مراحل ، منذ بداية أعمالها فى القرن ١٩ ومروراً بالقرن ٢٠ حتى الآن .

---

(٤٢) المرجع نفسه ، ص٤٠ .

(٤٣) المرجع نفسه .

(٤٤) وكأن لسان حالهم يقول قولة الشحاذ «إدينى ياسيدى حسنة ، وماسيدك إلا أنا» !!! .

(أ) **ففى المرحلة الأولى** : (وقد شغلت تلك المرحلة النصف الأول من القرن التاسع عشر) ، واستغلها جماعة من الأجانب ، أكثرهم هواة آثار وتجار عاديات (أنتيكات) [٤٥] ، وقليل منهم المتخصص . وعن طريق الفريق الأول خرجت قطع مصرية كثيرة ، بالتهريب، على أيدى أولئك الأفاقين ، الذين عرفوا طريقهم إلى المتاحف الأوروبية والمجموعات الخاصة فامتلأت بها فترينات معارضهم وقاعات عرضهم .

(ب) **والمرحلة الثانية** : بدأت باهتمام حقيقى من قبل الحكومة المصرية ، منذ عهد محمد على باشا ، وفكرت فى إنشاء إدارة خاصة بالآثار ، ولأسباب لانعرفها ، توقف المشروع ، وتم الإكتفاء بتخزين القطع الأثرية المكتشفة فى دار بالأزبكية حيناً، وبالقلعة أحياناً أخرى .

(جـ) **المرحلة الثالثة** : قيام أوجست مارييت (A. Mariette) – على عهد الخديوى سعيد ، بإنشاء أول متحف منظم للآثار فى مصر ، وكان مقره فى بولاق عام ١٨٥٩ ، ثم انتقل إلى الجيزة ، واستقر فى موضعه الحالى ، بميدان التحرير ، منذ عام ١٩٠٣م .

(د) **المرحلة الرابعة** : بداية الحفائر المنظمة العلمية ، بأيدى البعثات الأجنبية ، وبموافقة الدولة ، ووفقاً لترتيبات خاصة ، وكان ذلك منذ عام ١٨٩٠ ، ولم يلبث أن جاء القرن العشرين حتى عرفت

---

(٤٥) هى كلمة لاتينية الأصل (Antiqua) وتعنى الأشياء القديمة» ، وظلت مستخدمة فى اللغة الإيطالية الحديثة ومنها دخلت إلى العربية ، ربما عبر الفرنسية التي كانت منتشرة في مصر عقب الإحتلال الفرنسى وظلت لغة الثقافة المصرية لفترة طويلة .

الخبرة المصرية طريقها إلى حفائر باسمها وتشارك الأجانب أعمالهم ونشر أبحاثهم العلمية وهاهى كلية الآثار ، بجامعة القاهرة، تقوم اليوم بحفائر مصرية ١٠٠ ٪ ، فى مناطق عدة من أنحاء مصر ، وينشر علماؤها الأجلاء نتائج اكتشافاتهم فى الدوريات العلمية العالمية المتخصصة . وبرز نفر من أساتذتها العظام فى بعض المجالات الأثرية حتى غدا علماً من أعلام هذا التخصص أو ذاك على المستوى العالمى .

ولنا – هنا – كلمة ختامية ، وهى أنه ليس هناك أفضل وأقدر من الكفاءات الوطنية (من أبناء البلد نفسه ، صاحب الحضارة والتاريخ العريق) على فهم المضامين الحضارية لكل شئ قديم على أرض ، وفى تراب – أجدادهم الأمجاد . وليس فى هذا القول تجنى على الباحث الأجنبى ، بل هو خلاصة خبرة طويلة فى التعامل جنباً إلى جنب معهم، ومعرفة قدراتهم ، وقلة حيلتهم أمام بعض تفاصيل ووظائف الأشياء الأثرية المكتشفة (*)

(*) لعلي لا أكون متجنياً أو متجاوزاً حدود اللياقة في وصف الأجانب بذلك ، بل أستطيع أن أقرر – بإطمئنان كبير – أن الأثري المصري نفسه ، إن لم يكن قد عاش في الأرياف ، أو عرف عنهم حياتهم ، فلن يستطيع فهم الكثير أو شرح بعض مظاهر ورموز الحياة المصرية القديمة ، التي كانت أساساً ، وكلياً ، حياة زراعية . ولنضرب لذلك مثلاً بسيطاً : فهل يعي الأثزي ، أياً كان ، علاقة الجُعْران (Scarab) بالإله رع (Ra) – إله الشمس – إلا إذا كان قد شاهد أو علم طبيعة هذا الكائن الغريب ، في الأرض الزراعية ، وبخاصة وسط روث البهائم ، وتوقيت خروجه ودخوله إلي جحره !!!؟ إنها مصر الخالدة ، الفلاحة دائماً ، مها تغيَّر نسبياً وجه الاقتصاد المصري الحديث والمعاصر ، لدواعي مجاراة التطور العلمي .

الجـزء الأول

إستعراض تاريخى وحضارى



مصر فى فجر التاريخ

* هى – ببساطة تأريخية – مرحلة ماقبل عام ٣٢٠٠ ق.م ، أو بكلمات أخرى ، عصر ماقبل الأسرات المصرية – وتعتبر فى نظرنا مرحلة الإعداد الداخلى واستقرار الأوضاع داخل حدود إقليمية لكل جماعة على حدة ، وفقاً لمهاراتها وطاقاتها وإمكاناتها الذاتية ، بالإضافة إلى أطماعها ، إن وجدت ، فى السيادة والسلطان .
* ولما كانت قد استغرقت عمراً مديداً من تاريخ تطور الحضارة المصرية على أرض وادى النيل ، امتد لأكثر من (٢٠) عشرين قرناً من الزمان ، وظهرت آثارها واضحة على ماتلا من فترات تاريخية لاحقة [بالرغم من تواضع نتاجها الحضارى الإجمالى] إلا أنها مرحلة ضرورية لمعرفة البدايات الأولى لتطور حياة المجتمع المصرى الزراعى القديم .

أولاً : فى العصر الحجرى الحديث (العصر النيوليثى) :

– كان المصريون ، الفلاحون ، على هيئة جماعات صغيرة متفرقة ، عاشت حياة روتينية لمدد طويلة .
– كان الإتصال بينها محدوداً ، وبالتالى كان التأثير المتبادل بمقدار .
– جمع النشاط السكانى فى قرى تلك التجمعات البشرية بين الزراعة ، كنشاط رئيسى، وبين تربية الحيوان وكذلك الصيد ، وصناعة الفخار، والحصير والسلال وغزل الكتان ، ويلاحظ – وهذا أمر طبيعى – اختلاف درجة الإجادة والإتقان فى كل حرفة من

الحرف السابقة ، بالإضافة إلى ظهور نوع من المحلية وغلبة طابع معين مميز ، لكل منطقة عن الأخرى ، فى طريقه بناء المساكن والمقابر أيضاً .

– كانت أبرز مراكز التحضر فى تلك الفترة هى :

(أ) مرمدة بنى سلامة . (ب) الفيوم . (جـ) دير تاسا .

وهاكم بعض التفاصيل عن كل موقع (Situs) :

(أ) : مرمدة بني سلامة [١]:

وقد اتصفت آثارها بالآتى :

(١) عرفت نوعين من الأكواخ : أحدهما من الطين ، والآخر من البوص .

(٢) دفنت موتاها بين مساكنها [٢] ، حيث كانوا يرقدون على الجانب الأيمن ويتجهون ناحية الشرق ، ناحية بيوتهم ، وبدون قربان خاص ، ماعدا حفنة من الحبوب قرب أفواه الموتى . كان ذلك تفرداً منها على خلاف العادات الجنائزية لبقية القرى المصرية المعاصرة لها .

(٣) عرفت مساكنها ، أكواخها الطينية ، أقدم تخطيط للقرية المصرية ، ولم تكن أماكنها عشوائية ، بل وفقاً لنظام متجاور يسمح بوجود طريق ضيق بينها ، مما يعكس :

(أ) وجود روح المشاركة الجماعية وإعلاء الصالح العام .

(ب) وجود إدارة مسئولة عن النظام فى القرية خولها الجميع

---

(١) تقع جنوب غرب الدلتا .

(٢) تكريماً وإعزازاً لهم، أو خوفاً عليهم وعلى جثثهم من الحيوانات المفترسة .

سلطة تنظيم حياتها.

(٤) قدمت آثارها أقدم الأدلة على البدايات الأولى للنحت والتشكيل منهما الفخار والأحجار : على هيئة تماثيل آدمية صغيرة الحجم ، وآنية وأشياء أخرى [٣] .

(ب) الفيوم [٤] :

* هى أوضح نموذج لحضارات بداية العصر النيوليثى فى مصر الوسطى .
* كانت بحيرتها ، فى عصورها القديمة ، عذبة المياه ، وعوضتها عن بعدها عن النيل ، الذى تتصل به بفروع صغيرة .
* تتمتع أرض إقليمها بخصوبة ملحوظة .
* شهدت مرحلتين حضاريتين متعاقبتين :

(١) **الفيوم (أ)** : على مدرج واسع ، عاصر مرحلة وصول ماء البحيرة إلى إرتفاع (١٠) عشرة أمتار فوق مستوى سطح البحر[٥].

(٢) **الفيوم (ب)** : وعاش أهلها على مدرجين متسعين من أرض الإقليم ، معاصرين بلوغ مستوى ماء البحيرة من ٢-٤ أمتار فوق مستوى سطح البحر [٦].

---

(٣) صالح ، المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٤) تقع الفيوم في منطقة الحواف الصحراوية ، إلى الجنوب الغربي من القاهرة الكبرى ، أو قُل غرب الجيزة ، إلى داخل الصحراء الغربية ، وعلى مسافة حوالى ٨٥ ك.م الآن .

(٥) أو نحو (١٨٠) قدماً فوق مستوى مائها الحالى . صالح ، المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٦) وكانت بعض الدراسات عام ١٩٢٩، قد سجلت انخفاض مستوى البحيرة إلى ١٤٧ قدماً .

ونتيجة لأعمال الحفائر في المنطقة ، تم الكشف عن :

(أ) المنطقة السكنية – بدون المقابر – فوق مدرج الحضارة (٢) ، حيث عثر فيها على مواقد ، تتوسط المساكن ، وأدوات الاستخدام اليومى الفخارى ، ومراحى (رحّايات) طحن الحبوب ، وأدوات الزراعة والصيد .

(ب) مطامير (خزائن وصوامع) الحبوب ، فوق ربوة عالية ، بعيدة عن المساكن .. لماذا ؟ إننا نرجح الخوف من إرتفاع منسوب المياه فى البحيرة وتلف المخزون مما يهدد بمجاعة مفاجئة . هذا وإن كان تجمع تلك المطامير فى مكانين رئيسيين متقاربين قد أثار بعض الجدل ، **الذى أفضى إلى ظهور احتمال شيوع الملكية بين سكان الفيوم ، من قبل العلماء الأجانب ، وهو مانرفضه نحن ، ونؤكد على عدم فهمهم لطبيعة المجتمع الزراعى المصرى ، واجتهادهم فيما لايمكن أن يعرفوه لكونهم أجانب عن تراث هذه الحضارة الخالدة ، بينما نوافق تماماً على هذا التقسيم البسيط الذى قلنا به وقال به ، أيضاً ، العلامة العظيم أ.د./عبدالعزيز صالح ، وأن تصرف أهل الفيوم بهذا الشكل لم يكن إلا خوفاً على رطوبة تلك المحاصيل لقربها من شاطئ البحيرة ، وجمعوها فى مكانين متجاورين لتسهيل حراستهم لها .. هكذا يفسر العنصر الوطنى ، ببساطة ويسر ، تراث بلاده القديم . ألم نقل ذلك من قبل ؟!!**

(جـ) دير تاسا [٧] **:**

تميزت تلك الحضارة الصعيدية بما يلي :

(١) كان فخارهم أرقى نسبياً عن غيره ، سواء من حيث الشكل أو

(٧) تقع فى مديرية أسيوط ، فى صعيد مصر .

الزخرفة .

(٢) اتضحت عندهم عقائدهم الجنائزية فى دفن موتاهم :

(أ) حفرة بيضاوية صغيرة .

(ب) تكفين المتوفى ، بالجلد أو الكتان أو الحصير ، حسب ثرائه .

(جـ) يوسد على جانبه الأيسر فى وضع القرفصاء ، متجهاً ناحية الغرب لماذا ؟ حيث تغرب الشمس وتختفى كما تختفى وتغرب روح المتوفى ؟! لغروب روح المتوفى ؟!

(د) توضع معه بعض الآنية الفخارية وأدوات استخدامه اليومى ، لماذا ؟ فهل ذلك كنوع من الإعزاز والمحبة له من أقاربه الأحياء ؟؟ أم أن هذا السلوك يعكس وفاءً من الأهل للميت وتحريمهم استخدام تلك المتعلقات الخاصة به علي أنفسهم وإقرارهم بأنه يجب أن تفني من علي وجه الأرض كفنائه هو نفسه ، فربما(؟!!) يحتاجها هو في يوم بعثه الجديد ؟!!! .

ثانياً : فى الفترة الخالكوليثية

(أ) البَدَارى [٨] :

– تعتبر البدارى أقدم المواقع المصرية التى تم الكشف فى آثارها عن وجود مصنوعات نحاسية ، لأول مرة فى تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، وذلك على هيئة مجموعات من :

(١) الخرز الصغير لصناعة العقود والأقراط .

(٢) مثاقب طويلة دقيقة ، لعمل ثقوب فى الخرز الحجرى .

(٣) دبابيس طويلة ، لتثبيت ملابسهم الجلدية والكتانية .

---

(٨) تقع البدارى فى مديرية أسيوط الحالية .

* ويؤرخ لحضارة البدارى هذه بالنصف الثانى من الألف الخامسة ق.م (٤٥٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م) .
* كانوا قد ورثوا المهارات الفنية العالية لأهل دير تاسا ، السابقة عليهم، والقريبة منهم – جغرافياً – وذلك فيما يخص زخارف آنيتهم وعاداتهم وعقائدهم .

– صناعة الفخار :

* نجح أهل البدارى فى صناعة آنية فخارية رقيقة الجدران إلى درجة كبيرة .
* أما الزخارف ، فقد اتخذوا أشكال ورق الشجر ، وغصون النبات كعناصر زخرفية (موتيفات) ، بدلاً من الخطوط المستقيمة والمائلة التى كانت معروفة فى دير تاسا. أى أنهم طوَّروا ما أخذوه عن السابقين عليهم وفق أذواقهم هم [٩] .

أما فيما يخص الطقوس الجنائزية :

فلقد اهتم أهالى البدارى بموتاهم ووضعوا إلى جانبهم بعض أدوات استخدامهم السابق إبان حياتهم ، ولكنهم أضافوا عادتين جديدتين :

(أ) تبطين جوانب المقبرة بالحصير .

(ب) وضع الميت على لوحة مسطحة .

أما إنجازهم الحياتي وصناعاتهم لأدوات الاستخدام اليومي ، فيلاحظ أنهم :

(١) استخدموا ، بكثرة ، أدوات الزينة ، ولاسيما صناعة الأساور

(٩) Brunton, G. - Thompson, C., The Badarian Civilization, 1928, p. 20, Plates, Pl. XII,XIV,XVIII, etc.

والخرز ، بأنواعه : المعدني أو الحجرى ، وأحبوا الأصداف ، حتى أن الرجال كانوا يتزينون أيضاً بها.

(٢) كما صنعوا الخواتم ، العاجية والعظمية ، وكذلك أمشاط الشعر .

(٣) تفننوا فى أشكال وهيئة الملاعق ولاسيما مقابضها [١٠] .

(٤) صناعة بعض [١١] التماثيل (الآدمية) من الصلصال والفخار والعاج ، وتفاوت درجة إجادة النسب والمعايير من تمثال لآخر ، مما يعكس الاجتهادات الفردية للإمكانات الشخصية لدى أولئك الصناع والحرفيين القدامى.

(٥) صناعة أوانى عاجية مختلفة الأشكال .

(ب) حضارة نقَادة (الأولى) :

ويتجه التطور الحضارى المصرى جنوب الجنوب ، أكثر من ذى قبل، فتظهر تباشير حضارة متميزة فى منطقة نقادة [١٢] ، جنوب صعيد مصر ، وقد عرفت مرحلتين فى تطورها :

الأولي : محلية ، ذات طابع خاص بها .

والثانية : شاملة ، لأغلب الصعيد والدلتا .

وكانت نقادة ، وهى جبانة (مقابر : [١٣] Nekropolis) لمدينة

(١٠) وجدير بالذكر أن التجار الفينيقيين ، بعد ذلك ، اختاروا هذه الأشكال الطريفة لتقليدها لكثرة الطلب عليها فى السوق اليونانية القديمة فى النصف الأول من الألف الأولي ق.م ، راجع .Ibid., plate XXII

(١١) تم الكشف عن (٧) سبع فقط فى مقابر البدارى .

(١٢) تقع ، الآن ، ضمن إقليم (محافظة) قنا ، حوالي ٦٩٠ كيلو متراً من الجيزة . قامت على أطلالها بلدة «طوخ» على الضفة الغربية للنيل ، قبالة مدينة قفط .

(١٣) هى كلمة يونانية (Nekrópolis) ، مركبة من كلمتين الأولي (Nekro) بمعني «ميت»، والثانية پوليس (Polis) بمعني «مدينة» ، وبالتالي فهما تعنيان مدينة الأموات .

(نوبت) [١٤] القديمة . وليس هناك شئ مؤكد حول أحوالها السياسية أو الدينية خلال مرحلتها الأولى [١٥] . وأكثر المواد شيوعاً عنها كان أسطورياً ، يربطها بالإله «ست» ، وإله الشر والمكائد (!؟؟!) . وكان العالم الإنجليزى ، فلندرز بترى ، [١٦] (F. Petrie) ، هو صاحب الفضل فى الكشف عن آثارها ولاسيما فخارها الذى قسمه إلى (٩) مجموعات [على أساس اللون والشكل والرسومات] وأحصى (٥٠) خمسين مرحلة لتطوره (؟!!) لمجرد التسهيل على الدارسين ، وليس بالضرورة دليلاً على تعاقب أزمانها.

ويلاحظ علي هذه الحضارة مايلي :

(١) زخرفة الأوانى الفخارية بنماذج تخطيطية ذات الوحدة الزخرفية (motive) الحيوانية : فرس النهر ، أو أسماك .

(٢) تصوير بعض الأنشطة الاجتماعية أو اليومية للأهالى ، مثل : الرقص ، أو الصيد .

(٣) استخدام الأشكال الهندسية ، ومنها الدوائر المنتظمة فى الزخرفة .

(٤) استغلال أسطح الصلايات [١٧] الحجرية للنقش عليها نقشاً غائراً ، فى البداية ، ثم بارزاً بعد ذلك .

(٥) الاستمرار فى صناعة التماثيل الصغيرة ، من الصلصال أو الفخار،

---

(١٤) وتعنى ، باللغة المصرية القديمة ، «الذهبية» لقربها من مصادر الذهب فى الصحراء .

(١٥) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، (المرجع السابق) .

(١٦) راجع الأشكال .Prehistoric Egypt, plates X : 7; XV : 51,54-55

(١٧) جمع «صَلاية» ، وهى الشئ الذى يُدَق ويطحن بداخله الملح ، مثلاً ، إذ كان فى القديم ، حصى ، وليس ناعماً كما نعرفه اليوم .

ولاسيما أشكال النساء ، ربما لسببين [١٨] :

إما (أ) لضمان القيام بأعباء أعمال المنزل ، كخدم ، فى الحياة الأخرى .

أو (ب) لضمان القيام بأعمال الزراعة والحصاد والإتيان ، كزوجات للمتوفى ، بذرية كبيرة العدد ، قادرة على الإنجاز وتلبية مطالبه على التو .

(٦) صنعوا ، أيضاً ، خناجر معدنية (برونزية) ، وجعلوا لها المقابض والجوارب لحمايتها .

(٧) استخدموا الرموز ، كدلالات شخصية عن الملكية الفردية ، مثل صور ورسومات بعض الحيوانات والنباتات ، أو أشكال أخرى حياتية : مثال :

- **لأول مرة** ، إناء عليه نقش بارز لتاج الوجه البحرى [١٩]
- **ولأول مرة** ، أيضاً ، إناءً يصور صقراً (حورس) .

(للتعبير عن خصوصية الإثنين بأشخاص على رأس السلطة في الإقليم)

وإذا كان التاج المرسوم يعتبر دليلاً قوياً على قيام الإتصالات بين حضارات الشمال والجنوب ، داخل البلد الواحد (مصر القديمة) لما فى ذلك من منطقية يدعمها واقع وادى النيل السهل المتصل ، براً كان أم على صفحة الماء ، فإن الحديث عن **تأثيرات خارجية لمجرد التشابه فى بعض المظاهر الحضارية ، يعتبر من قبيل الاحتمالات الواردة ولايزيد معدل إمكانية حدوثها عن ٥٠٪ ، وذلك لصعوبة الإتصال الخارجى ، مع حضارات العراق القديم ، لسببين ، هما – فى نظرنا :**

---

(١٨) وليس ، على أية حال ، كما قال د. صالح (ص٥٢) حول تفضيل كل فنان مبتدئ لتصوير النساء .

(١٩) Wain wright, J.E.A., IX., P. 26 f., pl. xx. 3.

(١) بعد المسافة التى تفصل بين الحضارتين (*) .

(٢) عدم توافر أى حافز للإصرار على الإنتقال والوصول إلى جنوب مصر ، فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحضارتين ، حيث أننا نشك فى معرفة أى من الجانبين بوجود الآخر ، أصلاً . وحتى إن عرف وسمع ، فكيف كان السبيل لمعرفة الطريق ؟!!!

حضارة نقادة الثانية :

تتضح من مظاهر العمران ومخلفات المواد الأثرية التى تم الكشف عنها أن نقادة – فى هذه المرحلة الثانية من تطورها – كانت قد أصبحت مركزاً حضارياً كبيراً، له اتصالات (ربما على مستوى الحكام والسفارات [٢٠]) مع الجنوب ، حتى الحبشة ، والشمال ، حتى جبيل وربما أعالى الفرات [٢١] . وكانت نتيجة ذلك أن عمَّ الرخاء وزد الثراء الذى تمثل فى المادة الأثرية المتنوعة المكتشفة داخل مقابر نقادة:

- فارتقت الأذواق وتطورت المهارات .
- ازدهرت الفنون (الرسم والنقش والنحت) .
- تطورت الصناعات (صناعة الأسلحة : الفؤوس [٢٢] والحرب والخناجر) . والأدوات (القدور والأزاميل) .

---

(٢٠) ولايمكننا أن نتوقع قيام علاقات تجارية ، بل مجرد زيارات متباعدة تحمل الهدايا من هنا وهناك وتعود محملة بأمثالها .

(*) راجع مقالنا : «بابل – ممفيس وبالعكس» ، في كتابنا : تاريخ الحضارة الإنسانية ، القاهرة ٢٠٠١ م ، ص ص ٧ – ٩ (حيث أول نشر له) ، أو هنا في آخر الكتاب.

(٢١) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص٥٤ .

(٢٢) تم الكشف عن فأس نحاسية تزن رأسها أكثر من (١) كيلو جرام .

– إتقان صناعة الأوانى الحجرية ، من أحجار متعددة ، وأشكال كثيرة : إسطوانية ، وبيضاوية ، وكروية وعلى هيئة طيور وأسماك وحيوانات (فـيلة – أفـراس النهـر – Hippopotamus [٢٣] – والكلاب . أمـا الحديث عن أشكال الجمال ، فيثار حوله شك كبير [٢٤] .

● **أمثلة بارزة لتقدم النقش : (e.g.) [٢٥] .**

(أ) تصوير (٢١٨) شكلاً لحيوانات مختلفة ، فى صفوف أفقية ، على مقبض سكين، لايتعدى عرضه سنتيمترات قليلة !!! .

(ب) تصوير غزالتين متقابلتين ، تتناجيان (؟!) ، على سطح صلاية صورهما الفنان «فى حيوية فريدة وخطوط متمكنة بسيطة [٢٦] » .

(جـ) تصوير (رسم) صائد النعامات الثلاث ، على صلاية ، والطريف أن شكل الصـائد قـد لبس قناعـاً [٢٧] على رأسـه لتـضليل هذه الحيوانات وتسهيل عملية الصيد.

– تقدم بناء المساكن [٢٨] وحفر المقابر [٢٩] .

– بداية تسجيل علامـات ورموز ، هى بمثـابة أقدم أشكال الكتـابة

---

(٢٣) هى كلمة يونانية مركبة من فرس : Ιππos + نهر : Pótamós .

(٢٤) راجع ، صالح ، المرجع السابق ، ص٥٧ ، هامش (١) .

(٢٥) هذا اختصار لاتينى ، هو Exampli gratia : بمعنى : «فى ضوء المثال» .

(٢٦) صالح ، المرجع السابق ، ص٥٧ . Petrie, Preh. Egypt, pl. 43, 2.

(٢٧) لأول مرة يستخدم القناع فى عمل ما ، مما يدل على ذكاء فطرى فى الحياة العملية .

(٢٨) عثر على قبر فى «المحاسنة» ، بداخله نموذج منزل مستطيل الشكل من الطين اللبن .

(٢٩) زاد الاهتمام لتقوية جوانب المقبرة بالطمى ، والبوص ، أو الحصير ، أو تكسيتها بالألواح الخشبية ، فتحولت الحفرة إلى حجرة . وتم تقسيم الحجرة إلى أقسام : قسم للجثة وآخر للأثاث الجنائزى .

المصرية القديمة : فقد كانت كما يعتقد العلامة بترى :

أولاً : ٣٠ (ثلاثون) علامة فى عهد نقادة الأولى .

ثانياً : (-) ٦ (ست) نقصت ست ، إذ إختفت من الاستخدام اليومى ، ثم ثالثاً : (+) ١٤ زيدت أربع عشرة علامة ، إبان فترة نقادة الثانية ، وبالتالى يكون إجمالى العلامات التخطيطية ، حتى نهاية حضارة نقادة (٣٨) ثمانى وثلاثون علامة.

هذا من ناحية ، وهناك آخرون من أهل نقادة (نيابة عن تلك العلامات التى ظهرت بشكل شخصى ، أولاً ، ثم ذاع إستخدامها بين الناس) قد استخدموا الرسوم التصويرية (Pictographic) مثل : صورة الشمس ، وهيئة الذراعين المرفوعتين إلى أعلى ، وهيئة التلال الثلاثة المتجاورة ، واستمر استخدامها حتى انتشر وطغى على العلامات التخطيطية السابقة [٣٠] . **وهكذا كانت البداية الحقيقية الأولى للكتابة المصرية القديمة فيما قبل عام ٣٢٠٠ ق.م ، حينما بدأنا نؤرخ لعصر جديد ومرحلة حضارية جديدة من عمر تاريخ مصر القديمة ، وهى العصور التاريخية : مابعد الكتابة .**

(٣٠) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، وهذا يذكرنا بالمحاولة الفقيرة للكتابة المينوية المبكرة في أشكال وعلامات عرفت باسم الكتابة الخطية الأولي (Linear A) ، راجع كتابنا : تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ص ٨٢ – ٨٧ ، وذلك منذ النصف الأول من الألف الثانية ق.م ، كما يبدو في أثر لوح فايستوس (Phaistos Disk).

العصور التاريخية

عصر بداية الأسرات

تأريخ الكتابة ومضامينها الحضارية :

وهى المرحلة التى بدأ الشعب المصرى القديم فى التعرف على وسيلة للكتابة ، لتسجيل أخباره ، وتدوين معارفه الدينية أو الدنيوية ، بغض النظر عن درجة نجاحه فى ذلك . وهنا تجدر الإشارة إلى أنه كان أقدم شعب يبدأ الكتابة ، من بين شعوب الحضارات القديمة فى المنطقة : حيث ساعده على ذلك عاملان آخران ، كانا السبب الرئيسى وراء هذا الإنجاز الحضارى العظيم ، وهما :

(١) اصطباغ حضارة وادى النيل ، بمملكتيْه ، فى الدلتا ، وفى الصعيد ، بصبغة قومية متجانسة .

(٢) سهولة وحدة أقاليم مصر تحت إمرة ملك واحد ، مما يسّر لها الاستقرار وحسن الإدارة ودوام الأحوال ، وتيسير أمور الحكم فى أبسط صوره .

ويكفى الآن أن نعرف أن مصر القديمة قد بدأت محاولاتها الأولى للكتابة مع مطلع الربع الأخير للألف الرابعة ق.م ، أى منذ حوالى عام ٣٢٥٠ ق.م ، بينما :

(أ) لم يعرف العراق القديم مثل تلك المحاولات ، إلا فى الربع الأول من الألف الثالثة ق.م ، أى فيما بين ٣٠٠٠-٢٨٠٠ ق.م .

(ب) ولم تعرف أقدم حضارة يونانية ، فى كريت المينوية ، أقدم صور لكتابتها (التصويرية) الأولى ، إلا مع مطلع الألف الثانية ق.م ،

حوالى مابين : ٢٠٠٠ - ١٧٥٠ ق.م .

(جـ) كما لم يعرف سكان الساحل السورى القديم أو فى منطقة أوغاريت (رأس الشمرا الحالية) الكتابة المسمارية إلا منذ القرن الخامس عشر ق.م ، على أحسن تقدير(*) .

وبالإضافة إلى ماسبق شرحه ، إبان حضارة نقادة الثانية ، من ظهور العلامات التصويرية الرمزية ، فإن تلك الكتابة قد انتقلت إلى مرحلة جديدة فى مشوار تطويرها بإضافة رموز معينة تؤدى غرض المقاطع الصوتية ، ذات الحرفين أو الثلاثة . وبذلك انتقلت الكتابة المصرية القديمة من مرحلة التعبير عن المحسوسات الماديات إلى مرحلة جديدة أصبحت فيها قادرة على وصف المعنويات .

* ومن أبرز خصائص اللغة المصرية القديمة وطِرقٍ كتاباتها المختلفة. أى مراحل تطورها عبر القرون ، هو وجود مخصص ، يحدد معنى الرمز فى سياق الكلام.

* وجاءت الخطوة الحاسمة فى مرحلة تطور الكتابة المصرية القديمة ، ألا وهى إضافة الحروف الهجائية ، يعطى كل شكل منها ، حرفاً محدداً فى الأبجدية المصرية القديمة .

* بلغ عدد هذه الحروف ، عند اكتمالها ، (٢٤) أربعة وعشرين حرفاً.

* ومنذ ذاك الحين ، أى منذ أواخر الألف الرابعة ق.م ، بدأ المصريون يكتبون لغتهم القديمة ، بالخطوط التالية ، وفقاً لتسلسل استخدامهم لها تاريخياً .

(*) هذا وإن كانت أحدث الإكتشافات المسمارية في «إبلا» (Ebla) - بشمال سوريا- تضيف إلينا لوحات كتابية تؤرخ بحوالي عام ٢٠٠٠ ق.م.

(١) **الخط الأول (الأقدم)** : وهو المعروف باسم الهيروغليفى [٣١] وغلب عليه طابع التصوير المتقن وروح الزخرف [٣٢] .

(٢) **الخط الثاني :** وهو المعروف باسم الهيراطى [٣٣] ، أى «الخط الكهنوتى ، وكان سريع الأداء إعتماداً على الصور المختصرة للأشكال القديمة .

(٣) **ثم الخط الثالث :** وهو المشهور باسم : الديموطى [٣٤] ، ظهر منذ القرن (٨) أو (٧) ق.م ، وكان أكثر إيجازاً فى خطوطه وصوره ، لتلبية حاجات الناس جميعاً ، وليس حكراً على موضوعات معينة أو فئة معينة .

ويبدو جلياً ، أن هذه المسميات التى اشتهرت بها تلك الكتابات والخطوط للغة المصرية القديمة ، عبر تطورها طيلة القرون الطويلة ، هى أجنبية ذاعت وانتشرت بعد وصول العناصر اليونانية إلى مصر وقيامهم بالعمل فى جيشها ، كمرتزقة ، أو التجارة معها ، أو الإقامة

---

(٣١) وهى تسمية يونانية الأصل (Hieroglyphiká) مركبة اللفظ ، من كلمتين إثنتين ، الأولى : (Hierós) [هيروس] ، بمعنى (مقدس) ، والثانية (glypho) [جليفو] ، فعل ، بمعني (أحفر ، أنحت) ، ومن ثم ، فاللفظة كلها تعنى : الحفر المقدس ، أو الكتابة المقدسة .

(٣٢) صالح ، المرجع السابق ، ص٧٨ .

(٣٣) نوافق د. صالح على هذا الاشتقاق أو التعريب العربى للفظة اليونانية القديمة (ιερατικós) ، وهى صفة نهايتها (kós__) مشتقة من(lepeus) بمعنى [الكاهن ، وبالتالى فهى الكتابة الكهنوتية] .

(٣٤) وهى لفظة مشتقة أيضاً من الأصل اليونانى ، الصفة (δημοτικós) [(ديموتيكوس)] ، بمعنى «شعبى» ، وبالتالى فإنها تعنى «الخط الشعبى أو الجماهيرى» . ومع موافقتنا على الاشتقاق العربى للفظى هيراطى وديموطى ، لانجد ضرورة ملحة فى تضخيم التاء (اليونانية) إلى (طاء) فى العربية ، حيث يسهل نطق الأولى فى اللسانين، أي تكون هيراتي وديموتي.

فيها والعمل فى أراضيها كفلاحين وغير ذلك من المهن المختلفة،[٣٥] وذلك منذ منتصف القرن السابع ق.م ، حوالى منذ عام ٦٦٤ ق.م. وهم الذين سمّوا هذه الكتابات والخطوط بهذه المسميات السابقة ، التى غلبت على الأسماء المصرية الأصيلة لها ، بين الباحثين ، الذين استراحوا إلى تلك المسميات واستخدموها، ولاسيما أن العلماء الأوروبيين كانوا البادئين بالكشف عن الحضارة المصرية القديمة ، وكان يسيراً عليهم استخدام تلك المصطلحات ذات الأصل الأوروبى ، اليونانى القديم .

كما تجدر الإشارة ، هنا ، أيضاً إلى أننا لن نضيف الخط الرابع ، وهو القبطى، لأنه جاء مع ظهور المسيحية فى مصر ، من ناحية ، كما أنه يعتمد فى معظم أشكال حروفه ، على الأبجدية اليونانية ، وبالتالى بعد أن دخلت مصر فى طور عقائدى جديد، وافد عليها من خارجها ، كما أن شكل كتابتها الرابعة هذه تعتبر أجنبية الأصل وليست ، بذلك ، مصرية أصيلة كالخطوط الثلاثة السابقة عليها ، وإن كان النطق وغالبية المفردات مصرية خالصة ، دماً ولحماً

* كما أضاف الإبداع المصرى القديم ، فى الفترة ذاتها ، تصوير رموز، مستقلة ، مبسطة ، للدلالة على الأعداد الحسابية ، ومضاعفاتها المائة والألف حتى الألف ألف (أى/المليون)[٣٦] .

وكان طبيعياً ، بل وضرورياً ، أن يقترن ذلك كله بالبحث عن

---

(٣٥) راجع بحثى «العلاقات المصرية - اليونانية القديمة» ، فى ندوة [مصر وعالم البحر المتوسط]، فى آداب القاهرة ، والمنشورة فى كتاب باسم الندوة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ص٣٩-٦٣ .

(٣٦) صالح ، المرجع السابق ، ص٧٩ .

أداة سهلة ميسورة للكتابة ، بدلاً من الحفر على الحجر ، الذى كان يحتاج إلى وقت أطول ومجهود أكبر . وقد وجد المصريون القدماء بغيتهم فى أوراق البردى الطرية ، ذات السطح الأملس والقدرات الكبيرة فى إعطاء المساحات المطلوبة ، بالأطوال الكافية ، للتسجيل الميسور بالمداد الأسود والأحمر ، بواسطة أقلام البوص .

وهكذا كانت البداية الحاسمة فى نقل المعارف والمعتقدات من مكان إلى مكان، فى يسر وسهولة وأمان ، ومن جيل إلى جيل . حيث كانت أوراق البردى (التى هى بمثابة كتب الماضى البعيد) تنتقل حاملة الأوامر الملكية ، وتبقى إلى جوار الميت – فى قبره – مسجلة الأدعية والتعاويذ المطلوبة للحظات الحساب وعند البعث والنشور ، فضلاً عن كونها سجلات خالدة لأعمال الحكومة والمراسلات الشخصية بين الأفراد ، وكتابة العقود .

وسنكتفى هنا بإستعرض أسرتين – من الدولة القديمة يمثلان نقيضين فى سياستهما الداخلية – لظروف كثيرة ، لانعرف عنها إلا القليل من النصوص المصرية، المعاصرة حيناً ، واللاحقة أحياناً أخرى..

الدولة القديمة

تقديم : عصر بداية الأسرات :

إنه بالرغم مما قد يقوله علماء التخصص ، في علم المصريات ، من وجود فجوة تاريخية واضحة بين عصور ماقبل التاريخ [أو كما نفضل نحن تسميتها ، بالحق، عصور ماقبل الكتابة] وبين ثقافة وتراث العصور التاريخية في مراحل تطور تاريخ الحضارة المصرية القديمة [لدرجة القول باختلاف الأجناس أو العناصر الآدمية المؤسسة لتلك المرحلة المبكرة من التاريخ الفرعوني ، استناداً إلى أشكال جماجمهم التي تم العثور عليها في مقابر مصر العليا (الصعيد) والمؤرخة بذات الفترة التاريخية] فإن تراث وآثار مصر القديمة تؤكد على وجود مملكتين اثنتين ، مستقلتين عن بعضهما ، مع نهايات الألف الرابعة ق.م. [١] .

المملكة الأولي ، في الشمال (أي/في الدلتا وحتى جنوب مدينة دهشور الحالية) والتي سماها اليونانيون (Κατο Αιγψπτοσ) ، أي «مصر السفلي) .

والمملكة الثانية ، في الجنوب (أي / في وسط وصعيد مصر حتى جبل السلسلة ، شمال الشلال الأول بحوالي (٤٠) ميلاً) ، والتي سماها اليونانيون (Amo Aigyptos) أي «مصر العليا» .

ويبدو أن حقائق التاريخ المصري اللاحق ، على تلك الفترة ،

(1)Aldred, C., Egyptian Art, Thames and Hudson London 1980, p. 31.

لتؤكد إمكانية قيام الوحدة والاتحاد ، في صعيد مصر ، تحت إمرة زعيم قوى أو ملك ، بيفا كان الحال – على النقيض – في الدلتا حيث مدن الدلتا العديدة وتفكك أوصالها على أيدى أمراء وحكام كثيرين ، قلّما يخضعون لصولجان حاكم واحد يوحد تشتتهم . وعلى الأرجح فإن وحدة المملكتين ، الشمالية والجنوبية ، في دولة واحدة ، لابد وأنها تحت على أيدى ملك من ملوك الجنوب الأشداء ، الغلاظ ، أصحاب التراث الوحدودى في الصعيد ، وذلك بعد أن حقق انتصاراً كبيراً على حكام الشمال ، المحليين ، المفككين ، وجعل من نفسه سيداً (فرعوناً) [٢] لكل البلاد بقسميها الشمالي والجنوبي .

وكان الملك مينا (Menes) ، هو أول موحِّد للقطرين – أو البلدين أو المملكتين ، تحت زعامة سياسية واحدة [٣] – لأول مرة – في تاريخ مصر القديم ، وهو الذى أنشأ عاصمته الجديدة ذات : الجدران البيضاء "White-Walls" – وهي التي سميت، بعد ذلك ، منف أو (Memphis) ممفيس ، كما جاء عند المؤرخين اليونان والرومان ,

(٢) كان «الفرعون» ، هو رأس الدولة المصرية القديمة ، قولاً وعملاً ، طيلة كل عهود تاريخ مصر القديم ، وهي تحوير يوناني (pharao) للأصل المصرى «پرعو» ، والذى كان يعني : قصر الحاكم أو البيت العالي .. وكان العبرانيون قد حرفوا هذه الكلمة إلي «فرعو» ، ومنهم نقلها اليونانيون القدماء ، وسجلها هيرودوت (القرن ٥ ق.م) وجاءت العربية فأضافت (نوناً) لتسكين الحرف المتحرك الأخير . وهو مصطلح لايدل على وضع معين أو صفة معينة ، بل منصب إدارى قديم فقط ، ولاعلاقة له بالعدل أو الظلم .. وكان الفرعون قد تلقب بألقاب كثيرة ليؤكد سلطانه الديني والدنيوى ، وبقى منها(٣) ثلاثة : الإسم الحورى ، والإسم النبتى ، والإسم النسوبيتى .. راجع / عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ص٨١–٨٢ . وكذلك Gardiner, A.H., Egyptian Grammar. 71-76.

(3)Aldred, C., op. Cit.

وإن كانت هناك آراء عديدة لمحاولات ، وصل عددها ستة [٤] ، للقيام باتحاد بين أجزاء الشمال ، شرقه وغربه ، من ناحية ، وبين صعيد مصر ، في الجنوب ، تحت إمرة حكام كثيرين ، تارة ينتمون إلى الشمال ، وتارةً أخرى ينتمون إلى الجنوب ، من ناحية أخرى .

ولكنه هناك إجماع ، تقريباً ، بين علماء المصريات ، على أن أوائل دعاة الوحدة التاريخية ، بين قطرى مصر القديمة ، كانوا قد خرجوا من المملكة الصعيدية ، ومن أمثالهم : الملك العقرب ، ونعرمر[٥] (Narmer) [٦] .

ويؤكد سيريل ألدريد ، عالم المصريات ، على تميز أصل الصعيد وتجانس عناصرهم السكانية ، وتمتعهم – قبل كل شئ – بتراث مادى واحد ، وإيمانهم بأفكار دينية واحدة . **فكان العامل الرئيسى لوحدتهم الدائمة هو إنصياعهم لحكم ملكٍ ، واحدٍ، مقدسٍ فى أعينهم** [٧] ، وذلك في ضوء صلايته (Slate Palette) ، التي تم العثور عليها في عاصمة الجنوب هيراكونوبوليس (Hierakonpolis) = مدينة الصقر ، والتي تؤرخ بعام ٣١٦٨ ق.م [٨] ، ويعتقد الكثيرون ، أيضاً ، بأن هذه الصلاية (أنظر شكل (١)) وماتحمل من رسوم وموضوعات على وجهيها ، ترمز إلى عمله الوحدوى الكبير للشمال والجنوب، وتوحيد مصر كلها تحت حكمه . كما أنها تصور المعاني السائدة ، آنذاك ، في

(٤) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ص٦٢-٦٧ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ص٧٣-٧٦ .

(6) Aldred, op. cit., pp. 32-35.

(7) Ibid., p. 32.

(8) Ibid., p. 34.

أذهان أصحابها ، الذين اختاروا تلك الموضوعات بعينها لتخليدها على الحجر ، وانتصار الفرعون ، الإله ، على قوى الشر والتمزق والإنفصال[٩] . أنظر شكل / (٢))

ولما كان عصر بداية الأسرات المصرية ، هو البداية الحقيقية للتاريخ المصرى المؤكد ، فى ضوء المادة الأثرية المكتشفة ، حيث تأكد استقرار العرش الفرعونى وتوارثت أسرات حكم بعضها البعض ، بفضل روابط القربى وصلات الدم ، فقد سماه البعض باسم «العصر العتيق» ، إشارة إلى قدمه البعيد وسبقه لعصور الدولة القديمة – كما قال بذلك الدكتور/ صالح[١٠] .

وقد شمل هذا العصر أسرتين مصريتين قديمتين ، هما : -

الأسرة الأولي :

واشتهر من ملوكها ثلاثة : نَعَرْمَر [الذى سبق ذكره] وعَحَا ، ومينا (Menes) .

وهناك إحتمال – يرجحه صالح – بأن هذه الألقاب هى لشخص واحد ، تبعه ستة ملوك آخرون[١١] كان من أشهرهم چِر ، و دِنْ :

* فالملك «چر» ، تشهد الأدله الأثرية المسجلة على صخور جبل الشيخ سليمان[١٢] ، حيث وجد اسمه منقوشاً هناك ، مما يعنى قيامه

(9) Ibid., p. 35.

(١٠) المرجع السابق ، ص٧٩ ، ويُسمى كذلك باسم «العصر الثنى» ، نسبة إلى مدينة (ثنى) ، وهى مسقط رأس أوائل الملوك فى هذا العصر .

(١١) المرجع نفسه ، ص٨٠ .

(١٢) قرب وادى حلفا ، على حدود مصر مع السودان .

بحملات واتصال بالجنوب البعيد على منطقة النوبة ، ومحاولته استغلال مناجم الذهب الموجودة فى هذه المنطقة[١٣] .

* والملك «دنْ» ، قد أشارت إليه بردية طيبة من الدولة الحديثة ، أى بعد عهده بعشرات القرون !!!! [يا لذاكرة الإنسان المصرى القديم وتقديسه للجدود وعظماء أسلافه !!] وأنه كان يحتفظ ، فى بهو قصره الكبير ، بأجزاء منها [١٤] . هذا ، فضلاً عن أن المؤرخ المصرى مانيتون (Manetho) – فى القرن (٣) ق.م !!!! – قد نسب إليه كتاباً فى التشريح ، وأنه كان بارعاً فى الطب [١٥] .

كما تؤكد قلادة ، من العاج للملك دنْ (Dén) – خامس ملوك الأسرة الأولى – بأنه كان أول فرعون مصرى يقمع الشرق (العدو الآسيوى) ، كما تتضمن ذلك صراحة ، بكتابة هيروغليفية واضحة ، جاءت منقوشة جنباً إلى جنب مع الرسم المعبر ، فوق سطح القلادة ، المكتشفة فى أبيدوس ، وتؤرخ بعام ٢٩٥٠ ق.م. ويعتبر سيريل ألدريد هذه الشهادة الأثرية اليقينية ، لإنجاز الملك «دن» ، عملاً فنياً ، بلغ القمة : "has reached its classic" لموضوعها ، وليس منها أى شك ، وفريدة بين كل أمثالها للملوك السابقين [١٦] .

أما ملوك الأسرة الثانية ، وكانوا ثمانية على أقل تقدير – كما يذكر الدكتور صالح [١٧] ، وهو الذى يؤكد على السياسات الحكيمة

---

(١٣) صالح ، المرجع السابق ، ص٩٣ .

(١٤) المرجع نفسه ، ص٩٥ .

(١٥) المرجع نفسه ، حيث ينسب إلى (چر) هذا العمل .

(16) Aldred, op. cit., p. 36.

(١٧) المرجع السابق ، ص٨٠ .

للفراعنة الأوائل ، بهدف إحداث المزج والدمج بين الرعايا والأسرة الحاكمة ، ذات الجذور الصعيدية وذلك عن طريق عدة وسائل :

(أ) المصاهرة والتزاوج .

(ب) حسن السياسة .

(جـ) إزدواج الألقاب .

(د) الإشتراك في عبادة الأرباب ، على قدم المساواة .

فهاهو «نرمر» ، يتزوج بإحدى سليلات البيت الحاكم القديم ، في الدلتا . وهي الأميرة «نيت حوتب» ، وكذلك فعل الفرعون «دن» ، عندما تزوج بأميرة أخرى هي «مرنيت» ، وكلتاهما تمتعتا بمكانة عالية بين قومها ، وفي القصر الملكي ، بدليل آثارها الضخمة حيث مقبرة الملكة مرنيت ، في سقارة ، وتؤرخ بحوالي ٣٠٠ ق.م ، التي تعكس مدى فخامة البناء وعلوه ، من أجل دفن جثتها ..!!!

ويعلق ألدريد ، بأمانة وإنصاف مقدراً تلك اللوحات الأولى ، المنحوتة فوق صلايات الأسرتين الأولى والثانية ، ولاسيما الخاصة بالملك نارمر (شكل (٢)) ، بوجهيها الواضحين ، سواء نظراً لقيمتها الفنية كنحت بارز ، أو كأقدم أثر ربط بين الرسم والتعبير بالكلمة الهيروغليفية – لأول مرة – فيقول :

"But perhaps the most striking novelty is the appear-ance of hieroglyphic labels attached to the actors in the drama depicted."[18]

(18) Aldred, op. cit., p. 36.

(ب) الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق.م)

إنه إذا كانت الأسرة الرابعة (٢٦٨٠-٢٥٦٩ ق.م) ، هى أشهر أسر الدولة القديمة جميعاً ، بما عرف عنها بأنها صاحبة المعجزة المعمارية الخالدة حتى اليوم ، وهى أهرامات الجيزة الثلاثة ، وأنها بحق - كما وصفها د. صالح [١٩] ، عصر الروعة والبنيان الراسخ ، فإن الأسرة الخامسة أعطت المثال الأول المبكر - فى تاريخ مصر القديمة - لعصر التقوى والرفاهية ، وهما نقيضان قلما يتواجدان فى وقت واحد على أرض واحدة .. فكيف كان ذلك ؟!

(١) الوضع السياسى الداخلى :

* حاولت الأسرة الحاكمة الجديدة أن تلم الشمل بين كبار شخصيات الأسرة السابقة (الرابعة) وكبار أبنائها ، واستطاعت أن تحقق الوئام، بين الجميع ، مع أن أنصار الملوك الأوائل لهذه الأسرة الخامسة الجديدة ، أرادوا ألا يكون للأسرة السابقة أى فضل عليهم فى الوصول إلى حكم البلاد [٢٠] .

* تفتنت عبقرية الإعتزاز بالنفس والثقة الزائدة فيها ، بأن إدعى أنصار الملوك الأوائل فى الأسرة الخامسة بأنهم إنما جاءوا إلى الحكم تطبيقاً لإرادة ربانية قديمة وبحق الأصل المقدس ، أى أنهم ينتسبون إلى «روح» الإله «رع» ، رب الشمس ، إدعاء أسطورى جميل ، فيه

(١٩) المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(٢٠) وكان ذلك بعد أن تزوج كبير الأسرة الخامسة من سليلة الفرع الحاكم فى الأسرة السابقة .

هروب من واقع ليس أليماً ، ولكنه التعالى والتسامى ، المطلوبان من الحاكم ، حتى ولو بالإدعاء الكاذب [٢١] ، **هنا نقف أمام أقدم محاولة للخداع السياسى** ، على حساب العقيدة [٢٢] . ذلك بسبب الطريقة التى تم بها ذلك ، حيث خرج الكهنة ، بأوامر ملكية بالطبع ، يؤكدون على بنوة الملوك الأول للأسرة الخامسة من الإله الأكبر «رع» ، وبلغ الاهتمام الدعائى بهذا الأمر أن سجلها الكهنة على برديات تجوب البلاد جميعها [٢٣] . ويعلق د. صالح ، بموضوعية وأمانة تاريخية ودقة بحثية حول هذا الموضوع فيقول :

«ولسنا ندرى مدى قبول الناس لما روته هذه الدعاية أو هذه الأسطورة ، إن كانوا قد تقبلوه عن إيمان وتصديق ، أم اعتبروه مجرد مبالغة من الكهان وأهل البلاط لصالح ملوكهم [٢٤]» .

* والحق يقال أن البداية ، منذ أول ملوك تلك الأسرة وهو الفرعون «وسركاف» ، جاءت حاملة الأمل فى عصر تسوده العدالة والحق ، فلقب هذا الفرعون نفسه باسم «إرماعت» ، أى : «محق الحق» ، أو «واضع النظام» .

* حكم من بعد «وسر كاف» ، ثمانية ملوك ، حرصوا جميعاً على

(٢١) كان أولئك ينتمون إلى أم طيبة وأب مبارك من كهنة الإله «رع» ، وليسوا أبناء لهذا الإله ؟!!! .

(٢٢) وإن كان الملك خفرع ، ابن الملك خوفو ، هو أول من صرح ببنوته من الإله «رع» فلقب نفسه «سارع» ، أى «ابن رع» ، راجع /صالح ، المرجع السابق ، ص١٢١ .

(٢٣) تم الكشف عن بردية تسمى بردية «فستكار» ، هو نسخة من الأصول القديمة ، ولكنها تؤرخ بالدولة الوسطى ، راجع / صالح ، المرجع السابق ، ص١٣٠ .

(٢٤) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، القاهرة ، ط(٣) ، ١٩٨٢ ، ص١٣٠ .

إضافة لقب «رع» إلى أسمائهم الشخصية ، لتحقيق الأهداف ذاتها التى بدأها مؤسس تلك الأسرة ، وهى : الحق الإلهى فى العرش الملكى ، هذا من ناحية ، وكذلك التبرك بالاسم الإلهى على أمل دوام الملك ، مثل الشمس ، أو على الأقل الصفح والغفران فى الحياة الثانية عند البعث والنشور إلى جواره [٢٥] ، من ناحية أخرى .

(٢) الآثار :

* وتؤكد المادة الأثرية المتاحة ، على الإيمان العميق لملوك وشعب الأسرة الخامسة بإله الشمس «رع» ، حيث زاد الإهتمام بمعبده الكبير فى مدينته المختارة «عين شمس» ، وأقاموه له (٦) ستة معابد أخرى فى أماكن متفرقة من البلاد .
* ومن أبرز الرموز المقدسة لعبادة الإله «رع» ، رب الشمس والضياء الدائم ، تلك المسلات [٢٦] الحجرية العملاقة ، ومنها مسلة الملك «نى وسر رع» – سادس ملوك هذه الأسرة ، والتى بلغ ارتفاعها الأصلى، نحو ستة وثلاثين متراً ، وكانت – فيما يرجح – مكسوة بصفائح النحاس أو الذهب ، لتعكس ضوء الشمس الواقع عليها . وربما لهذا السبب سميت «بنبن» (binbin) ، بمعنى «المشعة» [٢٧] : لماذا ؟!!! .
* ولاننسى العثور على مراكب الشمس التى عادة ماكانت تجاور المعبد – وقد بلغ طول إحداها [قرب الجدار الجنوبى من معبد الملك «نى

(25) Cf Wainwright, J.E.A., XXv, 30 f. راجع

(٢٦) تعرف المسلة ، فى اللغات الأجنبية الأوروبية باسم "obelisk" ، وهى مشتقة من الأصل اليونانى "oβελισkos" (أوبيليسكوس) .

(٢٧) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص١٣١ ، حيث يعرض آراء العلماء الآخرين .

وسـر رع،] حـوالى (٣٠) ثلاثين مـتـراً ، من الخـشب . وذلك للإعتقاد الإيمانى الذى كان يسود آنذاك حول استخدام رب الشمس لأمثال تلك المراكب فى رحلته النهارية ، عبر السماء (التى ظنوها كالبحر) ليضئ للأحياء ، وكذلك فى رحلته الليلية ، فى أعماق العالم السفلى ، لينير للموتى حياتهم الثانية .

* ويلاحظ ، كأهم وأوضح ملامح معابد الشمس ، أنها لم تكن تحتوى على تماثيل للإله «رع» وإله الشمس ، كبقية أغلب معابد الأرباب فى أغلب العصور القديمة ، وذلك تنزيهاً له على أن يحدُّه مكان أو أن يتجسد فى تمثال يختفى خلف الجدران والأستار ، لأنه موجود فى كل مكان ، سابغاً فضله على مظاهر الحياة الدنيا (٢٨) .

* وجدير بالذكـر ، كـذلك ، أن آثار الأسـرة الخـامسـة لم تخلُ من أهرامات ، تم بناؤها فى سقارة وأبى صير ، ولكنها حملت فروقاً واضحة عن أهرامات الجيزة ، التى أقامها أسلافهم ملوك الأسرة الرابعة ، ومن أهم هذه الاختلافات مايلى :

(١) أهرامات الأسرة الخامسة تقل كثيراً عن سابقتها من حيث الضخامة الملكية ، وأحجام أحجار البناء ، وبالتالى أقل فخامة فى شكلها النهائى .

ويعلل عـلامـة المصريات الأكبر فى مصر ، الأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز صالح، ذلك لسببين (٢٩) :

(أ) بعدم سيطرة ملوك هذه الأسرة على موارد البلاد سيطرة كاملة كما كانت من قبل إبان الأسرة الرابعة .

---

(٢٨) المرجع نفسه ، ص١٣٢ .

(٢٩) المرجع نفسه .

(ب) إستقطاع نصيب ، لابأس به ، من تلك الموارد لمعابد الإله «رع» ، والمعابد الأخرى ، لترضية كل الأطراف وكسب ودهم ومساندتهم للحاكم .

(٢) الاهتمام الزائد بالزخارف والشكل على حساب متانة الأبنية ، حيث تم تشكيل تيجان أعمدة معابد تلك الأهرامات على هيئة سعف النخيل وزهور البردى ، وكثرت المناظر المنقوشة (wall-painting) على الجدران بشكل ملفت للنظر[٣٠].

(٣) اكتشاف متون الأهرام ، لأول مرة ، على جدران حجرة الدفن فى هرم الفرعون «ونيس» ، آخر ملوك الأسرة الخامسة ، والتى تؤرخ بأواخر القرن الخامس والعشرين ق.م ، وأهميتها الكبيرة لما تسجله من تراتيل ودعوات وأقاصيص وأسماء الأرباب وكثيرين أمانى المؤمنين فى الآخرة ، وجنباتها ، وكثير من مخاوفهم من أقطارها وعتباتها ، فضلاً عن تصورات الكهان والعباد عبر أجيال كثيرة ماضية – عن سلطان الفراعنة فى العالم الآخر .

وقد سجلت المادة الأثرية المتواضعة ، بمقارنتها بالإعجاز المعمارى للأسرة الرابعة ، المكتشفة من عصر الأسرة الخامسة بعض التجديدات وأهمها ، هو تنظيم صرف المياه ، فوق أسطح المبانى ، وتحت أرضياتها ، وذلك فى مجارى خاصة بها، فكانت الميازيب ، فوق الأسطح ، والمجارى الأرضية المنحوتة فى الأحجار أو المواسير المعدنية (النحاسية) هى الوسائل الجدية للصرف الصحى النظيف .

---

(٣٠) حتى أن أحد العلماء الألمان الأثريين قد أحصى مساحات الجدران المنقوشة فى مجموعة الملك «ساحورع» ، فوجدها حوالى (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف متر مربع .

(٣) الوضع الاجتماعي :

إحساساً بضروراً كسب الود الشعبي ، وتأييد كبار رجالات الدولة والكهان ، سارت حكومات الأسرة الخامسة على سياسة تسامح ومجاملة مع المعابد والكهنة وأهل الطبقة العليا ، الذين، بموافقة الفرعون ، استطاعوا أن يبلغوا مناصب الوزارة ، بعد أن كانت قاصرة على كبار الأمراء وحدهم ، منذ نشأة المناصب الوزارية ، لأول مرة ، على أيدى الملك سنفرو (مؤسس الأسرة الرابعة) ، ثم خطت الطبقة الحاكمة خطوة أكبر فتصاهرت ، وتزوجت منها ، وزوجت أميرات لهم .

وكان الملوك غاية فى التواضع والتراحم والتعاطف مع رجالهم ووزرائهم ، مثلما أكدته قصة الموت الفجائى لأحد الوزراء ، لحظة افتتاح إحدى المنشآت الملكية ، وقيام الملك (نفر إركارع) [ثالث فراعنة الأسرة الخامسة] ، بمحاولة إسعافه بنفسه إعتماداً على معارفه الطبية الخاصة ، وفشله فى ذلك ، وموت الوزير عندئذ ، فيدعو الملك للميت ويرجو رحمة الأرباب له ، ثم يسمح لابن الوزير المتوفى ، أن يسجل ذلك كله فى مقبرته [٣١] .

وليس أدل على هدوء الحياة الاجتماعية وسيادة المثل النبيلة والقدوة الصالحة ، من العثور على تعاليم الوزير «بتاح حوتب» ، داخل مقبرته ، التى سجل فيها نصائح لإبنه ، يعلمه فيها آداب المعاملة والسلوك الصحيح ، داخل أسرته وعمله ومجتمعه ، وكذلك لزيادة تقواه تجاه الآلهة ، ودعوته له لتحقيق التوسط فى كل سلوكياته ومعاملاته .

---

(31) Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, vol. I, Nr. 257 f. راجع

(٤) العلاقات الخارجية :

* زادت علاقات مصر بالجنوب - وبالتحديد مع بلاد بونت[٣٢] ، عما كانت عليه من قبل إبان الأسرة الرابعة ، لاستيراد البخور واللبان والمر .
* كما اتسعت علاقات مصر التجارية الخارجية مع الشمال ، وتحديداً مع فينيقيا والساحل السورى ، عن طريق البحر . وسجلت الرسوم فى معبد الفرعون «ساحورع» ، المراكب القادمة من الشمال ، يستقبلها هو وحاشيته لما تحمله من خيرات[٣٣] .
* ولم تخلُ صور الآثار ، على معبد الفرعون «ساحورع» ، من مناظر عسكرية لحملات تأديبية ضد قبائل بدوية فى الصحراء الغربية وكسر شوكتهم وأسر أولادهم وزوجاتهم وأمرائهم مستسلمين لسطوته.

ونتيجة لنظام إدارى دقيق ، أسلم الفرعون القيادة فى بعض مهامها ، لأيدى وزراء وقيام دواوين القضاء والمحفوظات والسلاح بمهامها المحددة ، فسارت أمور الدولة المصرية القديمة فى أمان واستقرار ، إنعكس على إيمان الناس القوى برموز الحكم والفرعون ، على رأسهم ، وزادت رفاهية كبار المواطنين فى ظل تسامح وعطف الحكام والفرعون.

---

(٣٢) وكان يقصد بها الصومال وإرتيريا ، راجع صالح ، المرجع السابق ، ص١٢٤ وحاشية (١) .

(٣٣) وربما كان عليها أيضاً عروس للفرعون الذى كان فى انتظارها ، راجع/صالح ، ص١٣٥ .

البيروقراطية والتحرر في الأسرة السادسة
(٢٤٣٠ – ٢٢٣٠ ق.م)

أولاً : الأوضاع الداخلية :

(أ) الحكم والإدارة :

كان دور كبار المواطنين والكهنة ، بخاصة ، قد بدأ يكبر ويزداد مع الأسرة الخامسة السابقة ، مما قلل المسافة بين الحكام والمحكومين ، وأظهر الفراعنة ، نوعاً من التعاطف والود والتقدير لوزرائهم المخلصين لهم ، وكانت تلك السياسة المتسامحة المتواضعة تتجلى في صور منها أن منح أبناء كبار الموظفين المقربين إلى الفرعون مناصب آبائهم ، عند وفاتهم .

ولما جاءت الأسرة السادسة سارت على النهج نفسه وازدادت سياسة التقارب هذه أكثر وأكثر ، وكان الفرعون تتي (Teti) – على رأس تلك الأسرة – هو أول البادئين بأن خطى خطوة أكبر في هذا الاتجاه ، وذلك عن طريقين :

(١) قام بتزويج بناته من كبار موظفيه .

(٢) تزوج هو نفسه من بنتين لأحد كبار ولاته[٣٤] .

وقد وصل ذاك التسامح حداً كبيراً لدرجة أن توسع فراعنة تلك الأسرة في تربية أبناء كبار موظفيهم ، داخل قصورهم ذاتها ، وهو شئ

---

(٣٤) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق.

أقرب إلى التبنى الكامل ، المعروف فى عالم اليوم .

أما بخصوص علاقة الفرعون بالكهنة ورجالات الدين آنذاك ، فقد سارت هى الأخرى ، فى طريق متوازى مع سياسة إرضاء كبار القوم والشخصيات المقربة من الفرعون وحاشيته . ومن هنا نجد الملك يسترضى أولئك بالمنح والهبات والعطايا الكثيرة التى أخذت أشكالاً عدة، منها ، تحرير المعابد من التكاليف المفروضة عليها ، مثل بقية مصالح البلاد . وهكذا تتميز المعابد والقائمون عليها بزيادة دخولهم وكثرة ممتلكاتهم التى كان الفراعنة يوقفونها (كأوقاف) للإنفاق على الشئون الدينية الخاصة بالمعابد والطقوس والقرابين وإتمام الشعائر وإقامة الاحتفالات فى المناسبات المختلفة . فالفراعنة ، بذلك ، ربما يخسرون بعض المال من موارد خزائنهم ، لكنهم ، بالضرورة ، يكسبون ولاء الكهنة وتحييد أحقادهم ويوقفون مكائدهم ضد الدولة والعرش. وكثيراً ماسمعنا عن صدور مراسيم ملكية ، فرعونية ، بالإعفاء من الضرائب أو زيادة أراضى الوقف لمعبد من المعابد .

كل ذلك أدى فى نهاية المطاف ، إلى تضخُّم مكانة كبار رجالات الدولة وزيادة الثقة فى نفوسهم ، وإحساسهم بأنهم «مَرْضِى عنهم» ، وبالتالى كانت اللامبالاة فى أداء أعمالهم ووظائفهم . ولاسيما حكام الأقاليم ، مما انعكس على درجة إجادة العمل العام وضياع كيان الصالح العام للدولة فى ظل سيادة وانتشار المصلحة الشخصية وعلو مكانة «الأنا» الاجتماعية بين الرعايا وعلى حسابهم .

ومما لاشك فيه أن درجة نفوذ كل حاكم إقليمى ، أو موظف كبير كانت (فى الماضى ولازالت حتى يومنا هذا) تتأرجح قوة وضعنا بين عاملين إثنين :

الأول (وهو العامل الرئيسى الأساسى) : قوة شخصية الفرعون نفسه .

والثانى (وهو العامل الثانوى التابع) : درجة طموح الوزير أو الموظف الكبير أو حاكم الإقليم ، الذين كانوا أحد فريقين : –

(أ) حرص أغلبهم على تأكيد مكانة الفرعون وفضله وتوجيهاته[٣٥] .

(ب) قلة منهم حرصت على إبراز مجهوداتها الشخصية ومآثرها الفردية وتخليدها داخل مقابرهم ، وكان أبرزهم أحد حكام منطقة فى إقليم أسيوط ، يدعى «هنقو» ، الذى تفاخر بأنه :

(١) أغدق الطعام والشراب ومنح الكساء لفقراء إقليمه .

(٢) شجع الهجرة إلى إقليمه لتعميره مما قوّى من اقتصادياته .

(٣) جعل مزارعيه ملاكاً[٣٦] ؟! .

(٤) قام بتنمية الثروة الحيوانية فى إقليمه من ماشية وماعز ..

وكان يحق لمثل هذا الحاكم الإقليمى الناجح ، العادل ، العامل ، أن يرفعه رعاياه إلى مصاف الأولياء ودرجة التقديس من فرط حبهم له ، وحسن صنيعه معهم[٣٧] .

وماذا كان الفراعنة فاعلين إزاء هذا التقاعس وتغليب المصلحة الذاتية وضياع هيبة الحاكم الأول للبلاد ، إزاء كبر أدوار الحكام المحليين

(٣٥) كما نسمع اليوم ، دائماً وأبداً ، من كبار مسئولينا ووزرائنا أن كل شئ يتم بناء على توجيهات الرئيس ، ووفق توصيات الرئيس ، وكما قال الرئيس .. إلخ .

(٣٦) وهنا يجب التوقف عندها قليلاً ، لأنه إذا صح ذلك ، لأصبح هذا الحاكم الإقليمى أول من ملّك المستأجرين من فلاحى إقليمه ، وبالتالى يسبق الإصلاح الزراعى المصرى (بعد ثورة سنة١٩٥٢) بآلاف السنين !!! .

(٣٧) صالح ، المرجع السابق ، ص١٤٠ .

وزيادة نفوذهم فى أقاليمهم؟!!

والظاهر ، من خلال نصوص هذه الأسرة، أن بعض الفراعنة كان قد سكت ، أو أصح ، تظاهر بالسكوت والرضى عما يراه ، لأنهم كانوا مضطرين إلى مسايرة الأوضاع الجديدة التى أدت إليها سياساتهم المتسامحة مع أولئك ، ولكن البعض الآخر أظهر تخوفه من إنفلات السلطان من بين يديه وتهاون الولاة فى أداء مهامهم تجاه الفرعون ، أو قيام الطموحين منهم بالاستقلال عن العاصمة ومناوءة الفرعون نفسه ، لذلك لجأ بعض الملوك إلى ماسبق شرحه من وسائل ، لاسيما تبنى أبناء كبار الولاة وتربيتهم فى القصور الملكية لعلهم يضمنون بذلك ولاءهم وأملاً فى دعمهم لذوى النعمة عليهم .

(ب) شئون المجتمع :

من حسن حظ الدارسين للحضارة المصرية القديمة أن حفظت لهم رمال مصر الدافئة نقوش المقابر سليمة ومن أهمها .. فيما يخص المجتمع المصرى إبان عصر الأسرة السادسة – قصة «ونى» ، كبير موظفى القصر الفرعونى ، والمسئول عن التحقيقات والقضاء [٢٨] . وهى قصة على قدر كبير من الأهمية الاجتماعية لتبيان نوعية مشاكل القصر الفرعونى ، من داخله ، وكيفية مواجهتها ، واحتمالات بواعثها وأسبابها . ويلاحظ على هذه القصة ، التى لم تذكر شيئاً عن سبب القضية موضع التحقيق ، الذى قام به «ونى» ، حيث كان هناك خلاف (لسبب ما ؟!!) بين الفرعون پپى وزوجته الملكة إيمتس ، لأمر

(٢٨) سجل لنا «ونى» قصته على جدران مقبرته فى «أبيدوس» ، وتم نقل تلك الجدران المنقوشة . نظراً لأهميتها الشديدة والخوف عليها من نصوص الآثار إلى المتحف المصرى بالقاهرة حيث تعرض كما هى

أَتَتْه (؟!!) - كما يقول د. صالح ، وهو الذى ذكر لنا مجموعة من الاحتمالات الممكنة لذاك الخلاف ، وهى :

(١) ربما كانت الملكة قد خانت الملك مع أحد وزرائه .

(٢) ربما تآمرت على إحدى ضرائرها المحبوبات عند الملك .

(٣) ربما تآمرت ضد أحد أبناء ضرائرها لمنعه من الوصول إلى العرش .

(٤) ربما كانت الملكة قد تآمرت على الفرعون نفسه .

عندئذ ، وبعد أن افتضح أمر الملكة ، ولم يشأ الفرعون الفضيحة - أياً كان سبب المؤامرة أو الخيانة - فقد أحال الموضوع إلى التحقيق معها ، على يدى «ونى» لمعرفة أقوالها ، ولكى تتمكن من الدفاع عن نفسها ، وصولاً إلى الحقيقة أو الاعتراف بالإثم .

ولنا - هنا - كلمة نعقب بها على هذه القصة الدرامية ، كأقدم أثر قضائى ، على مستوى القصر الفرعونى .. إنها قمة التسامى وعلو المكانة الفرعونية ، التى لم ترض لنفسها أن تقتص لنفسها وهو القادر ، بيديها أو بقرار منها . هنا العدالة تأخذ مجراها ، فى أفضل صورها . ثم الحرص الفرعونى على عدم افتضاح أمر القصر ، ولذلك لم يذكر النص شيئاً ، لاعن سبب الخلاف ، ولاعن نتيجة التحقيق ومضمون القرار الفرعونى بشأن تلك المؤامرة .. وإن كان التاريخ قد سجل أن الفرعون نفسه قد تزوج ، بعد ذلك - لأول مرة - من غير الأميرات ، من بنت أحد عظماء الأقاليم وأنجب منها ولى العرش . فهل كان ذلك هو الرد الملكى المناسب على مؤامرة زوجته عليه ؟!! أم ماذا ؟ لاندرى!

ظهور الأقزام :

ويلاحظ كذلك ، غير تلك المؤامرة داخل القصر الفرعوني نفسه ، أن عنصراً آدمياً جديداً قد بدأ يظهر في قصور الفراعنة وبيوتات الأثرياء وفي المعابد ، ألا وهو الأقزام . ولاندرى سبباً جاداً لاستقدام هؤلاء والسماح لهم بالعيش داخل القصور الملكية ، ذلك لأن اليد العاملة ، المصرية المحلية ، كانت ، ولازالت حتى يومنا ، أرخص بكثير من الأجنبية ، فضلاً عن سهولة التعامل معها والتفاهم بلغة واحدة ، بالإضافة إلى كون العمال أو الخدم المصريون هم أعلم ، من غيرهم ، بآداب مجتمعهم.. فلماذا ، إذن ، أتى بهم الفراعنة وكبار رجال الدولة وأثرياء المجتمع ؟!! ليس هناك من خدمة واحدة لأولئك سوى التندُّر بهم والضحك على أفعالهم واتخاذهم مصدراً للترويح عن سادتهم ، لأنهم كانوا يشترون ويصبحون عبيداً لأسيادهم . ومن هنا فقد كان دور الأقزام الرئيسى ، في المجتمع المصرى آنذاك ، هو إسعاد أصحابهم بالرقص ، تارة ، والعزف ، تارة أخرى . هكذا كانت البداية .

ولكن الأقزام ، بمرور الوقت ، كسبوا حب مواليهم وأصحابهم فأتمنهم أسيادهم على أسرارهم ومقتنيات بيوتهم ، كما عمل البعض منهم في الصناعات الدقيقة ، كصناعة الحلى . وشارك ، البعض الآخر ، في أداء طقوس المعابد ورقصاتها وعزف الموسيقى ، فضلاً عن دور معلوم لهم في تأدية مراسيم الجنازات الكبرى [٣٩] .

ولقد أظهرت لنا الدراسات الأثرية تواجد الأقزام المصريين ، كذلك ، في سوق العمل آنذاك ، وكانوا يختارون من بين قصار القامة أو ناقصى التكوين الجسمانى (أى أصحاب العاهات والعيوب الخلقية) [٤٠] .

---

(٣٩) المرجع نفسه .

(٤٠) صالح ، المرجع نفسه ، ص١٤٦ .

أما عن أوضاعهم ، ولاسيما المصريون منهم ، فلم تكن مهنية دائماً ، وذلك فى ضوء ماعرفناه عن أحدهم ، وكان يدعى/سنب (Se- neb) ، وهو الذى تولى مناصب كبيرة فى البلاط الفرعونى [٤١] والكهانة فى نهاية الأسرة الخامسة أو بداية الأسرة السادسة ، أى حوالى منتصف القرن الخامس والعشرين ق.م .

رحالات الاستكشاف [٤٢] :

عبر المصريون القدماء ، بلغتهم عن أهل الجنوب (النوبة) باسم عام وهو «نحسيو» ، وعرف النوبى بأنه «بانحسنى» [٤٣] .

وجدير بالذكر أن علاقة المصريين كانت قد ازدادت بهذا الإقليم الجنوبى ، وفى إطراد مستمر ، لعدة اعتبارات ، منها :

(١) كان المصريون يعتبرون منطقة النوبة جزءاً متمماً لحدودهم الجنوبية .

(٢) حرصهم الدائم على تأمين الحياة عند تلك النقطة الهامة .

(٣) وضع حد لشغب القبائل الجنوبية المستمر وتهديدها لطريق التجارة الجنوبى .

(٤) حاجة المصريين لاستغلال محاجر النوبة ، ولاسيما حجر الديوريت ، وكذلك مناجم الذهب فى مناطقها الشرقية .

---

(٤١) فقد تزوج من سيدة نبيلة ، ويخرج فى موكب بصحبة محفة ومظلة وأتباع .

(٤٢) فضلت استخدام هذه اللفظة ، لأنها تنبئ عن طبيعة تلك الرحلات بأنها استكشافية حاول بها المصريون التعرف على مناطق جديدة وثروات جديدة ، ولم تكن كشوفاً لايعلمونها من قبل .

(٤٣) ألايمكن اعتبار التعبير المعاصر الدارج القائل : «إنت منَحَّس قوي» ، مثلاً ، بقايا ذاك الاسم القديم ؟! .

(٥) رغبتهم فى فتح أسواق جديدة للتبادل التجارى لا للتصدير إليها فقط .

(٦) اعتبار المصريين لها كمنطقة وسط (ترانزيت) للوصول إلى أرض السودان الغنية بنباتاتها وحيواناتها .

ولهذه الاعتبارات السابقة ، كان لزاماً على فراعنة مصر جميعهم أن يقوموا برحلات استكشافية لتلك البقاع الجنوبية ، تارة بغرض التجارة واستجلاب مواد خام جديدة ، وتارة أخرى بهدف التأديب وإظهار قوة الحكم وقبضته الشديدة ضد الخارجين على نظامه .

وتجدر الإشارة إلى قيام كبار حكام إقليم أسوان بدور الوساطة فيما بين حكام مصر وفراعنتها وبين أهل النوبة ، فقد كانوا بمثابة الحلقة التى تجمع بين العنصرين : الدم المصرى والدم النوبى ، فضلاً عن معرفتهم للهجات النوبة والسودان ، مما يجعلهم قادرين على أداء دور المترجمين بين الطرفين ، وكان أكثرهم أثراً وأشهرهم إثنان هما : حرخوف ، وببى نخت [٤٤] .

ويمكننا إيجاز ملاحظاتنا على أمثال تلك الرحلات ، ولاسيما تلك التى سجلها لنا حرخوف فى نصوصه ، والتى بلغت «أربعاً» ، فى عهد الملكين مرِنْرع وببى الثانى ، كالتالى :

(١) كان هدف هذه الرحلات هو أن «يكتشف بها طريق» إلى تلك الفيافى» مما يوضح نية الكشف التجارى والإدارى .

(٢) سلك قائد الرحلات طريقين :

(أ) أحدهما موازى للنيل وقريب من مجراه .

(٤٤) المرجع نفسه .

(ب) وثانيهما داخل الصحراء الغربية يصل إلى الواحات .

(٣) قطع حرخوف ، في رحلته الثانية [وكان قد بدأها من أبيدوس ، في جنوب مصر ، وسلك طريق «العاج»] مسافة نحو ١٧٢٥ ك.م[٤٥] على ظهور الحمير . واستغرقت ثمانية شهور ، ذهاباً وإياباً.

(٤) هناك طريق ، يسمى «طريق الواحة» ، والذى يعتبره د. صالح ، على الأرجح ، طريق درب الأربعين ، المعروف بهذا الاسم حتى يومنا هذا [٤٦] .

(٥) توغلت التجارة المصرية ، في أوائل عهد ببى الثانى ، إلى أسواق كرما (Kerma) ، في أقصى مديرية دنقلة ، وذلك على يدى والى آخر من ولاة إقليم أسوان ، وهو پپى نخت ، الذى اشتهر بالبأس والقوة .

(٦) استمرت الاتصالات المصرية التجارية ، كذلك ، ببلاد بُونْت ، وسواحل الشمال الفينيقي والسورى القديم [٤٧] .

الفنون والعمارة :

. حرص أمراء وحكام الأسرة السادسة ، كعهدهم ، أن يقلدوا السلف فى كل شئ ، فبنوا أهرامات لهم ، بسيطة الأحجام ، فى منطقة سقارة .

---

(٤٥) صالح ، المرجع السابق ، ص١٤٥ .

(٤٦) قام بهذا التقدير أحد الباحثين وهو ديكسون ، راجع/صالح ، المرجع نفسه ص١٤٥ .

(٤٧) سجل فلاح مصرى ، يُدعى «خنوم حوتب» ، أنه قد زار ميناء جُبيل ، وكذلك سواحل بونت (أى اتجه شمالاً وكذلك جنوباً) إحدى عشرة مرة .

كما صور النحت ، لأول مرة ، الفراعنة (ولاسيما ببى الأول) كطفل صغير ، عارى ، فى سن الرضاعة ، وأيضاً على هيئة تمثال جالس على حجر أمه ، وصوره جاثياً على ركبتيه يقدم القرابين للإله المعبود ، بعد أن صار رجلاً . هذه سابقة تشكيلية لامثيل لها من قبل ، ولم يكن أحد يجرؤ على فعل ذلك أبداً . إنها محصلة التواضع والتسامح والود والألفة بين الفراعنة ورعاياهم ، بما فيهم فنانينهم الذين يعملون فى خدمتهم داخل قصورهم .

وكذلك قدم لنا فن العمارة والبناء النماذج الأولى لمقابر فوق سطح الأرض ، وقد وصل عدد حجرات إحداها ، إلى (٣٣) ثلاثة وثلاثين حجرة ، امتلأت بالزينة الزائدة والزخرف وأدوات التجميل المختلفة من شعور مستعارة وقلائد .

ويبدو أن ظاهرة الخروج على التقاليد المتوارثة ، فى الفن ، كانت واضحة فى تلك الفترة كتيار ساد وانتشر بين الفنانين .

ذلك لأن الرسوم الجدارية ، كذلك ، قدمت لنا لأول مرة ، مناظر شبه عارية لفتيات يرقصن فى رشاقة أشبه بالبالية الآن . ولايخفى علينا أن هذه الرسوم لايمكن أن تكون معبرة عما كان يقوم به أهل البيت الفرعونى ، بل لابد أنها كانت تصور راقصات مأجورات ، أو جاريات فى القصور وبيوت الأمراء وكبار رجالات ذاك الزمان .. مما يعكس الترف الزائد والرفاهية المأجورة والتحرر الأخلاقى ، حتى ولو كان من غير أبناء البيوتات الكبيرة وكبار موظفى الدولة والقصر الملكى[٤٨] .

---

(٤٨) راجع د. صالح ، المرجع السابق ، ص١٤٤ وكذلك كتابه الفن المصرى القديم ، لوحة ٢٩ .

وهكذا كان الدكتور العلامة أستاذنا د. صالح محقاً فى وصفه لهذه الأسرة السادسة ، من الدولة القديمة ، بأنها عصر البيروقراطية والتحرر : فكانت بيروقراطية الإدارة والحكم ، ومتحررة [إلى حد التحلل] فى فنها ومزاجها الخاص .

عصر الانتقال الأول
(من حوالى ٢٢٠٠ ق.م - ٢٠٥٢ ق.م)

أو هى فترة «اللامركزية الأولى» - كما يحلو للدكتور صالح أن يسميها [١] ، بسبب ضياع هيبة الفرعون الواحد ، واستقلال حكام الأقاليم بما يحكمون وقيام عاصمة جديدة للحكم فى شمال صعيد مصر (إهناسيا) وانتشار الفوضى والفساد وتدهور الأحوال السياسية والاجتماعية الداخلية وزيادة التهديدات الخارجية من إعتداءات للبدو الرحل (بدو سيناء وبدو فلسطين) على حدود البلاد الشمالية الشرقية .

لقد كان طبيعياً - كما قلنا من قبل - أن تتدهور أحوال البلاد والعباد بعد فساد الإدارة الحكومية وتقاعس كبار الموظفين وانتشار الفوضى وذيوع التحرر الأخلاقى ، وضعف الحكومة المركزية ذاتها إذ حكم ببى الثانى أكثر من (٩٠) عاماً حتى أصبح كهلاً لايقوى على شئ وانعكس ذلك على كل أجهزة الدولة المركزية وضياع هيبتها أمام حكام الأقاليم الإنتهازيين .

وليس هناك أدق أو أفضل لوصف حال البلاد عندما أفاقت على ثورة للجياع ، كما صورها لنا أحد الحكماء المصريين (وربما أحد الموظفين الكبار لأحد أقاليم الدلتا) وهو إيبوور ، فى أواخر عهد ببى الثانى ، أو عهد أحد خلفائه الضعاف أيضاً . ولقد حمل ذاك الحكيم الحكومة المركزية تبعة ما آلت إليه أحوال البلاد والعباد من ضعف ودمار .

(١) المرجع نفسه ، ص١٤٨ .

ويمكننا إيجاز مظاهر تلك الثورة ، ثورة الفقراء والمعدمين ضد كل الأثرياء أحياءً كانوا أم أمواتاً فى قبورهم ، فى عدة نقاط :

(١) بدأت الثورة من العاصمة وصاحبها عنف وانتقام .

(٢) إستباح الثوار اقتحام الدواوين الحكومية ومزقوا الوثائق البردية والسجلات الرسمية ، ويكفى مايقوله النص :

«وانقلبت العاصمة فى ساعة ... وانكشفت الأسرار الملكية فى الصعيد والدلتا.. وقالت كل مدينة دعونا نقصى العتاة من بيننا[٢]» .

(٣) الغل الاجتماعى ، فى قلوب الفقراء والمعدمين ، كان هو مفجر هذه الثورة ، بسبب التسيب الأخلاقى بين أوساط الأغنياء والاستفزاز فى الإسراف والبذخ لمظاهر الحياة المترفة داخل بيوتات الوزراء والحكام والقصر الفرعونى .

ومع ذلك ، فقد ترتب على هذا الخراب والدمار المادى تغييرات حميدة ونتائج طيبة ، صورها لنا إيبوور ، ومن أبرزها ثلاثة :

الأولي : خلق نوع من الوعى القومى وإثارة الحمية الوطنية فى قلوب المخلصين من أبناء مصر الواعين ، المفكرين ، أمثال إيبوور ، الذى يقول متألماً محسوراً :

«.. فهذه كل بلد أجنبية (تجرأت علينا) ، وهذا ماؤنا (أمامنا) ، وهذه سعادتنا (فى أرضنا) ، ولكن ما الذى نستطيع أن نفعله من أجلها والكل آيل إلى الدمار ؟!» .

(٢) النص الأصلى موجود فى بردية تعرف باسم : بردية ليْدن : P. Leiden, I. .

الثـانيـة : ظهـور صـورة الحـاكم المناسب للبـلاد بوضـوح بمواصفات تتطلبها الظروف وتحتاجها الجماهير ، وهى – كما صورها الحكيم في برديته [٣] – «رجلاً يستطيع أن يحيل اللهب برداً وسلاماً ، ويمكن أن يعتبره قومه راعياً للناس أجمعين ، ليس فى قلبه ضغينة ، وإذا تفرقت رعيته قضى يومه يجمعها [٤]» .

الثالثة : (وهى أخطر النتائج جميعها على التكوين الطبقى للمجتمع المصرى آنذاك) ، وتتمثل فى :

نشأة طبقة اجتماعية جديدة ، لاتعتز بأصولها وبيوتاتها الكبيرة العريقة ، أى لاتركن إلى حسبها ونسبها ، بل هى طبقة عصامية ، تعتمد على نفسها وكدها وتعبها، وتتكلم بلسانها هى ، وليس بإيعاز من أحد .

وليس أبلغ من قصة (أو أسطورة) نيتوكريس للدلالة على حالة الغموض والخلط الذى سيطر على الأذهان ، طيلة قرون طويلة حتى بين المصريين أنفسهم ، فى أواخر تاريخهم زمن هيرودوت (القرن ٥ ق.م) ومن بعده مانيتون (القرن ٣ ق.م) ، وهى الرواية التى تحمل مغزى الاعتزاز الوطنى بشخصيات فريدة قوية وصلت إلى عرش مصر القديم ، وكانت شجاعة فى الحق ، وعندها القدرة والشجاعة على أن تحاسب نفسها قبل أن يحاسبها شعبها بثورة دموية [٥] .

كما يكفى دليلاً على حالة الفوضى العارمة التى سادت البلاد لفترة تربو على (١٥٠) عاماً [على قرن ونصف تقريباً] ، مارواه

(٣) هذه الترجمة منقولة حرفياً عن د. صالح ، المرجع نفسه ، ص١٤٩ .

(٤) صالح ، المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٥) راجع Herodotos, II. 100.; Newberry, J.E.A.1993, P. 51 ff.

مانيتون إن صحت روايته ، بأن البلاد تولى الحكم فيها ، فى عصر الأسرة السابعة ، سبعون ملكاً لمدة سبعين يوماً ، أى بمعدل ملك كل يوم؟! فأى فوضى كانت تلك ؟!!

إنتفاضة اليقظة فى العهد الإهناسى

أولاً : الوضع السياسى :

بعد صراع مرير بين حكام طيبة وحكام إهناسيا [٦] ، رضخ حكام طيبة أمام تفوق النفوذ الإهناسى ، سلطاناً وقوة ، حتى بعد أن مد الإهناسيون نفوذهم إلى منطقة منف ذاتها ، وكان أن تشجع هؤلاء إلى أن يخطوا خطوات أكبر تأكيداً لسيادتهم على مصر [٧] ، فقاموا بما يلى :

(أ) اتخذوا صفة الفراعنة واعتبروا أنفسهم خلفاء لملوك منف .

(ب) لجأوا إلى تعظيم الإله «رع» كبير الآلهة ، والإله أوزير ، زيادة فى إظهار التقوى والورع للآلهة الرسمية القديمة ، مما أكسبهم قدسية فى نظر الناس .

(جـ) جعلوا الحكم فيها وراثياً ، فتعاقبت فيهم أسرتان حاكمتان ، هما الأسرتين : التاسعة والعاشرة .

(١) في عهد الفرعون خيتي (الأول) :

هو من سليل الأسرة التاسعة ، وبدأ حكمه بالشدة ، وكان ذلك

---

(٦) إحدى مدن وسط الصعيد (مصر الوسطى) فى محافظة بنى سويف .

(٧) صالح ، المرجع السابق ، ص١٥٢ .

ضرورياً ومطلوباً، حتى عُرِف عنه ذلك وراح يبرر موقفه هذا بمنطق سليم ، ويقول : «إن الرب نفسه ينتقم ممن يعادى معبده[٨]» وهذا المنطق يذكرنا بروايات الإنتقام الإلهى عند العراقيين القدماء فى الدولة الأكادية ، ضد سارجون الأول وكذلك ضد أحد أحفاده نرام سين [٩] .

ويبدو أن الأجيال كانت قد ظلت تردد ضروب قسوة هذا الفرعون حتى وصلت إلى المؤرخ المصرى مانيتون (أوائل القرن ٣ ق.م) ، الذى وصف خيتى بأنه **«كان أكثر الملوك المصريين ظلماً وتجبراً ، وأنه لقى جزاءه ، من الإله ، بأن جنّ فى نهاية عمره وافترسه تمساح** [١٠] ولنا فى ذلك عبرة إيمانية ، استقرت فى ضمائر الناس ، حتى اليوم ، وتؤكدها كل الأديان السماوية ، وهى أن عاقبة الظلم سيئة وتعود بالشر على أصحابها أولاً :

وصدق الله العظيم حيث يقول : «وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» .

المظاهر الحضارية :

وتشير المصادر المعاصرة لهذا الحكم الإهناسى إلى نوع من :

(١) الإستقرار الذى إنعكس على حالة الإطمئنان التى سادت النصوص التى جاءت إلينا فى برديات تصور لنا حالة المجتمع المصرى آنذاك ، فى ظل حكام مصر الوسطى ، حيث يمدح أحد كتبة أسيوط (على مبعدة من أهناسيا ، بما لايقل عن (٤٠٠) ك.م) فيما يبدو أنه أولى كتابات النّفاق العلنى الصريح ، لأحد الحكام

(٨) بردية يترز بورج ، النص ١١٦ ، السطور Pap. Petersburg, 109-110 .

(٩) راجع صالح ، المرجع السابق ، ص ص٤٢١ ، ٤٢٧ .

(١٠) صالح ، المرجع السابق ، ص١٥٢ .

الإقليمين، هو حنتى بن تفنستى ، بقوله :

«ما أجمل ماتم فى عهدك لقد رضيت المدينة بك ، وماكان مستغلقاً على الناس، جعلته مكشوفاً مباحاً من تلقاء نفسك ، عن رغبة منك فى إسعاد أسيوط . لقد جعلت كل موظف يستقر فى عمله (منضبط) ، وماعاد أحد يقتتل أو يطلق سهامه ، ولم يعد الطفل يلقى حتفه بجوار أمه ، ولامواطن بجوار زوجته ، بعد أن هداك رب مدينتك الذى أحبك (١١)» .

ولسنا نعرف ، بالطبع ، السبب الرئيسى وراء هذا المديح الممجوج من موظف رسمى منافق لحاكمه . فماذا كان قد جرى حتى تقع أمثال تلك الضحايا وصور القتل التى ذكرها النص ؟!! هنا ، لم تسعفنا أية نصوص؟! فأين الحقيقة التاريخية إذن ؟! لاأثر للحق المجرد من الهوى ، للأسف الشديد .

التطورات السياسية وتأسيس الأسرة العاشرة :

* أعقب خيتى الأول مؤسس الأسرة التاسعة عدة ملوك ، لانعرف عددهم عن يقين . ثم جاء فرع آخر ، منهم ، أسس الأسرة العاشرة بعد أن جفت ثمار الاستقرار والهدوء .
* ولما بدأت الأسرة العاشرة فى اتخاذ تدابير زيادة الأطماع الخارجية لها واتساع نفوذها ، اصطدمت بأطماع حكام طيبة ، الذين تخلوا عن سياستهم القديمة فى الحذر والترقب ، وبدأوا يتطلعون إلى ألقاب الإمارة القديمة .
* عندئذ دخل الصراع الإقليمى ، بين حكام طيبة وحكام أهناسيا

(١١) المرجع نفسه ، ص ص١٥٢-١٥٤ :

مرحلة الصدام المسلح الذى استمر حوالى ثمانين (٨٠) عاماً ، بعد أن كان مستتراً . وكانت المعارك تدور فى النيل وعلى البر ولكننا لاندرى تفاصيل تلك الحروب (١٢) .

* كان الصراع ، فى «مرحلته الأولى» ، فى صالح فراعنة أهناسيا ، فقد سجلت النصوص انتصار خيتى الثالث (أو الرابع) على معاصره ملك طيبة مونتوحتب (الأول) عام ٢٠٦٥ ق.م تقريباً .

* تبع ذلك زيادة الثقة فى قوة فرعون وجيشه فخرج مدافعاً عن حدود مصر الشمالية ضد البدو العموريين (Amorites) ، الذين تسللوا إلى الحدود الشرقية للدلتا واتخذوها مقراً لهم ، وكانوا قد تمصروا وتطبعوا بالعادات المصرية ، بل ولقب كبارهم بألقاب فرعونية .

* بعد مانجح هذا الفرعون فى طرد الأجانب وإبعاد العموريين وكسر شوكتهم ، راح ينظر إلى المستقبل القريب بخوف وقلق على مصر كلها ، لا على إقليمه فحسب ، بل كان إحساسه وطنياً رائعاً ، كمسئول أول عن راحة كل المصريين ، سواء فى جنوب البلاد (الصعيد) أو فى شماله (الدلتا) بالرغم من كون مملكته (إهناسيا) فى وسط مصر ، أى إنها بمنأى من كل خطر يهددها .

* لقد حمل هذا الفرعون الهمام كل تجاربه الذاتية وسجلها لإبنه الأمير الشاب مريكارع (Merikare) ، يحثه فيها على إتباع سياسة ذات معالم هى :

(١) الاهتمام ببناء جيش قوى من خيرة شباب مصر الأشداء ، حيث يقول له :

---

(12) Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, p. 10 f.

« إنهض بجامعة الشبان ، تحبك العاصمة ، وزد أتباعك من الرعية ، ولاحظ أن بلدك عامر بنشئ غض فى سن العشرين ، وإن الجيل الناشئ ليسعد بمن يستوحى ضميره ..[١٣]» .

(٢) تقدير النبلاء ، وتعظيم المحاربين ، فى ذلك لأنه فى رفع شأن النبلاء والأشراف إعطاء لحقهم الطبيعى والطليعى فى المجتمع وترضية لغرورهم الموروث ، كما أنه فى تعظيم المحاربين ، تقدير للدور الذى يؤدونه ومحافظة على مواقفهم الإيجابية تجاه الحاكم ، وأمان له من غدرهم به ، لأنهم فى كل الأحوال ، هم الأقوى ، ولابد من كسب ثقتهم وولائهم إلى جانبه . ولذلك فهو يقول له :

«.. فأرفع ، إليك ، شأن نبلائك ، وعظّم محاربيك» .

(٣) عدم كفاية التقدير المعنوى للشباب ، وضرورة دعمهم بالمنح العينية ، من هدايا وعطايا ومكافآت ، وبصفة خاصة ضرورة إقطاعهم أراضى يمتلكونها . وذلك حتى يكونوا – فى المستقبل – أصحاب مصالح حقيقية يخشون عليها ويضحون من أجلها بكل مرتخص وغالى .

وهكذا نلاحظ الحكمة البالغة فى الاهتمام بأهم فئات الشعب والرعايا ، وفق درجة عطائهم للدولة والحاكم ، وكان طبيعياً أن يأتى فى المقدمة : الشباب ، عناصر القوة الضاربة فى كل مكان وزمان ، ثم النبلاء ، ومن بعدهم ، كل من يقدر على الحرب ، وضرورة أن يتملك هؤلاء الشباب أراضى تجعلهم على استعداد للتضحية من أجلها .

---

(١٣) صالح ، المرجع السابق ، ١٠٦ .

(٤) ضرورة الاستعداد التام والدائم لمكافحة البدو فى الشمال ، كما فعل هو ، وذلك عن طريق :

(أ) إنشاء مدن محصنة على حواف الصحراء والحدود .

(ب) تعمير تلك المدن بخير الرجال وزراعة الأراضى من حولها .

وذلك فى رأيه ضرورة لأن العدو لايغير على المناطق المأهولة بالسكان خوفاً منهم ، حيث يقول:

«لاتتهيب العدو فهو لايغير إلا على الموطن المنعزل ولايجرأ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان[١٤]»

التعليق :

ولى تعقيب صغير على أهمية تلك الأحوال والنصائح ، من أب لإبنه .. إذ هى ليست نصائح رجل عادى ، غير مسئول ،يهتم بأمور الحياة العادية ومشاغلها ، ولكنه رأس الدولة ، صاحب الخبرات العديدة ، فى الحرب والسلم ، يهدى خلاصة تجاربه إلى ابنه ، ولى عهده ، فجاءت تفيض قلقاً على مستقبل البلاد ، وخوفاً عليه ، وعلى ماسيفعل إزاء شعبه ورعيته .

وتظهر هذه النصائح على تبايئها وتنوعها ، صاحبها كسياسى محنك ، وكقائد عسكرى فذ :

(أ) **فالسياسة** ، تبرز فى كلماته : «... وزد أتباعك من الرعية» وذلك من أجل الحفاظ على القاعدة الشعبية الضرورية للحاكم ، حتى يكونوا أنصاره عند الضرورة ، يشايعونه ويبايعونه وقت الشدة ، وحتى يكون له ظهراً يحتمى به من تعسف حكام الأقاليم ، الذى كان قد زاد

(١٤) صالح ، المرجع نفسه ، ص١٠٦

واستشرى ، وقويت شوكتهم وحسب لهم الفرعون ألف حساب ، وتغاضى عن بعض أفعالهم رغماً عنه .

كما تبرز ، أيضاً ، كلماته : «.. واحرص على أن يتزودوا بالعطايا ، ويطمئنوا بامتلاك الأرض ..» هنا ، نشعر بقمة الذكاء الاجتماعى فى معاملة الناس ، حيث نجد المعادل الصريح لقولنا ، اليوم: «إطعم الفم ، تستحى العين ..» ثم لم يكتف الفرعون بذلك ، ولم يضمن نجاح تلك المشورة لأن الأمر هنا تتوقف على نوعية وأصالة المتلقى ، المستفيد ، إذ – ربما – يكون نذلاً أو وضيعاً لدرجة كبيرة فلايعترف بالفضل لأهله ، وفعلاً ، هنا ، يقفز إلى أذهاننا قول الشاعر :

إنْ أَنتَ أكرمت الكريم ملَكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا.

فَالمعوَّل ، هنا ، في قضِيةَ الجود والكرم ، ليست كمية الإحسان ونوعه ، بل فى معدن المحسن إليه . ولذلك ، وبإحساس الخبير بالدنيا والناس ، وبنصيحة السياسى لإبنه ، الشاب الذى لم يعرف طبائع الشعوب بعد ، ينتقل الفرعون من هذه المرحلة غير المأمونة النتائج [باستخدام الهدايا والمنح والعطايا فى كسب وفاء وتأييد ومساندة الشباب وأفراد المجتمع] إلى مرحلة أكيدة المفعول ، ومضمونة الجانب ، مائة فى المائة ، وهى : تمليك هؤلاء وأولئك أرضاً يزرعونها ، ويحسون معها ، بأنهم مالكوها ، عندئذ فقط ، يطمئنون ويضمن ، بذلك فقط ، ولاءهم له المستمر ، لأنهم سيكونون على استعداد لفعل أى شئ فى سبيل استمرارهم ملاكاً لها .

(ب) أما كون الفرعون **كقائد عسكرى** فذ ، فيتجلى فى كلماته التالية لابنه (نفركارع) :

(أ) : «إن الجيل الناشئ ليسعد بمن يستوحى ضميره ..» وتعكس قمة

الفهم السليم من القائد لعسكره وجنوده ومحاولته المستمرة فى الإحساس بما يجول بخاطرهم ومعرفة نواياهم ، واستعدادهم .. إذ أصبح ذلك ، الآن ، فى العلوم العسكرية ، أحد عوامل نجاح القوات فى تأدية مهامها الموكلة بها ، وغدا واجباً على القائد (لمصلحته هو أولاً الشخصية ، ثم لضمان نجاح مهمته العسكرية) أن يقترب من عسكره وأفراد فرقته ويشاركهم أحاسيسهم (أفراحهم وأتراحهم) ، لأنهم جميعاً أمام العدو سواء لافرق بين قائد ومقود .

ويؤكد التاريخ العسكرى أن أبرز عوامل نجاحات الإسكندر الأكبر فى حملاته العسكرية العديدة وانتصاراته المتوالية ، كان هو اقترابه من جنوده ومشاركته لهم فى كل شئ [١٥] ، وكذلك ماقام به ضباطنا فى معركة ١٩٧٣م ، مما حقق لهم النصر ، وقلل الخسائر بفضل الله .

(ب) «العدو لايغير إلا على الموطن المنعزل ، ولايجرأ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان ..» وهنا علم علم بطبوغرافيا [١٦] أرض العدو ، مما يضمن معه حرية حركة قواته والاختيار الأنسب لمواقعها :

«.. فالعدو اللعين موطنه وعر ، وماؤه آسن .. كثير الغابات .. سئ الطرقات .. به مرتفعات .. دائم الترحال .. مشاغب دائماً .. فلاهو يغلب ولاهو يغلب ..» .

فالجزء الأول من المعلومة العسكرية الخطيرة ، التى لايعرفها إلا

---

(١٥) تارن ، الأسكندر الأكبر ، ترجمة زكى على ، القاهرة (سنة ٢٠٠٠) .

(١٦) هى كلمة ذات أصل يونانى ، مركبة من كلمتين : Tópos (مكان) graphia (رسم ، تخطيط).

العسكريون المخضرمون ، هو أن العدو يتخذ أهدافاً معزولة ، فى أرض غريمه ، حتى يضمن النصر ، ويرفع من روح جنوده المعنوية ، ولايفاجأ بخسائر من مقاومة غير متوقعة..[١٧] **أما الجزء الثانى** ، من تلك الفقرة العسكرية ، فتغطى معلومات استراتيجية عند التخطيط لعمليات حربية ، والخلاصة أن طبيعة البدو (أو رجال العصابات الجبلية، كما يمكن أن يفهم من النص) هم دائماً وأبداً – حتى يومنا هذا– هم أصعب المقاتلين وأشرسهم ، والحق – كما قال الفرعون معترفاً بذلك – هم قوم لايغلْبون ولايغلَبون .

والمحصلة الإجمالية ، لهذه النصائح (فى تقديرنا) هى أنها تمثل دستور دولة ، من وحى الخبرة ، على الصعيدين الداخلى والخارجى .. فى السلم وفى الحرب .

ثانياً : الوضع الاجتماعى : "إزدهار الفردية" :

كان طبيعياً جداً أن يتمخض الصراع الداخلى بين البيت الإهناسى والبيت الطيبى عن بروز دور الأفراد والحكام الإقليميين ، بوجه خاص ، الذين عظمت قوتهم وقويت شوكتهم فى ظل فراعنة لايقوون عليهم ، ويخشون بأسهم ، ويرجون مساندتهم وتأييدهم ضد الأخطار المحدقة بعروشهم : سواء الأخطار الداخلة وثورات الجياع [كما رأينا مع أواخر الدولة القديمة وحتى إبان فترة الإنتقال الأول] أو الخارجية القريبة ، والتى تتمثل فى هيمنة فرعون آخر على الجزء (النصف) الآخر من مصر : فها هو فرعون فى طيبة ، يتزعم الصعيد الأسفل ، وهاهو فرعون آخر فى إهناسيا ، فى الصعيد الأوسط ويتحكم

---

(١٧) ولعل فى حركة العدو الصهيونى ، فى حرب سنة ١٩٧٣ ، باختراقه ثغرة «الدفرسوار» ، كانت هذه هى أهدافه .

في شمال البلاد كله .. وكان كل واحد يتحين الفرصة للقضاء على الآخر ،حتى وقع الصدام المسلح بينهما والذى استغرق حوالى (٨٠) ثمانين عاماً، قتل فيها من قتل ، وتشرد المئات وتدمرت آلاف البيوت من جراء ذلك كله ، أى ، بكلمات موجزة عامة ، عم الخراب وانتشر الدمار ، وكانت مصر ، أى المصريون ، هم الخاسرون ، فى الحالتين ، النصر أو الهزيمة ، ناهيك عن الأخطار الخارجية الأجنبية ، التى مثلها العنصر البدوى الأسيوى ، والذى إنتهز فرصة الصراع الداخلى وتسلل إلى داخل الدلتا وأقام فيها .. كل ذلك أعطى الفرصة سانحة لظهور الكفاءات الشخصية وزيادة الثقة الفردية .. كل حسب إمكانياته الذاتية .. سواء فى العمل ، أو فى النصب أو فى النفاق أو فى السرقة والنهب والسلب .

وهنا يعنينا ، فى هذا المقام ، نتائج كل ذلك على المجتمع المصرى ، للتعرف على مظاهر تزايد الثقة الفردية وتضخم «الأنا» لدى كبار الموظفين وحكام الأقاليم وكل من كان بإمكانه أن يقدم خدمة جليلة للدولة فى تلك الظروف القاسية ، أو أن يفعل مكرمة لوجه الحاكم (لا لوجه الله طبعاً) طمعاً فى كسب المزيد من عطاياه وهداياه .

ولقد جاءت النتائج ؛ حسب ترتيب أهميتها وخطورتها على المجتمع المصرى آنذاك (وكما رتبها أستاذنا العظيم د. صالح بالحق ترتيباً تنازلياً وفق أهمية كل نتيجة) كالتالى :

(١) إزكاء الروح الحربية وروح النضال والصمود ، بين كل المصريين بعامة ، وبين رجال الجيش والجنود بخاصة . وأصبح البعض يسجل – فى مقبرته – متفاخراً (لأول مرة) بأنه «رب للسيف ، وشديد بالقوس ، وجرئ فى الصدام .. [١٨] إلخ» .

---

(١٨) صالح / المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(٢) زيادة إحساس الملوك الإهناسيين والطيبيين ، على السواء ، بالعجز وحاجتهم إلى تأييد رعاياهم ومساندتهم بروح متواضعة فيها ود وتسامح وألفة لكسب التعاطف الشعبى إلى جانبهم .

- فهاهو الملك خيتى (الثالث/الرابع) ينصح ابنه قائلاً : «لاتفرق بين ابن النبيل وابن قصير الأصل ، وتخير الفرد بكفايته» . وهذا كلام نسمعه (لأول مرة) أيضاً . وهنا أرجو ألا أكون متحاملاً على الفرعون إياه ، لأنه مطلب العاجز وتواضع الضعيف، فقد أجبرتهم الظروف على إنتهاج مثل هذه السياسات ولم يخرج هذا الكلام من قبل ، حتى من الفرعون نفسه ، إبان قوته وجبروته .. **فكيف أصدق – الآن – دعواه بالمساواة بين الناس** ؟! إنها – أى تلك الدعوة – لاتخرج عن كونها حلقة من حلقات سياسة المضطر – كالدواء الذى نشربه على مضض !! هذا إذا وضعنا فى الاعتبار الصورة التى رسمناها للأخطار التى كانت قد أحدقت بالبلاد آنذاك، ولم يعلن ، الفرعون نفسه ، أياً من تلك الإجراءات أثناء سطوته وقدرته .

(٣) تشجيع المصريين على إعلان عقائدهم الخاصة ، والتعبير عن آرائهم الشخصية فى مذاهب أسلافهم الأوائل ، بالنقد أو المديح أو الرغبة فى التعديل . فقد ظهرت اتجاهات عقائدية أربعة (٤) ، أو إن شئت فقل : مذاهب فى تفسير التراث الإيمانى القديم ، هى :

(أ) مذهب متشكك [١٩] فى كل شئ يخص العقيدة الإيمانية بالخلود والبعث.

(١٩) كان تيار الشك فى العقيدة قد ظهر ، لأول مرة ، منذ أيام الثورة الاجتماعية (ثورة الجياع) ، وجاء عند إيبوور قوله : «يقول المنفعل لو علمت أين الرب ، لعملت له» . أى أنه يشك فى وجود الإله المعبود .

(ب) مذهب متزمت (متطرف ومتشدد) على نقيض المذهب الأول وغلبت على نظرته الدنيوية روح التشاؤم من الدنيا ، واعتبار الآخرة والبعث هى الخلود الحقيقى .

(جـ) مذهب محافظ على التراث العقائدى كما عرفوه من الأجداد والآباء ، دونما شطط .

(د) مذهب متطور ، آمن بأن الخلود حق ، ولكن دونما إلتزام ببناء المقابر الفخمة، أو تقديم القرابين ، وترتيل الدعوات وإقامة الطقوس ، ذلك لأن الخلود مرتبط، أكثر ، بصلاح أعمال الإنسان فى دنياه وإيمانه بآلهته .

وجدير بالذكر ، هنا فى هذا المقام الخاص بالعقيدة ، أن نلاحظ بعض المظاهر الدينية ، فى سلوكيات أفراد المجتمع المصرى آنذاك ، من خلال المادة الوثائقية البردية أو النقشية على جدران المقابر ، ومنها:

أولاً : ظهور أقدم نصوص لتأبين (٢٠) المتوفى لذكر محاسنه ومدح أعماله فى الدنيا، مما يعكس حرصه الشديد على تخليده بين الأحياء .

ثانياً : ظهور حالات انتحار كثيرة ، بالغرق فى النيل ، يأساً من الحياة ومشاكلها .

ثالثاً : إضافة لقب أوزير لكل متوفى ، بعد أن كان امتيازاً دينياً خاصاً بالفرعون وحده، طمعاً من كبار حكام الأقاليم فى التشبه بالفراعنة ، ونزول رحمة أوزير بهم أيضاً .

---

(٢٠) راجع د. صالح/المرجع السابق ، ص١٠٨ حيث ترجمة عادية ممتازة لروح الشك التى تسود النص .

رابعاً : زيادة درجة الإيمان بالآلهة – عند البعض ، كما عند خيتى ونصائحه إلى ابنه:

(١) «أصلح مكانك فى العالم الآخر بالاستقامة وأداء العدالة ..» .

(٢) «أعمل لربك ، يعمل لك بالمثل» .

(٣) «لاتثق فى امتداد السنين ، فإن قضاة الآخرة يرون العمر كأنه ساعة ، واذكر أن الإنسان يبعث ثانية بعد وفاته ، وتوضع أعماله ، على هيئة الكوم بجانبه ، وأن الحياة ، هناك ، معناها الخلود ..» .

خامساً : عمل توابيت خشبية لكبار الأفراد .

سادساً : عمل تماثيل مجموعات خشبية ، أيضاً ، للأتباع والخدم ، وهى المعروفة باسم «أوشابتى [٢١]» .

وكل ذلك يعبر عن مرونة الديانة المصرية وعدم جمودها عند حالة واحدة ثابتة منذ فجر التاريخ ، وتطورها وفق متطلبات الحياة وظروف المجتمع [٢٢] ، وهى الديانة الوحيدة – فى العالم القديم كله – التى جمعت بين خيْرى الدنيا والآخرة وأنه **بالعمل** ، **والإستقامة** ، **والعدل** ، يضمن الفرد الجزاء الأوفى ، – بعد الموت – فى حياة أبدية هنية خالدة ، فى جنات عدن !!!

---

(٢١) أو «شاوبتى» ، وتعنى «المجيب» .

(٢٢) صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٠

الدولة الوسطى

أولاً : عودة الوحدة فى عصر الأسرة الحادية عشرة (من ٢١٣٤-١٩٩١ ق.م)

(١) تطور الأوضاع الداخلية :

تقديم :

* كما هو معروف الآن القول ، بأن دوام الحال من المحال ، فإنه ينطبق على كل الحضارات القديمة البائدة ، وعصور أسرها ، طالت أم قصرت فترات حكمهم ، فها هى حضارة العصر الإهناسى ، تخبو وتنزوى حتى تظهر سيادة العنصر الصعيدى، الجنوبى (من حكام أرمنت) وهم الأناتفة ، الذين جعلوا من طيبة (الأقصر حالياً) عاصمة لمملكتهم الجديدة ، وحيث : -

* بدأوا يرفعون من شأن الإله «آمون : Amun» ، رب طيبة .

* كما شادوا مقابرهم الملكية ، فى البر الغربى ، من المدينة نفسها .

* لم يتخلف خلفاء الأناتفة عنهم ، ونهجوا نهجهم وساروا على هداهم : اتخذوا العاصمة نفسها ، والإله نفسه ، ولكن بوفاء أكبر لإلههم الأصلى فى أرمنت وهو : «منتو» = (Montu) إله الحرب والقتال .. فأقاموا له هيكلاً فى معبد طيبة الرئيسى، الكرنك ، وتوارثوا - فيما بعد - لقب : منتوحتب ، أى «منتو المنعم» ، ولذلك عرفوا باسم المناتحة ، نسبة إليه ، ووفاء منهم له واعتزازاً به ، وتقديراً منهم لمساندته لهم فى كفاحهم المتواصل الذى أثمر عن توحيد مصر من

جـديد - بعـد طول غـيـاب - على يدى أحـد أمـرائهم ويُدعى مونتوحتب ، الذى حكم البلاد كلها حوالى (٥١) واحد وخمسين عاماً [٢٣] .

* حكمت هذه الأسرة ، منذ بدايتها وحتى نهايتها ، حوالى ١٤٣ عاماً ، كما تؤكد ذلك بردية تورين (Turin) التى تذكر قوائم حكم الملوك الفراعنة [٢٤] .

عودة الإدارة الحازمة : "استرجاع المركزية" :

وانتهج منتوحتب سياسة واضحة محددة لإنجاح هذا الهدف ، قامت على الخطوط العامة التالية :

(١) تركيز مظاهر السلطان وأدوات الحكم فى عاصمة البلاد (طيبة) .

(٢) الحد من سلطات حكام الأقاليم ، فاختفت الألقاب الضخمة التى كانوا قد انتزعوها من السيادة الملكية خلال عصر اللامركزية الأولى (عصر الانتقال الأول) [٢٥] .

(٣) تحريم بناء مقابر حكام الأقاليم ، فى أقاليمهم ، حتى لاتكون تكأة لتخليد هؤلاء بين مواطنيهم وإقامة الشعائر والطقوس لهم ..

وهكذا نجحت سياسة الفرعون المؤسس ، لهذه الأسرة ، فى الحد من تعاظم قوة حكام الأقاليم ، بل وتحجيمها باستمرار ، حتى أننا نلاحظ ، وفقاً للمادة الأثرية ، على اختلافها ، أن :

(أ) هناك ندرة فى بناء مقابر حكام الأقاليم ، بعيداً عن العاصمة طيبة ، حيث المقابر الملكية وتوابعها (Royal Nekropolis) ، مما

---

(٢٣) صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(24) Gardiner, The Royal Canon of Turin, 1959.

(٢٥) دريوتون - ڤانديية ، مصر (القاهرة) ، ص ص٢٧١ ، ٢٨٠ (كتاب مترجم) .

يعنى حرص حكام الأقاليم على تنفيذ رغبة الفرعون وإظهار تبعيتهم له ، حتى عند وفاتهم فى آخرتهم .

(ب) هناك تأكيد مستمر ، من رجال الفرعون (فى نصوصهم) على أن كل شئ كان يتم بفضل الفرعون وتوجيهاته ، وهم ليسوا إلا موظفين ينفذون أوامر فرعونهم ويردون كل إنجاز له هو .

ويكفى أن نستمع إلى ماسجله قائد عسكرى مصرى ، خرج بجيشه لكسر شوكة جماعات البدو التى كانت تهدد شرق الدلتا ، وقد سطر أخبار انتصاره عليهم ، ولكنه قد ردّه إلى الفرعون ، قائلاً : «كان الخوف منه (أى من الفرعون) هو الذى جعلهم يخشوننى ، وكانت سطوته هى التى جعلتهم يرهبوننى ، كما أن حب الأرباب له ، هو الذى جعل الأرض تعشقانه [٢٦]» .

هذا جانب من الصورة الداخلية ، ولكن يحسن بنا أن نضيف أنه هيهات لعجلة التاريخ أن تعود ، كلية إلى الوراء .. وأن التاريخ لايعيد نفسه أبداً .. ودوام الحال من المحال ، كما ذكرنا من قبل . ذلك لأن تلك الروح ، لم تكن سائدة تماماً . نعم كانت موجودة ، فبفضل سياسة الفرعون المؤسس ، ولكن كانت هناك ، أيضاً ، صور من الإعتداد بالنفس والاعتماد على الذات والفخار بذلك ، وهى المكسب الشعبى الكبير ، من جراء أحداث عصر الانتقال الأول ، الذى غير المجتمع المصرى ، وازدهرت فيه الفردية ، فهل كان منطقياً أن تختفى تماماً تلك المكاسب ؟! بالطبع ، لايمكن ذلك تماماً : فها هو رجل يدعى إتى- أحد المساعدين فى بيت المال ، يفخر بإنجازاته وأعماله وفضله على

(٢٦) صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٤ ، وكذلك راجع Gardiner, J.E.A., IV .

منطقة الجبلين (؟!) [٢٧]، حينما أضيرت المنطقة لسبب ما (؟!) – لانعرفه – فقلت الخيرات ، وأصبح الرجال عاطلين ، ولامصدر رزق لهم .. فكادت أن تحدث مجاعة ، فقام أتى ، بإرسال [لاشك بناء على تعليمات الفرعون] المؤن والمساعدات الغذائية الكثيرة [٢٨] :

– (١٠) عشرة قطعان من الماعز .

+ (٢) قطيعان من الماشية .

+ (١) قطيع من الحمير .

+ (٣٠) مركباً من الغلال (الدفعة الأولى) .

+ (٣٠) مركباً من الغلال (الدفعة الثانية) .

حتى فاض المدد والعون وزاد ، فوزعه على مناطق أخرى قريبة (منطقة إسنا) [٢٩] ، وكل ذلك كان بناءً على تعليمات مولاه الكبير

---

(٢٧) على الأرجح ، أنها أحد مواقع إقليم طيبة (الأقصر) .

(٢٨) (أ) ولعل هذا الموقف يذكرنا ، فى أيامنا هذه ، بالموقف العربى الإسلامى النبيل الذى وقفته حكومة السعودية (رسمياً وشعبياً) من أضرار الزلزال الذى ضرب مصر (الحبلية ، والشقيقة – على حد تعبير إعلان المواساة الرسمى) عصر يوم الإثنين الموافق ١٢/١٠/١٩٩٢م . «فجزى الله الشدائد كل خير ، عرفتنى صديقى من عدوى» .

(ب) وهاهى السعودية ، تقف الموقف ذاته (وهى دولة المواقف والثبات على المبادئ لنصرة الإسلام والمسلمين) عندما أصابت السيول مدن وقرى صعيد مصر بأضرار بالغة ، فى الأسبوع الأول من شهر نوفمبر الجارى ١٩٩٤م ، وترسل جسراً جوياً ، حوالى ٢٢ رحلة جوية ، حاملة المؤن الغذائية والأغطية للمنكوبين الفقراء ، هذا بخلاف المساعدة المادية التى وصلت إلى حوالى (٥٠) مليون دولار .

(٢٩) جنوب سوهاج ، التى تبعد عن الجيزة بحوالى (٦٥٠) كيلو متراً ،على الأقل .

ومولاه الصغير [٣٠] : أى الفرعون وولى العرش .

فمن الغريب ألا يترك أى فرعون قصراً مبنياً ، مثلما كان الحال فى كريت القديمة وموكيناى(*) . ومن الطريف أن نسمع ، لأول مرة، عن أحد المسئولين أنه قد بنى لنفسه داراً (بيتاً) ، وليس قبراً ، فاخراً ، زوّد بكل شئ ثمين ، وأنه بالرغم من ثرائه ، لم يتهمه الناس بالرشوة[٣١] . هنا ، نحس بزيادة اهتمام الناس بالحياة والاستمتاع بخيراتها ، وماالذ فيها وطاب .

(٢) حركة البعثات الداخلية والخارجية :

سجلت النصوص المصرية القديمة ، المؤرخة بهذه الأسرة (الحادية عشرة) خبر بعثتين كبيرتين :

الأولي : ترأسها وزير ، يدعى/أمنمحات ، على رأس (١٠) آلاف (؟!) رجل مدنى وعسكرى ، ونجحت فى توطيد الأمن فى إقليم وادى الحمامات (بالصحراء الشرقية) .

وفى أثنائها ، كما قص الوزير فى النقوش التى سجلها باسم فرعونه (نب تاوى رع) ، وقعت معجزتان إلاهيتان .

(أ) الغزالة الحبلى ، التى قصدت معسكر البعثة ، دون خوف ، واتخذت مكاناً فيه ، ولدت فيه مولودها .. عندئذ اعتبرها الرجال معجزة لإظهار الوضع المناسب لقطع حجر تابوت

(٣٠) صالح / المرجع السابق ص١٦٤ وكذلك راجع لهذه النصوص :
Breasted, Ancient Records of Egypt, , I, Nr. 459.

(*) راجع كتابنا ، تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة (٢٠٠٢) ، ص ص ٦٣ – ٦٧، ١٠٤ – ١٢٠ .

(٣١) المرجع نفسه .

الفرعون .

(ب) ظهور فوهة بئر عميقة فى قاع الوادى ، مليئة بالماء الصافى بالرغم من مرور الجيوش والبدو على المكان نفسه أعواماً طوال دون أن تلحظه عين.

والثانية : وكانت فى العام الثامن من حكم الفرعون (مونتوحتب) ، وبرئاسة موظف كبير ، يسمى/ حنو [٣٢] . وكانت تستهدف ، هى الآخرى ، تأمين مسالك القوافل وتعميرها وتحصيل الهدايا باسم القصر الملكى ، وقطع أحجار التماثيل الملكية العملاقة ، فى طريق العودة . وكذلك الإشراف على إنزال سفن (جبيلية[٣٣]) فى مياه البحر الأحمر من أجل الإتجار مع بلاد پونت واستيراد ،بخور طازج ، وكذلك سجلت البعثة فى تقريرها – بعد عودتها – إنها حفرت مجموعة من الآبار بلغت (١٥) خمسة عشر بئراً فى الصحراء .

أما البعثات العسكرية ، فقد سجل لنا أحد قادة الفرعون منتوحتب على صخور ، بالقرب من الشلال الأول – بعد أسوان – أنه صحب مولاه (أى مع الفرعون) فى حملة جنوبية ، فى الغالب داخل بلاد النوبة . كما أضاف حنو (الذى ذكر لنا البعثة الثانية الداخلية) أنه كان قد شارك فى التعامل ، والإتصال بجماعات الحاونبو (Hawnebbu) . الذين لاندرى من يكونون هؤلاء حتى الآن ، وهم ، بالضرورة أجانب،

(٣٢) أو حننو (Henenu) ، راجع :

Hayes, W.C., "Career of The great stewardl Henenu", J.E.A., XXXV, P. 43 f.

(٣٣) أى كانت مصنوعة فى جبيل ، بسوريا ، لحساب الأسطول التجارى المصرى .

ولكنهم ليسوا كريتيين على كل الأحوال ،[٣٤] لأسباب كثيرة عندنا ليس هذا مجالها .

(٣) ملامح الحياة الاجتماعية (صور من المجتمع) :

لقد حالف الحظ الدارسين للحضارة المصرية ، والعالم الحديث والمعاصر كله ، عندما حفظ لنا آثار يرجع تاريخها إلى النصف الأخير من عصر الأسرة الحادية عشرة ، أى حوالى منتصف القرن الواحد وعشرين ق.م (٢٠٥٠-١٩٩١ ق.م) تقريباً.

وتخص تلك الآثار علية القوم ، فى مجتمعهم المصرى القديم آنذاك ، كما تخص الطبقة المتوسطة أيضاً :

أولاً : آثار علية القوم (الأغنياء) :

وبرز من بينهم ، كما تشهد بذلك الآثار المكتشفة فى مقابرهم ، ثلاثة من الأشخاص ، يحتلون مراكز مرموقة فى مجتمعهم ، وهم - على حسب دورهم - كالتالى - :

(١) ناظر زراعة لأملاك ، ومقبرة ، أحد الوزراء ، ويُسمى حقاً نخت (Hekanakht) .

(٢) موظف كبير ، فى عاصمة البلاد «طيبة» ، ويُدعى مِكِت رع (Meket-re) .

(٣) فنان متمكن ، متنوع المواهب ، يُدعى/إيرِتيسن (Iritisen) .

وهكذا ، فإنه من حسن الطالع ، أن يكون هؤلاء الثلاثة ممثلين لفئات المجتمع الثلاثة الرئيسية فى مصر القديمة ، وأين كان ما ومهما

---

(٣٤) صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٧ ، الذى يعتبرهم أهل جزر البحر المتوسط ، ولاسيما الكريتيين (من جزيرة كريت ، المنيوية) ، ولذلك راجع رسالة دكتوراه غير منشورة كانت بإشرافنا لصاحبها / محمد السيد عبد الحميد ، مشكلة الكفتيو (دراسة تاريخية وأثرية) ، الزقازيق ١٩٩٦ .

ما كان ماينطبق عليهم ، ليس بالضرورة هو حال كل فرد آخر يمارس الوظيفة أو المهنة نفسها ، إذ أننا هنا أمام نماذج لأثرياء القوم، ولكن ستبقى حقيقة واحدة ثابتة ، وهى أنهم يعكسون صورة الأوضاع الاجتماعية السائدة فى عصرهم ، نظراً لمسئولياتهم الضخمة الملقاة على عاتقهم ، إذ ربما لو كان الأمر يتعلق بشخصيات عادية ، مثل آلاف وملايين الناس الآخرين ، الذين يولدون ، ويعيشون ، ثم يموتون، دون أن تدرى عنهم شيئاً ، لما عرفنا عن المجتمع المصرى القديم شيئاً ذا بال .. **فالتاريخ يصنعه أصحاب الهمم الكبيرة ، وذوى الكفاءات الخاصة البارزة ، وليس فيه مكان للكسالى ، عديمى الإرادة الفاعلة . كما أنه لايخلد إلا الفاعلين وليس المفعول بهم .**

(١) عرفنا من رسائل حقا نخت ، ناظر الزراعة الكبير ، التى أرسلها إلى ولده الأكبر «مرسو» . نوعية اهتمامات مثل ذلك المسئول عن الأملاك الواسعة ، فى الدلتا والصعيد ، لأحد وزراء عصره ، وكذلك موقفه من أسرته الكبيرة وطريقة معاملته لأبنائه ، والتمييز بينهم وفقاً لعمر كل منهم ، وهى الصورة التى مازالت– إلى يومنا هذا – قائمة بكل رتوشها وتفاصيلها فى صعيد مصر وفى داخل كل البيوتات الكبيرة .

(أ) حول اهتماماته الزراعية ، وتأتى فى مقدمة كل شئ ، حيث اضطر لترك منزله فى الصعيد وسافر إلى الدلتا ، ليرعى مصالح الوزير ، ومن هناك أرسل إلى ابنه الكبير يقول :

«عليك أن تبذل الجهد فى أرضى ، واجتهد بأقصى ماتستطيع . إغرق الأرض ، وتدخل فى كل عمل [٣٥]» .

(٣٥) صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٨ .

وكذلك أَمَرَه هو ، أو أخاه الأصغر إذا أراد ، بأن يعتنى بالماشية ويحرث الأرض ، ويقول :

«إذا كان سنفرو يريد أن يعتنى بالماشية ، فدعه يفعل ، إذ يبدو أنه لايجب أن يجرى معك هنا وهناك فى حرث الأرض [٣٦]» .

(ب) الرفق بالصغير والتشدد مع الكبير :

وهنا يجئ النص بعبارات قوية شديدة اللهجة ، إلى حد القسوة ، فيقول الأب حقا نخت للإبن الكبير :

«إذا طغى الفيضان على أرضى ، فالويل لرجالى ، ولك ، ولن ألقى بالمسئولية إلا عليك [٣٧]» . بينما يأمره بالعناية بأخيه الصغير وبأن يتركه يفعل مايشاء ويختار مايجب من الأعمال ، فيقول :

«.. اعتن به كثيراً ، واعطه مؤونته ، وبلّغه سلامى ، ألف سلام ، بل مليون مرة . إعتن به ، وأرسله إلىّ ، بعد أن تحرث الأرض مباشرة [٣٨]» .

(جـ) ومن الطريف – جداً – أن تأتينا إحدى الرسائل الخاصة ، جداً أيضاً ، والتى تصور لنا إحدى المشكلات العائلية اليومية ، داخل البيت الواحد الكبير، بين ولد صغير شقى «مدلّع» – هو ابن حقا نخت – وإلى جانبه جارية أبيه ، وبين الخادمة التى كانت بالمنزل ، وذلك دون أن تذكر الرسالة البردية سبب المشكلة . ولكن يبدو إنفعال الأب الشديد من لهجته إلى ابنه الكبير فى أن :

(٣٦) المرجع نفسه .
(٣٧) المرجع نفسه .
(٣٨) المرجع نفسه .

«أطرد الخادمة سنن من دارى على التو .. وإذا بقيت سنن فى الدار ، يوماً واحداً ، وأساءت إلى جاريتى ، فأنت الملوم [٣٩]» .

وأخيراً تتجلى ، فى الخطاب نفسه ، أروع آيات التقدير والإحترام ، من الأب الكبير ، إلى أمه (التى كانت لاتزال على قيد الحياة) . فبالرغم من مشاغله الكثيرة ، وغربته عن بيته ، ومشكلته مع الخادمة ، إلا أنه لاينسى السؤال عن أمه ويرسل إليها بالسلام ، إنه الوفاء فى أبسط صوره : «.. سلم لى على أمى ، إبيى، ألف سلام ، بل مليون مرة [٤٠]» .

وتصل المشاعر الإنسانية ، لصاحب الرسائل ، إلى قمتها ، حينما يقرر ضرورة الإحسان فى معاملة الجارية ، التى كانت لها معزة خاصة لديه (؟!) ، فيحذر إبنه قائلاً :

«لاحظ أنها جاريتى ، وأنه ينبغى إحسان معاملة جارية الإنسان .. ، وإلا فكيف أعيش معكم فى دار واحدة ، إن لم تحترموا جارية من أجل خاطرى ؟ [٤١]» .

(٢) وإذا انتقلنا إلى آثار الموظف الكبير ، (مكت رع) ، من مقبرته فى الدير البحرى، فى طيبة ، حيث عرفنا منها أدق التفاصيل عن عمارة ومكونات المنزل المصرى القديم آنذاك ، من خلال النماذج التى تم العثور عليها داخل تلك المقبرة ، مما يعطينا إنطباعاً كبيراً بمدى تقدير ذاك الموظف لداره فى الحياة الدنيا .

وماتبقى من النموذج الخاص هذا ، لايختلف كثيراً عن الطابق

---

(٣٩) المرجع نفسه .

(٤٠) المرجع نفسه .

(٤١) المرجع نفسه .

الأرضى فى الفيلات الحديثة : فناء متسع ، يتوسطه حوض ماء مستطيل كبير ، تحيطه الأشجار من جانبيه ، وهناك فراندة متسعة، يرتفع سقفها على ثمانية أساطين ، خشبية دقيقة ، وملونة، ويلاحظ أن تيجان تلك الأعمدة تم تشكيلها على هيئة اللوتس والبردى . كما تخلف ، من ملحقات تلك الدار (الدُّوار) ، نماذج لـ :

(أ) مصنع غزل ونسيج . (ب) مصنع نجارة .

(جـ) نموذج مخزن (كرار) لصناعة الجعة (الشراب القومى لكل المصريين القدماء[٤٢]) .

(د) معجن ومخبز (فرن) .

(هـ) حظيرة البهائم .

والمفاجأة التى تم العثور على علاماتها داخل مقبرة مكت رع، هى مئات أسلحة الحرب : حراب ، أقواس ، سهام ، مما قد يعنى أحد هذه الاحتمالات الثلاثة[٤٣]، أو جميعها معاً :

(١) ربما كانت تلك الأسلحة بسبب هواية جمع الأسلحة لدى صاحبها .

(٢) ربما سيراً على العادة والتقاليد فى عصره ، بالنسبة للأثرياء .

(٣) ربما تحسباً لاضطرابات وقعت أو كانت على وشك الوقوع فى عصره ، حيث كان على الأرجح ، أحد ضباط الجيش وقادته الكبار .

ثم لماذا لايُحتمل أن يكون ذاك الموظف نفسه ، مكت رع ، لعلاقة مباشرة بالحرب والقتال ، كأن يكون قائد فرقة ، أو ضابطاً

---

(٤٢) صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٩ .

(٤٣) وهى مايسميه الصعايدة ، اليوم ، البوظة .

فى الجيش الفرعونى آنذاك؟!!

(٣) وننتهى إلى وظيفة الفنان ، المتمكن (باعترافه هو نفسه ، كنوع من الفخار الذاتى ، والذى لم يكن – طيلة كل العصور القديمة ، فى الحضارات الشرقية بخاصة ، إلا أداة من أدوات الديانة والعبادة داخل المعابد الرسمية للدولة ، أو القصور الملكية ، لخدمة الغرض نفسه ، فضلاً عن إثراء الحياة بفنه وزخارفه ومشغولاته للحياة اليومية . لقد كان الفن – دائماً – فى خدمة الدين .

ولذلك ، نرى تطور المعارف الخاصة بذاك الفنان كالتالى :

(أ) معرفة باللغة المصرية القديمة ، لكتابة الأدعية والتراتيل .

(ب) معرفة بمراسيم الطقوس ، وطرق السحر ، وتنظيم المواكب والاحتفالات الدينية فى المناسبات المختلفة .

(جـ) معرفة فنية ، مختلفة المهارات : نحت ، وزخرفة ، ونقش .

ويؤكد هذا الفنان العظيم ، إيرتيسن ، (٤٤) أنه :

(١) إخترع مادة (للطلاء) لاتحرقها النار ولايزيلها الماء !!

(٢) أتقن تصوير الجسم البشرى فى كل أوضاعه فى الثبات أو الحركة(؟!!) .

(٣) نحت كل تماثيله من مواد ثمينة : الفضة والذهب ، وهى مهمة أشق بكثير من نحت التماثيل الحجرية ، وتحتاج إلى عدة مراحل دقيقة فى التقنية الفنية .

---

(44) Baud, M., "Le Metier d'Iritisen," Chronique d'Egypte, 1938, P. 21 ff. Q Winlock, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom, p. 32.

ثانياً : آثار الطبقة المتوسطة :

وجاءت على هيئة نماذج طينية لبيوت الفقراء وأهل الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى القديم ، أواخر الألف الثالث ق.م ، وهى نوعان ، وفقاً لشكل السقف:

(أ) سقف مقبب ، مبنى بجواليص الطين ، ذات الحجرة الواحدة داخل سور طينى حول فناء واسع .

(ب) سقف مسطح (تسقيفة بفروع الأشجار) ، يرفعها عمودان أو ثلاثة، من جواليص الطين أيضاً (خص) .

أما النماذج الأخرى ، فتزداد فيها أعداد الحجرات والطوابق [٤٥] .

---

(٤٥) صالح ، المرجع السابق ، ص١٧٠ .

الأسرة : الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٧٨ ق.م)
"عصر الإزدهار والكلاسيكية [٤٦]"

تقديم :

ثارت حول بداية وتأسيس تلك الأسرة الأقاويل والإشاعات ، أو التنبؤات ، وأشهرها ماجاء فى تنبوءات نفرتى ، التى أظهرت المؤسس (أمنمحات) ، لشعبه ، على أنه هو : المنقذ ، المنتظر ، وأوهمت الشعب بأن العناية الإلهية هى التى تخيرته منذ الأزل .. وجاء اختيار أمنمحات للقب «وحم موت» ، أى «معيد النهضة [٤٧]» ، ليؤكد تلك المعانى التى سبقت وصوله إلى عرش البلاد . فما الحكاية إذن ؟!

فى دراسة تفصيلية ، للدليل الأثرى (النحت) والدليل الأدبى (القصص والنبوءات) قام أستاذنا الجليل د. صالح بها للرد على دعاوى الأجانب بأن هذا الفرعون «أمنمحات» ، كان نوبياً (أى أجنبياً) من أم نوبية ، واغتصب العرش من الفرعون الذى سبقه على أثر انقلاب قام به ضد ملك البلاد . وقد توصل د. صالح إلى نتيجة مؤداها الآتى :

---

(٤٦) كلمة كلاسيكى ، تعريب للكلمة الإنجليزية من الكلمة اللاتينية (Classic) والفرنسية "Classique" إلي أخره من اشتقاقات تعني ، طابور أو حتى أسطول - فهى إذن إختراع لاتينى ، استخدمه اليونانيون كذلك منهم ، ثم ظهر فى التراث الأوروبى بقصد إحياء التراث القديم (اليونانى - الرومانى) الأوروبى ، فى عصوره الأولى . وظلت تلك الكلمة ، حتى يومنا هذا ، تعنى : إحياء التراث فى أى حضارة ، وربما كان التعريب الأحدث (كلاسي) هو الأدق عند د. / حمدي إبراهيم في كتبه ، وبخاصة سلسلة شوامخ المؤلفات الكلاسية ، المكتب المصري للمطبوعات ، المجلد الأول ، القاهرة ٢٠٠٥ م.

(٤٧) صالح ، الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ص١٧٣ .

«يبدو أن أمنمحات كان من أقرباء الأسرة الحادية عشرة السابقة له ، أو من أصهارها ، وأنه لم يقبل العرش اغتصاباً من ورثتها ، وإنما اعتلاه ، بعد أن عجزوا عن الاحتفاظ به ، وبعد أن مرت البلاد بفترة عز عليها فيها الاستقرار والحكم الصالح[٤٨]» .

أولاً : الأوضاع الداخلية (السياسية) :

- طال حكم أمنمحات الأول ، (المؤسس) فوصل إلى (٣٠) ثلاثين عاماً .

- أكدت نصوص معاصرة ، لأحد حكام الأقاليم فى عهده ، أنه :

(أ) كان لأمنمحات منافسون على عرش البلاد . وهذه سابقة لأول مرة في التاريخ الفرعونى القديم .

(ب) اتخذ الفرعون أساليب مختلفة – للقضاء على منافسيه :

(١) نفى بعضهم خارج البلاد .

(٢) أضعف كيانات الموجود منهم داخل البلاد ، بأن سلط عليهم زعماء أسر قوية من مصر الوسطى .

(٣) كافأ أنصاره فزاد حماسهم ضد أعدائه .

(٤) قيّد حركة الجميع ، فتدخل فى رسم حدود أقاليم الحكام المحليين ، وحدد لهم سياستهم وسلطاتهم .

- أَشْرَك ، لأول مرة ، معه – فى حكم البلاد ، ولى عهده الأمير سنوسرت ، لمدة (١٠) عشر سنوات كاملة ، حتى يكتسب خبرة تصريف الأمور ، تحت إشرافه وفى وجوده ، من ناحية ، وحتى يأمن انتقال السلطة إليه ، فى هدوء ودون خلاف، بعد مماته ، من

---

(٤٨) المرجع نفسه ، ص١٧٤ .

ناحية أخرى .

– ثبت من وصايا الفرعون لابنه ، وجود مؤامرة ، (خيانة) كانت تستهدف حياته[٤٩] .. وهذا خبر تاريخي يقيني ، لأول مرة ، ضد فرعون مصر . لأن في ذلك تقليل من هيبة الفرعون وإقرار بالجرأة على تهديد حياته الشخصية !!!

– كانت سياسة الابن ، سنوسرت الأول (لمدة ٤٤ عاماً) مسايرة لروح العصر ، كريمة مع ذوى الكفاءة من رجال دولته ، الذين أخذوا حظهم من علو المكانة والسلطان والاعتزاز بالنفس تحت سمع وبصر الفرعون [٥٠] . فبدأ أحد وزرائه بالإشادة بنفسه ، واصفاً إياها بالعدالة «قَيِّم القسْطاس» – على حد تعبير النص الهيروغليفي – مثل الإله تحوتي – ربَ الحكمة (؟!) والعدالة (؟!) .. إلى هذا الحد بلغ الفخار الشخصي ، والثقة بالنفس .. فهل كان ذلك حقاً ؟! من يدرى ؟!

إنتقلت تلك الروح المتفاخرة والمزهوة بإنجازاتها الشخصية ، والمستغلة لسماحة الفرعون ، من الوزير إلى كبار رجال الأقاليم المتمتعين برضا الفرعون وتأييده . وهاهو رجل يدعى «أميني» ، حاكم إقليم الوعْل (بمصر الوسطى – محافظة المنيا الآن) يفاخر بنفسه العادلة، الأمينة ، والعاملة لخير شعبها ، والعطوفة على رعاياها ،

---

(٤٩) راجع صالح ، المرجع نفسه ، ص١٧٥ . أما ماقال به المؤرخ المصري ، مانيتون في القرن ٣ ق.م ، حول مقتل تيتي ، مؤسس الأسرة السادسة بأيدى حراسه ، فليس هناك دليل ، من أي نوع ، على ذلك . راجع محمد أبوالمحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت (ب ت) ، ص١١٩ .

(٥٠) المرجع نفسه .

الرحيمة بقومها ، والمحسنة إليه في كل حين ، يقول :

«لم أسئ إلى إبنة مواطن قط ، ولم أزجر أرملة ، ولم أقس على مزارع ، ولم أبعد راعياً ، ولم أحجر على عمال ريس أنفار فى مقابل الضرائب المستحقة عليه ، ولم يكن بين قومى بائس أو جوعان .. ، وعندما تعاقبت سنوات القحط ، أشرفت على استغلال إقليم الوعل من جنوبه إلى شماله ، وكفلت الحياة لأهله ، ووفرت لهم الأقوات، فقل بينهم المحتاج ، وأهديت الأرملة [٥١] ، كما أهديت ذات البعل [٥٢] ، ولم أميز عظيماً على فقير فيما أعطيت [٥٣] . وعندما عادت الفيضانات العالية ، وازدادت المحاصيل ، وتوفر كل شئ ، تجاوزت عن متأخرات ضرائب المزارع [٥٤] » .

لاشك أننا أمام وثيقة فخار شخصى ، بمجموعة من الخلال الذاتية ، التى تؤكد (١٢) - ويعلم الله وحده مدى مصداقيتها - كيف أن أمينى كان حاكماً عادلاً ، محسناً ، شهماً .. إلخ ، مع مواطنى إقليمه. أما الحقيقة التاريخية الوحيدة ، التى يمكن أن نخرج بها من هذا النص ، فهى حادثة تعرض الإقليم للجفاف والقحط ، فى الغالب ، بسبب قلة منسوب الفيضان ، فى فترة حكم هذا الرجل ، مما أجدب الأرض ، وقلل الخيرات ، وأنقص المزروعات ، وبالتالى عاش الإقليم ، ربما سنة أو أكثر - لانعلم - فترة شدة وحاجة !!! وهنا ، كانت الفرصة

---

(٥١) لاندرى المقصود هنا ، بالإهداء ، ولكن لعله كان هذا الحاكم يعطى للأرامل معونة ، فى أثناء القحط ، الذى يذكره .

(٥٢) وهنا لانفهم المقصود بإهدائه للمتزوجة ، التى معها زوجها ، وربما كان يعنى أنه ساوي بين المواطنين جميعاً عند صرف المعونات لهم .

(٥٣) بهذه الجملة يتأكد المعنى فى الاحتمال الذى سقناه فى الهامش السابق .

(٥٤) صالح ، المرجع السابق ، ص١٧٦ .

سانحة ، لتظهر الصفات الطيبة للحاكم أمينى ، الذى قام بواجبه تجاه رعاياه خير قيام ، - على الأقل كما ذكر هو !!!

* ولقد وصلت الجرأة بكبار الحكام الإقليميين جداً لدرجة أن أحدهم ، وهو أمينى ، السابق الذكر ، قد أرخ لنصوصه ، بتاريخ ولايته هو ، ثم أضاف - لذر الرماد فى العيون - تاريخ حكم الفرعون [٥٥] . مما حدى بأحد علماء المصريات ، وهو هرمان كيس (H. Kees)[٥٦] ، لافتراض وجود نوع من الإقطاع ، بين حكام الأقاليم ، بسبب سلطانهم الكبير وتضخم ممتلكاتهم ، ولكن برضا الملوك ولصالح الرعية [٥٧] .

* وفجأة ، يصل إلى عرش البلاد ، الفرعون الطموح ، القوى ، سنوسرت الثالث (خع كاو رع) ، الذى قلب الأوضاع وأعادها إلى سيرتها التقليدية وقلص سلطان حكام الأقاليم ، الذين كانوا - حتى حينه - قد ورثوا أبناءهم حكم أقاليمهم[٥٨]، مما كان يعنى ضياع هيبة الفرعون ، ونسيان (أو تناسى) حقه فى تعيين الحكام الإقليميين فى المحافظات . نعم ، لقد قلم سنوسرت الثالث أظافرهم ، ولكن دون أن ينزعها .. ويكفى أن نعرف أحد الحكام ، وهو «تحوتى حوتب» - فى إقليم البرشة - قد صنع لنفسه تمثالاً ضخماً (خلده

---

(55) Newberry, Beni Hasan, vol. I, plate VIII, وحول النص وترجمته إلى الإنجليزية ، راجع

Brensted, A.R.E., No. 519, 523, 518.

(56) Kees,Ancient Egypt, p. 318.

(٥٧) صالح ، المرجع السابق ، ص١٧٦ .

(58) Newberry, El-Bersheh I, pl. XV. & J. Vandier, Chronique d' Egypte, 1944, p. 185. ff.

على حوائط قبره) ، وصل ارتفاعه إلى ٦٣/٤ متراً ، وشارك فى نقله إلى مقصورته (١٧٢) مائة واثنين وسبعون رجلاً ، بين مجند ومأجور ومتطوع [٥٨] .

* واستمرت سياسة مركزية الحكم قائمة وقوية ، فى عهد خلفه أمنمحات الثالث ، الذى اشتهر عنه الإنجاز الضخم ، فى مجال الفلاحة والزراعة ، حتى أصبح حبيب الفلاح ، وهو ماسنعرفه فى الموضوع التالى (العمران) .

* وقبل الدخول فى بقايا آثار تلك الأسرة ، وعمرانها ، وجدنا من الأهمية بمكان أن نقدم الحديث عن مجموعة البرديات التى تم الكشف عنها فى بيوت اللاهون [٥٩] ، أقدم قرية مصرية واضحة المعالم الأثرية .

ثانياً : الكشف البردى :

– هى مجموعة من الوثائق البردية ، المكتوبة بالخط الهيراطى [٦٠] .

– تعالج موضوعات متنوعة : إدارية ، وتعليمية ، وطبية .

(أ) المجموعة البردية الإدارية :

وتعالج موضوعات خاصة بتعداد السكان ، حيث يقدم رب كل أسرة بياناً تفصيلياً ، لأحد المكاتب الحكومية المحلية ، تخص عدد أفراد الأسرة ، ونوعهم (ذكر، أنثى) ، وأعمارهم ، فضلاً عن عدد الأتباع والموالى الذين يعيشون عالةً على الأسرة، وفى خدمتها . ثم يتبع ذلك ، بأداء القسم ، على صحة البيانات التى أدلى بها ، وذلك فى حضور

(٥٩) تقع قرب الفيوم ، على مسيرة حوالى ١/٢ ساعة بالسيارة .

(60)Griffith, F., Hieratic Papyri from Kahun, London 1898.

شهود ، يسجلون أسماءهم مع البيانات ..

ويقول د. صالح ، مقيماً هذه التجربة الإدارية غير المسبوقة فى كل الحضارات القديمة فى العالم أجمع ، فى مثل ذاك الوقت من عمر التاريخ القديم (الربع الأول من الألف الثانية ق.م : حوالى ٢٠٠٠-١٧٧٥ ق.م) ، فيذكر :

«وينم هذا الإجراء عن رقى النظم الإدارية فى أيامه ، والحرص على التدقيق فى صحة بياناتها [٦١]» . ومما لاشك فيه ، أن الهدف كان تأمين موارد الخزانة الملكية الفرعونية – باستمرار ، وبازدياد .

(ب) أما المجموعة البردية الطبية :

فقد تضمنت :

(١) جزءاً من بردية لعلاج أمراض النساء .

(٢) بردية بيطرية ، لعلاج عيون وأسنان العجول والكلاب .

مما يعنى – كما يقول د. صالح – وضوح التخصص فى العلاج، من ناحية ، ثم توافر الأحاسيس الرقيقة والعطف على الحيوان الأعجم وعلاج أمراضه [٦٢] .

(جـ) وأما القصاصات البردية التعليمية :

فقد اشتملت علي :

(١) تمارين رياضية وحسابية .

---

(٦١) المرجع السابق ، ١٧٩ .

(٦٢) المرجع نفسه .

(٢) تمارين لتعليم الإنشاء وصيغ الرسائل .

ثالثاً : العمران :[٦٣]

إنه لمن خظ دارس الآثار المصرية ، فى هذه الحقبة من عمر تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، أن تم الكشف عن آثار عمران ذات أهمية بالغة ، ليس بالنسبة لهذه الأسرة فحسب ، بل بالنسبة لكل الآثار المصرية ، لما لتلك الاكتشافات من مدلولات حضارية عظيمة ، تلقى أضواء جديدة وكثيفة حول مظاهر العمران ، فى مصر القديمة ، لأول مرة ، بمثل ذلك التفصيل والتنوع ، ووجودها هى بنفسها ، كدليل مادى معاصر - لايقبل الجدل والنقاش وفرض الفروض والاحتمالات - ، وليست كلاماً لاحقاً ، عند مؤرخين لاحقين ، أو انطباعات شخصية لدى بعض الكهان أو الموظفين فى نصوص مقابرهم ، مما يستلزم الحيطة والحذر ، لأنهم ، هم أصحاب مصالح ، من نوع ما ، ولانعرف مدى مصداقية كلامهم !!!؟ .

وسنوجز كلامنا ، فى هذا الموضوع ، عن :

(١) العاصمة الجديدة ، اللاهون .

(٢) القناة المائية .

(٣) السد (أو مشروع الاستصلاح الزراعى) .

(٤) القصر الملكى (اللابيرانث) .

(٥) المسلة .

---

(٦٣) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ، ط٣ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ص١٧٧، ١٨١ .

أولاً : العاصمة :

* كشف عنها ، أواخر القرن (١٩) الميلادى ، أى منذ حوالى (١٠٠) مائة عام تقريباً ، الأثرى فلندرز بترى (F. Petrie) .
* تقع شمال الفيوم الحالية ، على مقربة من بلدة اللشت .
* سماها مؤسسها ، امنمحات الأول ، «إثت تاوى» بمعنى «رابطة الوجهين» أو «قابضة الأرضين» .
* أهميتها الحضارية – كما قال د. صالح – تتمثل فى أنها :

«من أقدم البلاد المصرية واضحة المعالم ، التى تعرف الأثريون على رسوم مساكنها [٦٤] » .

وقال عنها مكتشفها بترى (Petrie) ، موضحاً أهمية الكشف الأثرى :

«إن الأثريين لم يعودوا يتلمسون حياة الدولة الوسطى فيما صورته مناظر مقابرها ، وتحدثت عنه نقوشها فحسب ، وإنما غدا فى وسعهم كذلك أن يطرقوا الشوارع والأزقة ، التى مشى فيها أهلها ، ويريحوا فيها ، حيث كانوا يريحون [٦٥] » .

$ ونوجز أهم معالم تلك العاصمة فيما يلي :

(أ) شيدت من الطوب اللبن ، وفق تخطيط مرسوم .

(ب) قسمت إلى حيين متمايزين : حى كبير ، للخاصة ، وحى صغير للعمال والصناع ، العاملين فى هرم الفرعون الواقع إلى جوار تلك

---

(٦٤) المرجع نفسه ، ص١٧٨ .

(٦٥) المرجع نفسه .

المدينة :

(جـ) كانت مساكن الحى الكبير ذات اتساع ملحوظ ، على هيئة الدَّوَّار الريفى ، وبلغت مساحة الواحد منها نحو ٢٧٠٠ متراً (؟!) ، واحتوى البعض منها على (٧٠) سبعين حجرة وصالة ودهليز ومخزن . ويقطع مساكن ذلك الحى ، شارع رئيسى ، تميل أرضيته إلى وسطه حيث توجد قناة ضيقة ، كسيت جوانبها بالحجر، لتجميع مياه المنازل والأمطار معاً . وهناك طرقات فرعية مماثلة .

(د) أما حى العمال ، فبيوته ضيقة ، متواضعة ، ويخترقه شارع رئيسى ، يبلغ عرضه مابين ٨–٩ أمتار ، وتتفرع عنه حارات أضيق ، يصل عرض كل منها نحو (٤) أمتار [٦٦] .

(هـ) تحيط البلدة (المدينة/العاصمة) أسوار سميكة من الطوب اللبن ، وبها بوابتان كبيرتان .

(و) بها استراحة ملكية للفرعون .

ولكن ، للأسف ، يبدو أن أهالى تلك المدينة كانوا قد هجروها بعد إنشائها ، بأجيال قليلة – كما يقول د. صالح [٦٧] – لأسباب غير معروفة حتى الآن [٦٨] . وكان قد عثر بداخل بيوت اللاهون على بقايا

(٦٦) راجع نشر الكشف الأثرى لصاحبه بترى Petrie, W.M.F., Illahun, Kahun and Gurob, London 1891.

(٦٧) المرجع السابق ، ص١٧٨.

(٦٨) ألا يمكن أن يكون السبب زلزالاً (؟!!) أفزع الناس ، وتهدمت بسببه البيوت ، فظنوها لعنة من الآلهة فهجروها ؟!! ألا يمكن أن نربط ذلك ، بيوم الإثنين الأسود (١٢/١٠/٩٢) ، يوم الكارثة ، حيث كان مركز الزلزال ، أيضاً ، الفيوم !! وهذه المنطقة تحديداً .

أدوات الاستعمال اليومى ؛ صناديق ، ومقاعد، وحصير – وصنادل (أحذية) ، ومغازل للصوف ، ولعب أطفال (!!) ، فضلاً عن أدوات البناء والنجارة وبرديات (سبق الحديث عنها) . أما عن أسباب إنشاء تلك العاصمة الجديدة وترك العاصمة القديمة الجنوبية (طيبة) فهناك احتمالات كثيرة .

ثانياً : القناة المائية :

* مراجعنا عن هذه القناة ، أول مشروع لربط النيل بالبحر الأحمر(!!)، هى مراجع لاحقة ، وبالتحديد عند كتاب ومؤرخين أجانب (يونان : هيرودوت ، وديودوروس الصقلى ، واسترابون) ورومان : (بلينيوس [(٦٩)]) ، أى منذ منتصف القرن الخامس ق.م وحتى القرن الأول الميلادى . مما يضعنا فى حيرة كبيرة (؟!!) .
* موقعها – على أحسن تقدير – من فرع النيل ، شمال الزقازيق [(٧٠)] ، وتمتد خلال وادى الطُميْلات حتى تنتهى عند البحيرات المرة ، بالقرب من الإسماعيلية الحالية.
* اختلف العلماء المحدثون حول تأريخ الفرعون ، واسمه ، الذى شق تلك القناة .
* الرأى الأرجح ، المعمول به حتى الآن ، هو أن هذه القناة لم يكن لها وجود إلا فى عهد الفرعون نيكاو عام سنة ٦٠٠ ق.م ، تقريباً . وبالتالى فإن نسبتها إلى الدولة الوسطى والأسرة الثانية عشرة

---

(٦٩) المقصود هنا هو بلينيوس ، الأصغر (٦١-١١٢م) ، صاحب «الرسائل : راجع (Epistolae) & (Panegyricus,) Oxford Classical Dictionary op. cit., pp. 846-847 – أو بلينيوس الأكبر (٢٣-٧٩م) .

(٧٠) تقع شرق الدلتا وتبعد حوالى (٨٠) ك.م عن القاهرة .

مشكوك فيه (!!؟) .

ثالثاً : السَّد :

* وهو من أهم المشروعات التى خلدت ذكرى أمنمحات الثالث ، بصفة خاصة، والأسرة الثانية عشرة ، بصفة عامة .

* وهو عبارة عن مشروع استصلاح زراعى ، عن طريق الانتفاع بمياه بحيرة قارون (منخفض الفيوم) ، التى يتم تخزينها فيها [بفضل انخفاض مستواها] عند ارتفاع مياه الفيضان كل عام .

إذن المشروع يتلخص فى : تخزين مياه فيضان النيل الزائدة ، كل عام ، داخل البحيرة المنخفضة ، والاستفادة بها فى رى أراضى المدرجات المحيطة بها بقية السنة، أى فى غير أوقات الفيضان (شهرى يوليو وأغسطس) .

* كانت تفاصيل المشروع تقتضى بناء سد أو (أكثر) ، به فتحات ضيقة ، عند أضيق نقطة فى فرع النيل الذى يجرى ، بالمنطقة ، وهو «بحر يوسف» الحالى ، قبل جريان الماء ووصوله إلى البحيرة ، لرى أراضى أخرى عالية المستوى . إذن السد، يضيف مساحة أخرى ، أمامه لاستزراع بعد رفع منسوب المياه المخزونة أمام جسم مبناه .

* مراجعنا هنا أيضاً أجنبية ، يونانية : هيرودوت ، وديودوروس واسترابون . يعنى أنها لاحقة . ولكن آثار تلك السدود ، لاتزال قائمة عند فم أخدود هوارة بجوار اللاهون ، والتى – تؤكد – أنه ربما كانت البداية فى عهد الملك سنوسرت الثانى ، وأكملها الفرعون أمنمحات الثالث .

* نتائج المشروع ، فى تقدير المتخصصين :

(أ) استصلاح نحو ٢٦–٢٧ ألف فدان جديدة .

(ب) قيام قرى جديدة ، على مستوى مرتفع عن القرى القديمة بحوالى (٢٠) عشرين متراً .

(جـ) تكوين مثلث خصب ، داخل البحيرة ، من ترسيبات الطمى داخلها ، أنشئت عليه مدينة «شدة» ، وهى الفيوم الحالية .

رابعاً : القصر الملكى (اللابيرانث) :

* هذه التسمية يونانية الأصل (Labyrinthos) ، وكان اليونانيون القدماء ، بدءً من هيرودوت [٧١] (منتصف القرن ٥ ق.م ، حوالى ٤٦٠ ق.م) قد أطلقها على قصر مينوس الكريتى ، وكذلك على قصرنا هنا ، فى منطقة اللاهون بالفيوم .

* وهناك وصف آخر ، للقصر ذاته ، عند سترابون [٧٢] ، يختلف عن وصف هيرودوت ، فأيهما نصدق ؟!! من أيهما الصادق ، والآخر هو الكاذب ؟!!

ويشير العلامة المصرى الشامخ . د. صالح ، قائلاً :

« تلك المبنى الذى دخل ذمة الأساطير ، كان معبداً ضخماً ، أقيم بجوار هرم أمنمحات الثالث ، لأداء شعائره الأخروية . ولو أنه لايستبعد أن يكون أهل المنطقة قد استخدموه لأغراض أخرى بعد عهد صاحبه ، مثل الاحتفال فيه بأعياد الفيضان ، وأعياد رب الفيضان ،

(71) Herodotus, II. 148.

(72) Strabo, XVII. 37.

وأعياد سوبك ، معبود منطقة البحيرة (٧٣)» .

وهنا ، أى تعارض موجود فى ذلك ، مع إشارات المؤرخين اليونانيين ؟! إننا لانجد شيئاً يختلف فى هذا الاستنتاج الأثرى عما قال به هيرودوت واسترابون ، إلا فى تسمية ذاك المبنى باسم «اللابيرانث»(٧٤) - واعتباره قصراً أو عدة قصور ؟! ونعتبر هذا الخطأ البسيط من تقدير أولئك الأجانب وفق معايير بلدانهما وآثارها ، التى تعتبر فقيرة ، ...؟.. بالقياس إلى مأساة فى مبنى اللاهون المصرى .. ألم يقل هيرودوت صراحة ، ناقلاً إحساسه الخاص ، بصدق أن كل آثار اليونان لاتطاوله فى فخامته ؟!!.

وأخيراً ، فإننا نرى أن الآمر لايزال يحتاج إلى مزيد من الدراسة والمطابقة بين الوصف الأدبى وبين الآثار الموجودة من ذاك المبنى حتى يومنا هذا ..

خامساً : المسلة

بناء مسلة ما ، رمز دينى عظيم ، يعكس مدى إيمان الفرعون بآلهته ولاسيما الإله «رع» - إله الشمس - ، إذ أن المسلة هى طموح الفرعون فى التقرب إلى عنان السماء ، وقرباً من أفق الإله . كما أنه يعكس قدرة مادية ملموسة لدى الفرعون ، الذى يتمكن من شق حجرها، كقطعة واحدة ، من المحاجر الجنوبية الصلدة ، وينقلها من هناك ، إلى مكان تشييدها .

---

(٧٣) صالح ، المرجع نفسه ، وكذلك راجع بحث A. Lloyd, The Egyptian Labyrinth", Journal of Egyptian Archaeology, 1970, p. 81 ff.

(٧٤) تعنى الكلمة ، فى اللغة والتراث اليونانى ، «قصر التيه ؟! أى يتوه من يدخله . وهاهم يقولون: إلى اليوم : بمعنى أن «الأمر معقدة مشكلة وصعب الخروج منها» = (Einai Labyrinthos)

ومن حسن الحظ ، فإن هناك ، حتى اليوم ، مسلة من الجرانيت، يبلغ ارتفاعها نحو (٢٢) متراً ، موجودة قرب المطرية الحالية (التى كانت جزءاً من عين شمس (أونو) القديمة) كان الفرعون سنوسرت الأول قد أقامها هناك .

ويقدر د. صالح هذا الأثر قائلاً :

«وتعتبر أقدم مابقى كاملاً ، حتى الآن ، من المسلات الكبيرة من مصر القديمة[٧٥]» .

رابعاً : الفنون :

(أ) النحت :

تأثر نحت الأسرة الثانية عشرة بمدرستين فنيتين :

(١) مدرسة منف : وهى مدرسة محافظة ، تخلط الواقعية بالمثالية ، التى تجعلها الطابع الغالب على تماثيل الفراعنة ، مما جعل تماثيل تلك الفترة ، وبخاصة ، التى تصور حكام البلاد ، تصطبغ بخصال متشابهة : هيبة مطلقة ، وشباب دائم، وتقاطيع مليحة متناسقة ، وانتصابة قوية للجسم ، .

(٢) مدرسة طيبة : غلبت الطابع الواقعى على نحت تماثيلها ، وركزت على ملامح الوجوه كما هى فى واقع الحياة ، لا كما ينبغى أن تكون عليه من جمال ورونق . وصلت إلى قمة نجاحها فى إتقان أسلوبها ، حوالى منتصف عصر الأسرة الثانية عشرة ، حوالى عام ١٨٥٠ ق.م ، كما يتضح من تماثيل الفرعون سنوسرت الثالث[٧٦]،

(٧٥) المرجع نفسه ، ص١٧٨ .

(٧٦) صالح ، المرجع نفسه ، ص٥٨٠ ، شكل ٣٢ .

ذات الوجه الصارم ، الجاد ، وذلك على عكس ملامح وجه تماثيل الفرعون أمنمحات الثالث ، الهادئة المسالمة [٧٧] .

كما يلاحظ كذلك ، أنه تم تجديد وإضافة أوضاع جديدة لتماثيل الفراعنة ، مثلما نرى في تصويرهم جلوساً أو جاثيين على ركبهم ، يقدمون آنية القرابين للآلهة ، فى لحظات خشوع وتقوى كبيرين .

(ب) الرسوم الجدارية :

وعادة ماتكون داخل المقابر للوزراء وكبار الموظفين وحكام الأقاليم المحليين ، وقد كررت الموضوعات التقليدية الدالة على إيمان المجتمع والناس بآلهتهم وبيوم البعث والخلود .

ولكن ، تلك اللوحات الجدارية تسجل ، هنا ، لأول مرة ، بمثل هذا التفصيل ، وبمثل هذا التنوع ، صوراً لألعاب رياضية عديدة . هنا ، تتجسد مناظر ممارسة رياضات كثيرة ، منها :

(١) لعب الكرة ، بين البنين والبنات .

(٢) القفز .

(٣) الجرى .

(٤) الأكروبات .

(٥) ألعاب الهواء الجماعية (الأرجوحة) .

(٦) المصارعة .

(٧) حمل الأثقال .

(٨) سباق القوارب .

---

(٧٧) المرجع نفسه ، ص٥٨١ ، شكل ٣٣ .

وكانت رياضة المصارعة ، على وجه الخصوص ، هى صاحبة النصيب الأوفر من التسجيل على جدران المقابر ، التى تخص كبار وحكام إقليم الوعل (محافظة المنيا) ، فى مدينة بنى حسن .

هنا ، نقف ، بالحق ، أمام أكبر وأقدم دليل أثرى على ممارسة الرياضة ، فى كل الحضارات القديمة .. أثر لامثيل له ، لاعند حضارات العراق القديم ، ولاعند حضارات سوريا القديمة ، ولاعند حضارات اليونان القديمة .. ولاحتى ، قبل ذلك ، فى مصر القديمة ذاتها .. إننا أمام أثر يؤرخ بمطلع الألف الثانية ق.م ، مما يؤكد سبقاً حضارياً مؤكداً ، فى الاهتمام الكبير بمثل تلك الرياضات والألعاب ، ولاسيما المصارعة .

ويكفى أن نعرف أن هناك صوراً لـ٢١٩ وضعاً من أوضاع المصارعة . **«وذلك يعنى أنه كانت قد استقرت لها قواعد وأصول منذ ماقبل أوائل الألف الثانى ق.م ، وأن المصورين والهواة كانوا يستمتعون بها ، ويدركون مابين كل وضع من أوضاعها وبين بقية الأوضاع من اختلاف [٧٨]» – كما يقول أستاذنا الدكتور / صالح .**

أما مايمكن أن يقال عن الهدف من هذه الألعاب ، وهل كانت تنتظم فى شكل مسابقات رسمية ، تحت إشراف الدولة أو الإقليم أم لا ، فكلها أمور تحتاج إلى توثيق ، وكل مايقال الآن عنها ، هو محض اجتهاد ولايقوم على أساس علمى يقينى ، بل ربما يكون الكلام فبه مبالغة أو تهويل ، بدافع الروح الوطنية والاعتزاز الحضارى العميق ،

---

(٧٨) صالح ، المرجع السابق ، ص١٨٢ . وكذلك راجع الأثرى الأجنبى ، New-berry, Beni Hasan vol. II, plates IV, V, VII, XIII, XXXI, XXXII.

أمام الإعلان الغربي بسبق الحضارة اليونانية المطلق فى تنظيم مسابقات الدورات الأولمبية (٧٧٦ق.م ؟!) .

إنه ، من أمانة القول ، وللحقيقة التاريخية ، يجب أن نحدد الإنجاز المصرى القديم ، مؤقتاً ، بالسبق التاريخى المؤكد ، والتسجيل الأثرى التفصيلى – الذى لايزال قائماً إلى اليوم – لمثل تلك اللعبات الرياضية . وذلك حتى يتم البحث العلمى لجوانب الموضوع كله .

خامساً : السياسة الخارجية [فلسفة السياسة الداخلية وأركانها] :

كانت السياسة الخارجية المصرية للأسرة الثانية عشرة على قواعد تم التعرف عليها من خلال النصوص المكتشفة والرسوم المصورة والآثار المتواجدة فى أماكن الاتصال الخارجى ، ويمكن تحديد تلك القواعد فى النقاط الآتية :

(١) تغليب علاقات الود ، والمصحة المتبادلة ، مع الدول المجاورة فى الشام والعراق وجزر بحر إيجة (اليونان – الآن) .

(٢) اعتبار التجارة بينها وبينهم هى سفير تلك المصالح .

(٣) توطيد النفوذ المصرى ، وتوسيع مناطق الإشراف القوى ، وكذلك الاستثمار للثروات الطبيعية ، على امتداد الحدود الغربية والجنوبية لمصر :

(٤) إيثار السلام المسلح – أى سلام القوة ، القائم على قوة التحصين والاستعداد التام واليقظة على الحدود المصرية .

وأدلتنا على ممارسة تلك القواعد ، منذ بداية عهد أمنمحات الأول ، مؤسس تلك الأسرة ، كثيرة ومتنوعة :

(أ) فهو الذى أنشأ «أسوار الوالى» ، وهى مجموعة التحصينات الطويلة على امتداد الحدود الشرقية والشمالية الشرقية المصرية .

(ب) ذكر النصوص الجنوبية ، فى كرما ، لأسوار باسم : «أسوار أمنمحات المبجل[٧٩]» .

كما قامت حملات عسكرية ، صوب الجنوب ، فى عهد سنوسرت الأول ، ضد هجمات زنجية أشاعت الفوضى والاضطراب فى إقليم النوبة ، الذى كانت مصر ، آنذاك ، تعتبره ، جزءاً من حدودها الجنوبية ، كما كان فى السابق ، منذ الأسرة السادسة .

وكذلك قام هذا الفرعون النشيط ، سنوسرت الأول ، بتعيين حكام مصرين على المدن الكبرى ببلاد النوبة ، مثل كرما (Kerma) التى تقع خلف الشلال الثالث ، والتى كانت سوقاً رئيسية لتجارة القوافل ، عبر درب الأربعين فى الواحات الغربية .

وأهم شخصية تاريخية ، جاءتنا أخبارها اليقينية عبر نصوص أثرية من الجنوب (النوبة : كرما) هى شخصية الوالى المصرى عليها ويسمى : «حعبى جفاى» ، الذى قال عن نفسه متفاخراً فى نصوص مقبرته ، أنه كان :

«نجماً هادياً لأمثاله ، ومرشداً لمن هم أكبر منه .. ثابت الفؤاد .. يخمن الأمور المستقبلية ، ويعرف ما فى الصدور[٨٠] (؟!) ، فصيح اللسان ، لبق الكلام ، .. أهتدى بعقله إلى سبيل الحسنى[٨١] ، وعرف

(٧٩) راجع ، جون ولسون ، الحضارة المصرية (معرب بالقاهرة) ، ص٢٣٥ .

(٨٠) هذا الوصف جديد ، فى النصوص ، وربما يوحى بأنه كان ساحراً ، يعرف – بالسحر – مشاكل الناس وهمومهم ، مما جعلهم يقدسونه بعد موته !!! .

(٨١) ربما ، أيضاً ، تشير تلك الصفة ، إلى أنه كان خَيراً جداً ، ويؤكد ذلك وصفه لنفسه أيضاً بأن علماء الدنيا كانوا يقدرون سياسته .

دائماً كيف يقدر خطواته [٨٢]» .

ولعل أخطر مافى قصة ذاك الحاكم (الوالى) الإقليمى المصرى لمدينة «كرما» النوبية ، هو ماعثر عليه فى مقبرته الثانية - حيث دفن فعلاً فى النوبة ، ولم ينقل جثمانه إلى بلدته الأصلية فى أسيوط . لقد تم الكشف عن مايقرب من ٢٠٠-٣٠٠ جثة لأتباع وخدم حعبى چفاى ، مدفونة فى ممر حجرة الدفن الخاصة به . **فهل كانت هذه هى تقاليدهم فى دفن حكامهم الطيبين ؟! وهل حدث هنا عملية انتحار جماعى ، حزناً عليه ووفاء له ؟! أم ماذا ؟!** والطريف - أيضاً - أنه تم الكشف عن جماجم وقرون ألف (١٠٠٠) ثور ، موضوعه حول مقبرته .. **فهل كان أهل كرما ، قد ضحوا بكل هذه الثيران تكريماً لحاكمهم المتوفى ؟!!** إذا كان كل ذلك قد وقع عشية وفاة حعبى چفاى ، فإنه ليؤكد - بما لايدع مجالاً للشك - أنه كان محبوباً إلى أقصى درجة من رعاياه .. وهل بعد كل ذلك من تكريم ووفاء ؟!!

ويعبر أستاذنا د. صالح عن حيرته إزاء هذه الآثار فى مقبرة دفن ذاك الوالى المصرى فى كرما فيقول :

«ولسنا ندرى هل تم ذلك فى وقت واحد أم على فترات ، أصبح فيها مكان المقبرة ، مكاناً مقدساً [٨٣]» .

(82) Sethe, Urkunden der Mitteleren Reiches, I, Nr. 212 f.

(٨٣) المرجع السابق ، ص١٨٤ .

تابع الأسرة الثانية عشرة :

السياسة الخارجية مع الدول الأجنبية [٨٤]

ونقصد هنا سياسة مصر ، إبان تلك الفترة (طيلة القرنين الأَوَّلين من الألف الثانية ق.م) مع الدول الأخرى ، غير النوبة .

(أ) مع الشام (سوريا القديمة) :

وحول طبيعة تلك العلاقات بين ملوك مصر ، ولاسيما أمنمحات الأول وسنوسرت الأول ، تسجل لنا قصة أدبية ، من روائع الأدب التسجيلي القديم ، المعروفة باسم قصة : سنوهي ، أو سنوحي .

وهي قصة [٨٥] – في نظرنا – ذات دلالات كثيرة تاريخية ، ولكن دلالتها الذاتية ، أي عن شخص سنوحي ، نفسه ، فهي تعبر عن الوفاء السلبي ، للحاكم وللوطن : [رجل من المقربين لبلاط الفرعون ، عند عودته من حملة خارجية ، على ليبيا ، مع ولي العهد ، يسمع إشاعات بين الأمراء حول العرش ، فخشى على موقفه الشخصي ، ولجأ إلى الهرب : إما خوفاً على نفسه من احتمالات الصراع ، أو وفاء سلبياً لفرعونه ، الذي لايستطيع مناصرته ، فآثر البعد كلية عن مسرح الأحداث . ولقد أفاض النص الخاص بتلك القصة في وصف حنين الوطن الغالب ، والوفاء لترابه والدفن تحت ثراه ، كما أفاض في وصف

---

(٨٤) كنا قد شرحنا ، السياسة الخارجية مع النوبة ، ولكن النوبة كانت في نظر المصريين ، جزءاً من مصر متمماً لها في الجنوب .

(٨٥) راجع تفاصيل القصة ، صالح ، المرجع السابق ، ص ص٢٥٦-٢٠٧ .

مشاعر الإيمان والخوف والفخار والإصرار على التغلب على الصعاب والأهوال] .

ومن الطريف أن نقرأ سوياً ، بعض فقرات تلك القصة الرائعة ، وهى كما يصفها أستاذنا العظيم د. صالح ، :

«فهى من حيث الشكل ، قصة واقعية لتجربة شخصية ، حدثت فى زمان ومكان ، ولها بداية ونهاية ، وقد تضمنت فى سياقها معلومات بسيطة مشوقة عن بلاد الشام وأهلها ، وتضمنت من شعر المدائح والأمثال الجارية ، ومن صيغ التراسل ، ولباقة الاستعطاف ، ورقة الاعتذار [٨٦] ، ماكان المعلمون والطلبة المصريون يلذ لهم الاستشهاد به ، وترصيع كتابتهم به [٨٧]» .

هاكم ، أولاً ، وصفاً لإحدى مدن الشام ، كما جاءت عند سنوحى :

«كانت بلدةَ طيبةَ ، تُدْعَى «إِيا» ، فيها تين وأعناب ، وخمرها أغزر من مائها ، وفير عسلها وزيتونها ، كل الثمر على أشجارِها ، فيها شعير وحنطة ، ولاحصر لأنعامها [٨٨]» .

وبذلك يكون سنوحى أول جغرافى ، وأقدم رحالة ، يهتم بخصائص الأقاليم الأجنبية .. فى مطلع الألف الثانية ق.م .. إنه لسبق تاريخى ، فى هذا المضمار ، جاء بمحض الصدفة ، وتصاريف الأقدار ، ولكنه ينم عن شخصية ذكية ، لماحة ، ذات ذاكرة جيدة ،

---

(٨٦) كان الفرعون قد أرسل إليه ، يطلب منه العودة للوطن ، فرد سنوحى بأدب يبرأ نفسه .

(٨٧) المرجع نفسه ، ص٣٥٦ .

(٨٨) المرجع نفسه ، ص٣٥٧ .

واهتمامات كثيرة .

وإذا ما انتقلنا إلى فقرة أخرى ، أراها جديرة بالتسجيل والإشارة هنا ، نظراً لأهميتها القصوى فى تحديد ملامح الشخصية المصرية القديمة ، والتى لاتزال – إلى يومنا هذا – خالدة فى تراث ذلك الشعب العملاق ، الذى قهر وتحدى الزمان وصمد لظلم الإنسان ..

لقد روى سنوحى ، عن لسان الفرعون ، رسالته إليه يستدعيه بكلمات رقيقة ، يذكره فيها بتراث بلده ، وعاداته وتقاليده العريقة ، كما يعكس حب الفرعون لسنوحى، وإعزازه له ، بالرغم من موقفه السلبى هذا ، وفراره إلى خارج مصر :

« ... عدْ إلى مصر ، حتى ترى الأرض التى نشأتَ فيها ، وتُقَبِّل[٨٩] الأرض عندَ البوابة الثنائية العظمى . والتحق بالبلاط . لقد هرمتَ الآن ، وعزِ نَشاطِك فتذكر يوم الدفن ، وليلةَ إعداد الطيوب والأكفان ، ويوماً يعد لكَ فيه موكب مشهود ، وتابوت ذهبى ، بقناع من اللازورد .. ، لاينبغى أن تموت فى بلد غريب ، ولاينبغى أن يخفرك البدو ، أوتدفن فى جلد شاه .. ، ليس هذا أوان الطواف فى الأرض ، فعد واحذر المرض .. [٩٠]» .

إننا – حتى اليوم – لإزال البعض منا ، من فرط حبه لمصر ، وعند عودته من الخارج ، يقبل أرض المطار ، وإذا مات فى الغربة ، ينقله أهله إلى بلدته ، وإذا لم يقدر أهله ، تتحمل الدولة ذلك عنه . كما

---

(٨٩) آثرت أن أترجمها ، مضارعاً ، بدلاً من الأمر : قَبِّل ، التى جاءت فى الترجمة ، والتى ربما هى الأقرب إلى الأصل المصرى القديم ، وذلك تيسيراً للعطف .

(٩٠) صالح ، المرجع السابق ، ص٢٥٧ .

لايزال - بين الإخوة المسيحيين (الأقباط) ، نجدهم يدفنون موتاهم فى توابيت ، ويطيبون جثثهم بالعطور والورود وأفخر الثياب !!! إنه التراث الخالد الذى لايزال يعيش حياً بين الشعب المصرى ، قاهر الزمان ، والصابر على غدر الإنسان . تلك كانت بعض الدلالات الحضارية .

أما الدلالات التاريخية لتلك القصة ، فهي :

(١) شهرة بدو الصحارى الشمالية الشرقية بالخشونة ، والكرم والنجدة لمساعدة المحتاج ، ودخول بعضهم للتجارة أو الزيارة فى مصر .

(٢) كانت اللغة المصرية القديمة ، لغة سنوحى ، معروفة لبعض أهل الشام (سوريا القديمة) .

(٣) كان حكام وأمراء مدن الشام على علم بمجريات الأمور فى مصر ، بفضل الرسل والرحلات التجارية المستمرة بينهما .

(٤) قيام سنوحى ، على رأس فرقة من أهل المنطقة ، فى الشام ، بصد جماعات معتدية ، سمى رؤساءهم (حقاو خاسوت) ، أى/حكام البرارى . وهو الاسم نفسه، الذى أطلقه المصريون - بعد ذلك مباشرة ، على الهكسوس . مما يعنى وجود طلائعهم ، على حدود أعالى الشام ، منذ تلك الفترة المبكرة ، منذ مطلع الألف الثانية ق.م .. وقبل هجمتهم الشرسة على مصر (بحوالى قرنين من الزمان) ، واحتلالهم لها قرابة قرنين من الزمان .

(ب) مع العموريين / الكنعانيين (العرب) :

سجلت آثار مقبرة خنوم حوتب ، فى محافظة المنيا الآن ، (بإقليم الوعل ، قديماً) - وبالتحديد فى مدينة بنى حسن ، زيارة فريدة لجماعة بدوية/عربية ، وفدت على حاكم هذا الإقليم ، وقد قرر تخليد

تلك الذكرى ، داخل مقبرته ، كأحد أهم علاقاته واتصالاته الخارجية ، ولم تكن هذه ، وأمثالها ، هى الزيارة الأولى لوفود بدوية عربية لمصر.

ولكن الجديد هنا – كما قال د. صالح [٩١] – هو تصويرهم فى مجموعات أسرية بخصائصهم القومية : على رأسهم كبيرهم وشيخهم ، وأشارت النصوص إليه باسم «إبشا» ، ومعه (٣٧) فرداً : شباب ، وشيوخ ونساء وأطفال ، ودواب (حمير) ، وهم يلبسون زيهم القومى ، كالعباءات وأغطية الرأس [٩٢] .

ويبدو أنهم ، وغيرهم ، كانوا قد وصلوا إلى مصر الوسطى ، ليس فى زيارة عادية ، بل سعياً متنقلاً ، على غير هدى ، فى سبيل العيش هنا أو هناك ، وفق الظروف المتاحة لحركتهم [٩٣] . كما احتفظت نصوص مصرية ، أخرى ، من عهود الدولة الوسطى ، بأسماء عمورية وكنعانية أخرى كثيرة ، عمل بعض أصحابها فى المناجم أو المحاجر المصرية فى شبه جزيرة سيناء ، أو فى المعابد والبيوت المصرية[٩٤] .

(جـ) مع اليونانيين القدماء (الإيجيين) :

وربما نكون أكثر تحديداً ، لو قلنا ، مع الكريتيين ، وهم من أهل اليونان وأكثرهم نشاطاً وحضارة فى تلك الفترة المعاصرة للأسرة الثانية عشرة المصرية .

ولعل أهم أثر ، بسبب موقع اكتشافه داخل حجرة العرش فى

---

(٩١) المرجع نفسه ، ص١٨٦ .

(92) Newberry, P.E., Beni Haṣan, vol. I, plates XXVIII, XXX-XXXI.

(٩٣) صالح ، المرجع نفسه ، ص١٨٦ .

(٩٤) المرجع نفسه .

قصر كنوسوس بكريت [٩٥] ، يؤكد تلك العلاقة وخصوصيتها بين البيت الحاكم فى عاصمة كريت القديمة ، وبين البيت الحاكم فى مصر (الدولة الوسطى) هو تمثال صغير ، من الحجر، مسجل على ظهره ، اسم : أوسر (User) ، كإهداء من فرعون مصر ، أو أحد أمرائها ، آنذاك، لملك كنوسوس [٩٦] .. بالضبط كإهداءاتها من الفراعنة لأمراء الشام ، الموالين لهم [٩٧] .

وعندما جاء المؤرخون اليونان والرومان ، من بعد ذلك بعدة قرون طويلة ، وكانوا قد سمعوا ، بأنفسهم ، أو نقلوا عن غيرهم ، روايات طريفة عن سنوسرت الأول وخلطوا بين أعماله وإنجازات رمسيس الثانى – ووصلت درجة الإعجاب به (سيزوستريس [٩٨]) أن نسبت إليه فتوحات واسعة فى آسيا الصغرى (؟!) وأوروبا الشرقية(؟!)[٩٩] .

(٩٥) راجع رسالتى للدكتوراة : العلاقات المصرية – اليونانية القديمة : ٩٤٥–٥٢٥ ق.م ، أثينا (١٩٨٢) (باليونانية الحديثة) ، فى الفصل الأول التمهيدى للعلاقات فيما قبل العصر الصادى .

(٩٦) وعن علاقات مصر بكريت ، راجع بحثى «العلاقات المصرية – اليونانية القديمة» ، مؤتمر «مصر وعالم البحر المتوسط» ، [إبريل سنة ١٩٨٥] ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ص٨–١٤ .

(٩٧) صالح ، المرجع السابق ، ص١٨٦ . (٩٨) هكذا ورد اسمه عند ديودوروس الصقلى Diod.,I.53f...

(٩٩) يذكر ديودوروس (النصف الثانى من القرن الأول ق.م) أن سيزوستريس فتح بلاد العرب ، والحبشة ، والهند وبلغ البحر ، شمالاً ، تراكي (شمال اليونان) ، أيضاً ، وجعلها حدود ملكه الشمالية !!!؟ ، راجع أحدث دراسة بقلم مارتن برنال ، أثينا السوداء ، الجزء الثاني / تحرير / وتصدير وتعليق / محمود السعدني وترجمة نخبة من علماء التخصص ، (وهو تحت الطبع الآن – المجلد الأول – لحساب المجلس الأعلي للثقافة ، المشروع القومي للترجمة) ، القاهرة ٢٠٠٠ .

النهاية : وتذكر النصوص المصرية القديمة اسم ثلاثة ملوك ، بينهم ملكة ،كلخلفاء لأمنمحات الثالث . والحقيقة أن هناك خلافاً كبيراً حول حقيقة أدوارهم آنذاك ، وإن كان هناك ترجيح حول دور الملكة ، سوبك كارع (أو/سوبك نفررع) وقيامها على عرش البلاد ، عقب وفاة أبيها وأخيها (أمنمحات الرابع) ، الذى كانت قد شاركته العرش ، ولكنها انزوت بالعرش فترة قصيرة ، وحاولت السير على سياسة أبيها ، فى البناء والتعمير ، وكان حظها العاثر أن اضطربت أحوال البلاد فى حكمها واختل الأمن ، ولكونها أول ملكة مصرية تصل إلى عرش البلاد بمفردها ، فكان ذلك خروجاً على العرف والتقاليد ولم تجد من يساندها أو يتعاطف معها ، وظهرت – عندئذ – بوادر الهجرات القادمة من الشمال ، من وراء الحدود الشمالية الشرقية . ولم تترك الملكة آثاراً تذكر ، فلم يسعفها الزمن لإنجاز شئ هام .. وكانت مدة حكمها لاتزيد عن ثلاثة أعوام ونصف تقريباً . وبها انتهت الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ١٧٨٦ ق.م[١٠٠] .

(١٠٠) أو فى أحد أعوام الفترة الواقعة بين ١٧٨٦–١٧٧٨ ق.م ، راجع صالح ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .

عصر الدولة الحديثة

(New Kingdom)

أولاً : فترة الانطلاق = عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ ق.م - ١٣٠٨ ق.م) (XVIII (18) Dynasty)

(١) السياسة الخارجية[١٠١] :

خرج المصريون من محنة الهكسوس [منذ نهاية القرن الثامن عشر أو مطلع القرن السابع عشر ق.م[١٠٢] - التى استغرقت حوالى قرن من الزمان ، يرزح تحتها شعب وأمراء مصر القديمة - أى حتى مطلع القرن السادس عشر ق.م] بدروس ثلاثة هى :

(١) لا أمان للاستقلال الداخلى دون الاهتمام بالجيش .

(٢) لا أمان للاقتصاد إلا بأبعاد بقايا الهكسوس عن مسالك التجارة الخارجية جهد مايستطيعون .

(٣) لا أمان للمستقبل ، من غزو هجرات أخرى آرية (شعوبية) إلا إذا سيطروا بأنفسهم ، أى المصريون ، على مداخل تلك الهجرات إلى مصر ، أى شمال الشام وأطراف العراق .

وكان قد تكفل بتحقيق وتنفيذ السياسات المصرية ووضعها موضع التنفيذ الفعلى، للدروس الأولى (الأول والثانى) ملكان قويان هما: أحمس الأول طارد الهكسوس ، وأمنحوتب الأول ، شتت شملهم وفلولهم بينما بدأ تحوتموس الأول مرحلة التوسع الخارجى فى الشام

(١٠١) يذكر د. صالح ص١٩٦ : «لايسهل تحديد زمن هذا الغزو لأنه موضع جدل طويل وتتراوح تقديرات المؤخرين له بين ١٧٣٠و ١٧١٠ و ١٦٩٠ ق.م أو مابعد ذلك» .

(١٠٢) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ص٢١٢ .

لضرب الغزاة فى مواقع تجمعهم وقبل مهاجمة مصر .

عندئذ ، ساد الأوضاع الخارجية طابع السلام المسلح ، أو سلام القوة المصرية ، المفروضة على أعدائها فى المنطقة ، شمالاً حتى حدود الشمال ، وجنوباً حتى النوبة وغرباً حتى الحدود الليبية . وكان عهد أمنحوتب الأول (١٥٥٠-١٥٢٨ ق.م) عهد سلام على الحدود ، ولكنه فترة تجميع القوى المصرية الداخلية ، وتحفزها للقيام بخطوات جريئة خارجية ، تكون هى البادئة بالعدوان خارج حدودها .

وجاء تحوتموس الأول (١٥٢٨-١٥١٠ ق.م) فوهب حياته لسياسة النضال الخارجى وفرض السلام المصرى خارج الحدود ، وكان هو الذى قال عن نفسه :

«إن ساعة الحرب أشهى عندى من يوم هنئ ، وإنى أتشوق للقتال ، وينشرح صدرى كلما بلغنى نبأ تحرك الأعداء[١٠٣]» .

وكان تحركه جنوب الشام نتيجة لعاملين دفعاه دفعاً - فى تقدير د. صالح[١٠٤] - لهذه المنطقة بالذات :

(١) القوة الدافعة التى صبغت سلوكه هو نفسه ، وروح عصره .

(٢) تحرك الجماعات الميتانية (فى شمال العراق وشمال شرق سوريا) ، كما ذكرتها نصوص سلفه .

وكان له كل الحق ليتفاخر ، بما أداه لبلده ، فسجلت فخاره هذا نصوص كهنة أوزيريس فى أبيدوس ، حيث قال :

«أطلقت حدود تامرى (أى/مصر) ، إلى ماتحيط الشمس به ،

---

(١٠٣) صالح ، المرجع السابق ، ص٢١٢ .

(١٠٤) المرجع نفسه ، ص٢١٤ .

وعوضت أهلها بعد خوفهم قوة (وأمناً) ، وأقصيت الشر عنها ، وجعلتها فوق رأس الدنيا كلها ، وجعلت الجميع أتباعاً لها [(١٠٥)]» .

وهاهو أحد قواده البواسل يسجل (هو كذلك بالفخر إنجازاته الحربية ومكافأة الفرعون له على شجاعته) في مقبرته فيقول : «حين بلغ الفرعون ناهارينا .. **كنت فى مقدمة جيشنا ، وشهد جلالته مدى جرأتى ، وقدت إليه (ذات مرة) عربة حربية (غنيمة من غنائم الهكسوس) بخيلها وبمن فيها أسرى وقدمتهم إليه .. فكافأنى بالذهب ضعفاً ..** [(١٠٦)]» . ومن الواضح الإحساس الطاغى على القائد بأن الجيش المصرى ، أصبح جيش الناس جميعاً ، والمواطنين جميعاً ، وكل من يحارب فى سبيل الوطن ، حتى أنه استخدم صيغة الملكية ، فى كلمة «جيشنا» .

أما فى عهد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠ (؟) – ١٤٦٨ ق.م) ، فقد اتجهت سياسة الدولة بكاملها وجهة أفريقية ، جنوب الجنوب ، لتوطيد الأمن فى كاسن (النوبة) ، واستغلال مناجمها وزيادة التجارة معها وماوراءها من بلاد السودان وبونت (الصومال) .

أما قمة الإزدهار والتوسع الخارجى وشيوع السلام المصرى ، فى كل أرجاء المنطقة (الشرق الأدنى القديم) ، فكان هو إبان «عصر الإمبراطورية المصرية : فى عهد الفرعون تحوتموس الثالث (١٤٦٨ – ١٤٣٦ ق.م) [(١٠٧)] . ونفرد لذلك بعض التفاصيل :

---

(١٠٥) المرجع نفسه .

(١٠٦) المرجع نفسه ، ص٢١٥ .

(١٠٧) المرجع نفسه ، ص٢٠٥ (حيث يزيد د. صالح (١٠) سنوات أخرى لحكمه بالمشاركة مع أخته حتشبسوت) ، وكذلك ص ص٢١٦-٢٢١ .

تحوتموس الثالث :

(١) سياساته العسكرية :

انفرد تحوتموس بعرش مصر في عام ١٤٦٨ ق.م بعد أن ظل مجبراً على أن يعيش في الظلام ، داخل معبد آمون [١٠٨] ، وكان عليه ، عندئذ أن يواجه موقفاً متأزماً يهدد زعامة مصر الخارجية ، وبالتحديد في بلاد الشام ، وهي مشكلة خلقتها سياسة حتشبسوت ، من قبله ، لعدة أسباب :

(أ) اهتمام حتشبسوت الزائد بتجارة الجنوب الأفريقية على حساب علاقات مصر بالشمال ، وأطراف بلاد النهرين .

(ب) منافسة الدولة الميتانية للوجود المصري في الشام وبداية تأثيرها على مداخل التجارة السورية – العراقية .

(جـ) إثارة الميتانيين الاضطرابات ضد مصر في الشام وتحريض أمرائها وشيوخ قبائلها ، حيث كانت لاتزال هناك بقية من فلول الهكسوس المطرودة من مصر والناقمة عليها .

وكان من نتيجة ذلك كله ، أن تكوّن تحالف شمالي ، من رؤساء القبائل والمدن السورية ، وتزعمه أمير مدينة «قادش» ، وتحرك ذلك التحالف في اتجاه ضرب المصالح المصريةهناك ، فوصل إلى مدينة «مجدو» (Megiddo) وسيطروا عليها: «بخيلهم ورجالهم» – على حد تعبير النصوص المصرية المعاصرة للحدث [١٠٩] – تلك المدينة التي

---

(١٠٨) رواية وصوله إلى العرش ، كان قد اخترعها أبوه بالإتفاق مع الكهنة .. بعد طول انتظاره في خدمة المعبد . راجع صالح ، المرجع السابق ص٢٠٧ .

(١٠٩) صالح ، المرجع السابق ، ص٢١٧ .

كانت تتحكم فى الممرات الجبلية التى تعترض طرق التجارة الآتية من بلاد النهرين إلى سوريا ، جنوباً - من ناحية ، ثم من فلسطين إلى مصر .. هكذا ، إذن ، إتضحت نوايا التحالف الشمالى المعادى .. للوجود المصرى فى سوريا وفلسطين.، ومن يدرى ، لعلهم كانوا يخططون - أيضاً - بعد إتمام مهمتهم الأولى ، لغزو مصر نفسها ؟!!

ولذلك ، جاء رد الفرعون المصرى الهمام بأسرع مما كان يتصور أعداء مصر، ومخططى التحالف الشمالى . ولم تمضِ شهور على انفراد تحوتموس بعرش مصر حتى خرج ، على رأس جيش قوى ، كان قد أعده بسرعة (منذ أول لحظة لتوليه تقاليد الحكم ، بلغ قوامه مابين ١٠,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ رجل (من الفرسان والمشاة) ، وكان يقطع مسافة الطريق ، بمعدل ١٢,٥ - ١٥ ميلاً فى اليوم الواحد[١١٠]. حتى إذا بلغ غزة ، أمضى بها يوماً واحداً ، وأكمل سيره حتى بلغ بلدة تسمى يجم» ، عند مشارف جبل الكرمل ، فى فلسطين [١١١] . حيث توجد ثلاثة طرق، اثنتان واسعتان ، وواحدة ضيقة وعرة . وجميعها توصل إلى «مجدو» ، نقطة تجمع التحالف الشمالى . هنا اختلف الفرعون مع قادته ، بعد أن استمع إليهم قال : «**إفتونى بما فى نفوسكم ؟**» ، ولما شعر القادة برغبة الفرعون تحوتموس الثالث فى اختصار المسافة والزمن واجتياز الطريق القصير رغم وعورته وضيقه ، قالوا له : «وكيف يتيسر المسير على طريق وعر بالغ الضيق ؟ لقد خافوا من مفاجآت الهجوم - فى مثل هذه الحالة - فلا تستطيع المؤامرة أن تساعد مقدمة الجيش .

---

(١١٠) كان الجيش قد خرج من مصر يوم ١٦ أبريل سنة ١٤٦٨ ، ووصل «يحم» فى ٧ مايو من العام نفسه .

(١١١) صالح ، المرجع نفسه ، ص٢١٧ .

وفى النهاية خيَّر القادة الفرعون فى اتخاذ أحد الطريقين الواسعين ، ..» ولكن لايجبرنا ، مولانا الهمام ، على أن نسير فى الطريق الحزون»(١١٢) . وجاء قرار الفرعون مخيباً لتقدير قادته ، معلناً عن تضحية بالنفس وتعريضها للأخطار ، ومؤكداً على تفرد شخصيته العسكرية ، حيث أقسم بآلهته: «رع» و «آمون» **«لأسلكن هذا الطريق ، طريق عارونا بالذات ، وليذهب من شاء منكم على الطريقين اللذين ذكرتموهما ، وليأتِ معى من رغب معكم فى متابعتى . وإلا فما الذى سيقوله الأعداء أعداَء «رع» ..»**

كانت تهم الفرعون سمعته وتأكيد شجاعته مهما كان الثمن . وفى فجر يوم ١٢ مايو سنة ١٤٦٨ ، هاجم الفرعون جموع التحالف فى مجدو ، الذين لم يتوقعوا مجازفته بالعبور من ذاك الطريق وفروا هاربين مذعورين مخلفين وراءهم كل أسلحتهم من خيول وعربات مذهبية ومفضضة ، وظل يحاصر مدينة «مجدو» سبعة شهور ، واستسلمت المدينة له ، وعفا عن أهلها وقبل هداياهم إليه ، واستسلم الأمراء كذلك وأخذ منهم الجزية ، وأذلهم ، ذلاً هيناً ، فأخذ منهم خيولهم – لحاجته إليها – وأبدلهم بها حميراً يركبونها !!!(١١٣) .

وظل الفرعون القادر ، القوى ، تحوتموس ، فى تنفيذ سياسته العسكرية ذاتها سنين طويلة ، متصلة يخرج كل عام ليؤمن استقرار

---

(١١٢) المرجع نفسه .

(١١٣) راجع صالح «التربية العسكرية فى مصر القديمة» ، كتاب تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٦٢ ص ص١٩٦-١٩٨ .

Cf. Nelson, H.H., The Battle of Megiddo, 1913; Faulkner, R., J.E.A., 28 (1942), P. 2 ff; Breasted, J.H., A.R.E., II. 391 f.

التواجد المصرى فى سوريا ، حتى أنه فى المرة الرابعة (من غزواته فيها) هزم خصمه العنيد أمير قادش ، وعاد إلى مصر ومعه بعض أمراء المدن السورية الصغار ؟! ياترى لماذا ؟!!

تقول المصادر المصرية المعاصرة – فى حوليات تحوتموس الرسمية – **«استحضر جلالته أولاد الأمراء وإخوتهم ليكونوا ودائع على أرض مصر ، حتى إذا توفى أحد الأمراء عين جلالته ولده فى منصبه، وكان عددهم فى هذا العام ٣٦ فرداً، ومعهم من الخدم والجوارى ١٨٨»** (١١٤) .

ولنقف قليلاً عند نص تلك الحولية المعاصرة للأحداث ولنحاول فهم غرض الفرعون من ذلك .

من الثابت أن الأمراء السوريين ، كانوا يتأرجحون فى ولائهم ، حسب مصالحهم ، (ومعهم كل الحق) فتارة مع هذا ، وأخرى مع ذلك. ولذلك أراد تحوتموس من هذا الإجراء أن يضرب عصفورين بحجر واحد :

(أ) أن يضمن ولاء آباء أولئك الأمراء **«كودائع على أرض مصر»** ، بضمان بقاء أولئك الصغار كراهائن تحت يدى الفرعون .

(ب) أن يضمن ولاء هؤلاء الصغار أيضاً ، عندما يصلون إلى عرش آبائهم فى الإمارة ، ويكون ذلك تحت سمع وبصر الفرعون المصرى وبشروطه . ولاشك أن ما أشارت إليه الحولية ، النص السابق الذكر ، يعطينا ذلك الانطباع ، وإن لم يقل ذلك صراحة !! كما يجب أن ننتبه إلى حسن معاملة الفرعون لتلك **«الودائع**

---

(114) Breasted, A.R.E., II, p. 198.

الآدمية» ، إذ لم يكن قصده سوء معاملتهم ، وإلا لكان قد فعل ذلك على أرضهم ، كما فعل مع أمراء «مجدو» ، من قبل ، ولكن علينا أن نتفهم الظرف التاريخى ، ولاسيما أن الحولية تشير إلى وصول هؤلاء الأمراء الصغار ، ومعهم خدم وجوارى كثيرون فالرقم ضخم وكبير فعلاً حيث كان ١٨٨ منهم يقوم على خدمة(٣٦) أميراً فقط، بواقع (١٩) تسعة عشر خادماً وجارية لكل واحد منهم **فهل بعد ذلك من تكريم ؟!!**

ويهمنا ، فى هذه العجالة أن نؤكد على أن ماقام به تحوتموس الثالث من حملات على الشام لم يسبقه ، كما لم يخلفه ، أحد مثله فى ذلك الإنجاز المضنى ، والذى وصل ، تقريباً إلى ١٧ سبعة عشر حملة ، قصد بها :

– الاستطلاع ، حيناً .
– أو الإصلاح ، حيناً أخرى .
– أو توطيد الأمن وإرهاب العصاة ، أحياناً ثالثة .
– أو مجرد الزيارة والرحلة ، فى بعض الحالات .

كما يكفى ذلك الرجل فخراً أن يقول عنه علامة المصريات چيمز هنرى برستد (James Henry Breasted) أنه هو : «نابليون الشرق» القديم .

لأنه :

(١) كان سباقاً ومجدداً فى تكتيكاته العسكرية .

(٢) أول من نقل لسفن الحربية ، محمولة على الطريق البرى (لمسافة تقرب من ٢٥٠ ميلاً ؟!!) ، فى حملته الثانية على دولة ميتان

نفسها .

(٣) أول من استخدم الأسطول الحربى ، لعبور جيش كبير ، على صفحة نهر واسع (الفرات) [١١٥] .

ويكفيه فخراً كذلك أن يأتيه سفراء ورسل «الكفتيو» [١١٦] [Kef-tiu] حاملين الهدايا والجزية ، قادمين من جزر البحر المتوسط (اليونانية) - فى العصر الميكينى - طالبين إقامة علاقات ومصالح متبادلة ، مما أجبر كبار موظفى الدولة المصرية ، آنذاك ، على تخليد ذاك الحديث التاريخى فى مقابرهم بالبر الغربى من طيبة (الأقصر) .

ويحق للفرعون ، فى نهاية المطاف أن يتفاخر قائلاً - كجده العظيم - باتساع حدود مملكته ، بأنه :

«جعل حدوده من بداية الأرض (أى من أقاصى النوبة) إلى أقاصى آسيا الغربية (...؟...)» .

كما كان يحق لأحد وزرائه ، أن يمتدح فيه جانباً آخر فى شخصيته الفريدة ، وهو الجانب الإنسانى الخير ، العامل والعطوف ، فيقول عن فرعونه العزيز بأنه : «كان أباً وأماً للناس أجمعين [١١٧]» .

وعاشت مصر ، فى عهده ، أزهى عصورها : قوة ، وثراءً ، وبناءً [١١٨] ، وفرضت سلاماً قوياً - على جيرانها - وحق لها .

(115) Faulkner, R., J.E.A., 1946, P. 39 ff.

(١١٦) تمت مناقشة - رسالة دكتوراة للطالب محمد السيد عبدالحميد ، وتحت إشرافي بآداب الزقازيق (مصر) ، منذ عام ١٩٩٦م ، وفي أحد فصولها ، كأحد موضوعاتها ، التعريف بهؤلاء تاريخياً وأثرياً فى ضوء آخر الأبحاث والدراسات .

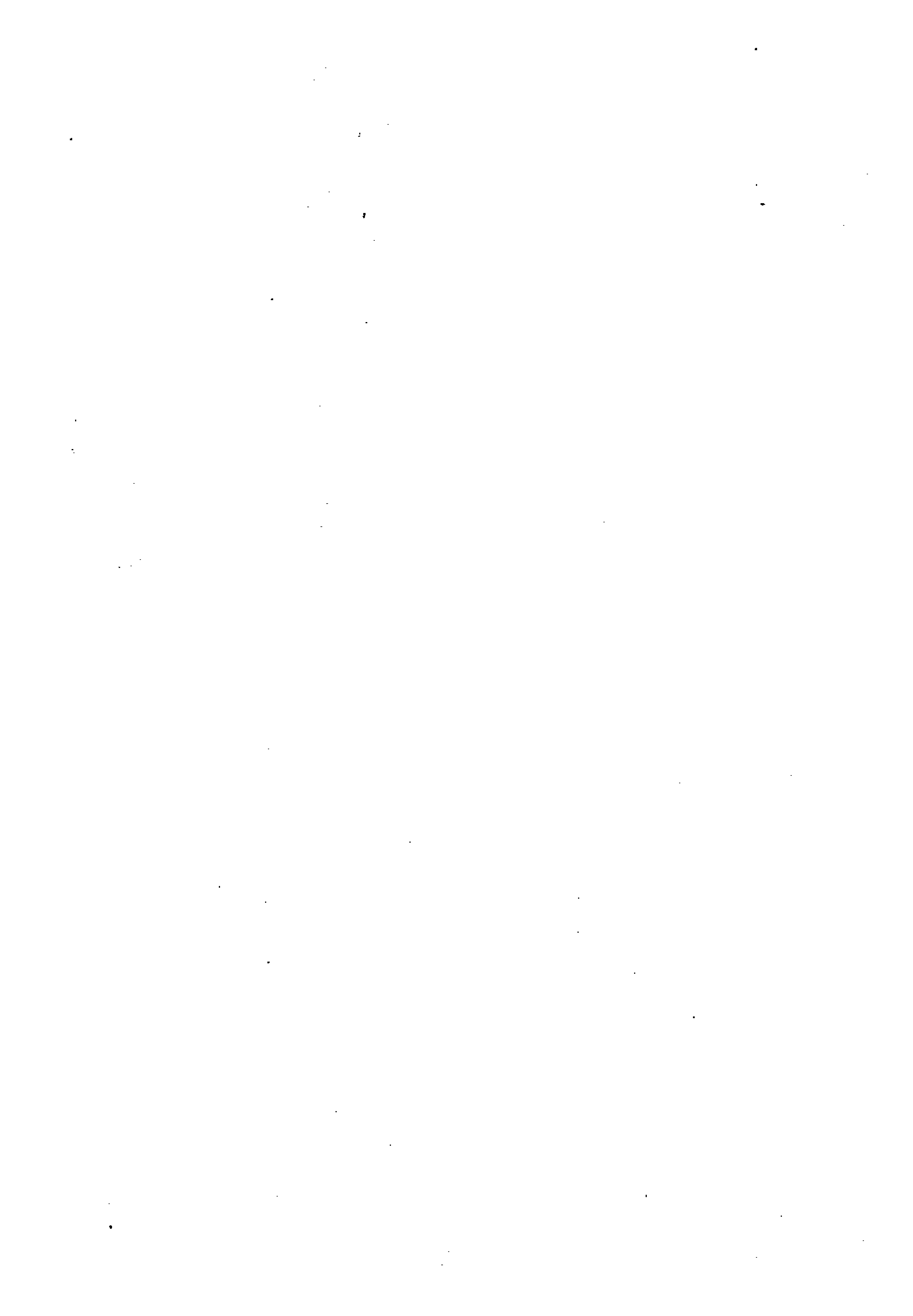
(١١٧) صالح ، المرجع السابق ، ص٢٢٠ .

(١١٨) المرجع نفسه ، ص ص ٢٢٠-٢٢١ .

أن يسميه الباحثون قياساً على السلام الرومانى من بعد ذلك (Pax Romana)(١١٩)، بأنه السلام المصرى (Pax aigyptiaca) فى عهدها الإمبراطورى (Imperial period) من تاريخها المجيد ، وهو إنجاز تاريخى وحضارى لم يتكرر تارة أخرى ، بالملامح نفسها، وهو أقرب مايكون ، فى القرون اللاحقة بإنجاز الإسكندر الأكبر ، قاهر المعمورة ، فى أواخر القرن(٤) ق.م أو بفتوحات نابليون ، القائد الفرنسي الشهير ، أواخر القرن (١٨) الميلادى، كما شبهه بذلك فعلاً علامة الغرب ، الأمريكى الجنسية ، وأحد أشهر علماء المصريات ، چيمس هنرى برستيد (J.H.Breasted) ، بأنه كان : نابليون الشرق .. فليرحم الله الجميع بما قدموا للإنسانية من خير أو شر !!!

---

(١١٩) راجع كتابنا ، تاريخ وحضارة الرومان (سلسلة قراءات في التاريخ القديم (رقم / ٢) ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ص ١٣٩ - ١٤٣ .



الجزء الثانى

[العلاقات الخارجية]

(١) "بابل - ممفيس . وبالعكس"

(٢) "العلاقات المصرية - القبرصية القديمة".

(٣) العلاقات المصرية - اليونانية القديمة

(موجز باللغة الإنجليزية : Abstract)

لرسالة الدكتوراه . .Ph. D من أثينا - اليونان ١٩٨٠م

"بابل - ممفيس وبالعكس"
(Via Syria)
[قراءة فى بعض المصادر القديمة وعبرة الزمان]

إنه من نافلة القول ، الآن ، أن أهم مقومات إزدهار الحضارات القديمة ، فى العالم القديم ، يتركز فى الإنسان ، وقدراته وخصوصياته ، وليس فى الظروف الطبيعية المحيطة بهذا الإنسان ، أى ، بكلمات أخرى، أن الإنسان هو صاحب الإنجاز الحقيقى فى تلك الحضارات العريقة ، ولاتلعب مقدرات المكان ، الذى يعيش على أرضه ، إلا دوراً ثانوياً ، لاجوهرياً ، فى صياغة مظاهر هذه الحضارة ، أو تلك ، كماً ونوعاً[١] .

وبناءً على ماتقدم – وهى حقيقة تاريخية ثابتة ، أو من أهم دروس وعبر التاريخ القديم ، أمكننا تصحيح مقولة المؤرخ اليونانى

(١) Buah, F, K. The Ancient World, London. 1969, p. 44.

ويذكر هذا الدرس الفاهم لحقائق التاريخ القديم ذلك المعنى الذى أشرنا إليه فيقول :

(Some historians have said that there First Civilizations owe a lot to the great rivers. But we have to be careful not to stress this point too much, since many other parts of the world also had great rivers. No one will deny that rivers help the lands along their banks to become fertile, and fertile lands help a country to progress quickly in civilization. But the presence of rivers is not the only reason for This) .

القـديم ، هيـرودوت . [وقـد شـاع عنـه ذلك وانتـشـر دونما تمحـيص ، وبسبب إنبهاره بعطاء نهر النيل الدائم اللامحدود ، وهو شئ يفتقده فى بلده اليونان ، وحرمته الطبيعية نهراً مثله، أرجع كل الإنجاز الحضارى المصرى القديم وعمم حكمه وقال مقولته : «مصر هبـة النيل»] [٢] : والحق أنه قال الحقيقة الواجبة ، ولم يبخس المصريين حقهم فى ذاك الإنجاز الحضاري القديم، حيث قال – بترجمة أمينة وبترتيب كلماته هو نفسه : «إن مصر هى أرض مملوكة للمصريين ، وهبة النهر» ، ولكن المترجم الإنجليزى هو الذى إختصرها – لسبب فى نفس يعقوب (!!!)– إختصاراً مخلاً .

إذن «الترجمة الإنجليزية هى التى لم تكن أمينة بالقدر الكافى ، وأغفلت ترتيب الجملة اليونانية كما قالها هيرودوت نفسه ، وكما سجلناها نحن عاليه ، حيث يقول النص بإعتراف صريح ، وأمانة تاريخية تحسب لهيرودوت ، مايلى :

«.. وأن مصر ، هى أرض ، مملوكة للمصريين ، وهى كذلك هبة النهر ..»

مما يعنى إدراكه التام للدور الحضارى الأسبق للسكان ، أهل

---

(٢) هيرودوت ، الكتاب الثانى فقرة (٥) . للإطلاع على رواية هيرودوت عن مصر ، راجع :

Herodotus, The Histories, The Peguin Classics, Translated by A. de Selincourt and revised with an Introduction and notes by A.B. Burn, (1954) pp. 129-222.

وكذلك هناك ترجمة عربية لصاحبها : وهيب كامل : هيرودوت فى مصر ، دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) ، أما الأصل اليونانى فيمكن مراجعته فى طبعة :

loeb Classical Library, Herodotus I (1962), Translated by A.D. Godley (In 4 Volumes).

البلاد المصريين .

وهكذا فإنه لولا الإنسان المصرى ، (بما يتمتع به من جلد وصبر وقوة إرادة ، ونشاط وحيوية ، فضلاً عن إيمانه العميق بآلهته وخلود ملوكه [٢/أ]) ، ماكانت هناك حضارة على ضفاف النيل الخالد ، ولا أدل على ذلك من وجود روافد النهر نفسه ، فى أماكن أخرى وبلدان شتى من أفريقية ، لم نعرف لها حضارة مثلما عرفنا فى مصر القديمة،. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهناك الأنهار الكثيرة ، فى أماكن أخرى عديدة من العالم ولم يترك أهلها حضارة تذكر ، أو على الأقل ، تضاهى حضارة مصر على طول النيل الخالد وفى دلتاه ، أو تقارب حضارة العراق الزاهرة – عبر العصور – على ضفاف دجلة والفرات ، فى منطقة وادى الرافدين (Mesopotamia) أو مابين النهرين ، كما يسميها بعض المتخصصين .

إن الإنجاز الحضارى الرائع فى بلاد مابين النهرين وعلى ضفاف النيل الخالد فى مصر ، له علاقاته على مر العصور وكان بين تلك الحضارتين اتصالات لاتنقطع سواء مباشرة أو غير مباشرة ، عبر أراضى الشام القديم أو سوريا القديمة [٣] ، التى كانت هى المعبر أو همزة الوصل بين ملوك بابل وآشور وبين ملوك مصر فى ممفيس أو طيبة .

(٢/أ) فى أحدث مراجعة علمية ورد على بعض الأراء المغرضة ، أو غير الفاهمة ، علق أ.د/ عبدالحليم نور الدين على مقالة اللواء/حسام سويلم (العربى) العدد (٤٨٧) يونيو ١٩٩٩م : «هل الحضارة المصرية ثمرة التوحيد ؟ ، وأوضح الحقائق التاريخية والمسلمات الأثرية فى علم المصريات ، وأثبت عدم وجود أية صلة بين الحضارة العربية الإسلامية ومصر الفرعونية ، راجع مقالته /العربى ، العدد (٤٩٤) يناير ٢٠٠٠م ، ص ص١٨٢-١٨٠ .

(٣) يرجع العالمان الجغرافيان هوكسى وولى ، فى كتابيهما : =

لقد كتب ملك آشور ، يوماً ، إلى أمنحوتب الرابع (المشهور بإسم إخناتون) ، فى مطلع القرن الرابع عشر قبل الميلاد :

«إلى أمنحوتب أخى أقول : أنا آشور أو بالط ، ملك آشور وأخوك ، أدعو بالخير لك ولأهلك وبلادك» (٤) .

كما كتب ملك بابل - إلي الملك نفسه يقول :

«لقد جاء إلى رسول أخى وقد انحرفت صحتى بعد حضوره عندى ولم يسأل عنى أخى فى كل المدة التى مرضتها ، ولهذا استأت من أخى وقلت لماذا لم يبعث إلى رسولاً ولم يظهر اهتماماً بى ، ولكن رسول أخى أجاب على ذلك بأن مصر ليست قريبة حتى يسمع أخوك بمرضك ، ويرسل من يسأل عن أخبارك . وسألت بعد ذلك رسولى ،

Hawkes L-Wooley, L., Prehistory and the Beginning of civilization,= London, 1963, p. 395.

(وفى ترجمة بعض أبوابه إلى العربية لصاحبها ، يرحمه الله ، د. يسرى الجوهرى ، بعنوان الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، الاسكندرية (الطبعة الرابعة ١٩٨٢م ، ص١٩-٢٦) سبب تقدم حضارات الشرق الأدنى التجارى والاحتكاك الثقافى مع حضارات المناطق الأخرى . كما أكد هذان العالمان على سبق المصريين القدماء والبابليين فى تصورهم لشكل الأرض وتخطيط المدن واستخدام الخرائط ، راجع ذلك بالإضافة إلى الكتاب الوثائقى عن تراث مصر القديمة للعلامة برستد .

Breasted L.H., History of Egypt London, 1948, p. 246 ff. Childe, G. Social Evolution, London, p. 139 FF,

(٤) الترجمة العربية لهذه الرسالة ، المكتوبة أصلاً ، بالخط المسمارى ، باللغة الأكادية ، وهى إحدى رسائل تل العمارنة ، بمحافظة المنيا فى مصر الوسطى – هى للأستاذ الدكتور/أحمد فخرى – يرحمه الله – فى كتابه : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، القاهرة (الطبعة الرابعة ١٩٨٤م ، ص٨١) .

فقال لى بأنها رحلة طويلة جداً . ومنذ سمعت بذلك لم يبق فى نفسى استياء من أخى» . ويكمل ملك بابل خطابه إلى فرعون مصر (إخناتون) فيحذره من الأقوام الذين يحاولون تعكير صفو العلاقات المصرية – البابلية ، كما يطلب منه ألا يؤازر منهم أحداً ضد مملكة بابل فيقول :

«وأنت تعرف لماذا يريد صداقتك ، فإن كنت تحبنى ، فلا تعقد معه أى معاهدة واطرده بعيداً عنك» .

إننا ، هنا إزاء تلك النصوص والمراسلات الوثائقية ، التى لاتقبل الشك فى وجودها وحدوثها – نقف مبهورين وكأننا نقرأ رسائل معاصرة ، تقول بلسان حال العرب اليوم ، وبالتحديد وكأنها رسائل خطية حملها وزير خارجية بابل إلى ملك مصر، فى ممفيس ، ينقل إليه فيهما ، بعض همومه وأفكاره :

(١) أحاسيسه الأخوية وحبه لملك مصر وشعب مصر .

(٢) زوال سوء فهم ، كان قائماً ، بمجرد وصول وزير الخارجية المصرى حاملاً رسالة خطية إلى ملك بابل لتوضيح الموقف .

(٣) بعد المسافة بين البلدين ، وطول الرحلة بينهما [٥] ، يستغله بعض أعداء البلدين للوقيعة بينهما .

(٤) تحذير من بابل ضد بعض الحاقدين ، أو أصحاب المصالح المؤقتة . وحقاً ، غريب أمر الزمان والأيام .. وإن كان لانؤمن

(٥) جاء فى النصوص الأكادية – من تل العمارنة – أن هذه الرحلة بين بابل وممفيس كانت تستغرق خمسة عشر يوماً (؟؟) وليس لدينا الدليل – حالياً – للتأكد من صحة أو كذب (عدم دقة) تلك المعلومة .

بمقولة أن التاريخ يعيد نفسه ، فإننا هنا أمام واقعة تاريخية ثابتة ، في مطلع القرن الرابع عشر ق.م ، يمكن أن تتطابق مع الأحداث التي تمر بها عاصمتي بلدينا : ونتعلم الدروس الماضية ونوفر على أنفسنا ، وعلى شعوبنا متاعب جمة بسبب عواطفنا وعدم عقلانيتنا وترك الأحداث تتحكم فيها ، أو نترك أطراف اللعبة بيد أعدائنا ؟ إن المصارحة السريعة – في وقتها – لكل أبعاد المواقف ، كانت ولاتزال وستظل هي الدرع الواقي لقيادات أمتنا العربية الذى تتكسر عليه سهام الحاقدين وأعداء تلك الأمة الواحدة : لغة ، وشعباً، وديناً . ولعل مصالحنا المتبادلة ، اليوم ، تكون هي على رأس قائمة اهتماماتنا ، كما فعلت شعوب أوروبا منذ زمن بعيد وحققت الآن أحد أعز أحلامها بقيام وحدة كونفدرالية بينها جميعاً، تعزيزاً لقوة الجماعة إلى الأبد.

وإذا ما انتقلنا إلى بعض جزئيات تلك العبرة التاريخية الواضحة في سطور الرسالتين السابقتين ، من ملكي بابل وآشور إلى ملك مصر الفرعوني ، عرفنا أنهما كانا يتنافسان على كسب جانب مصر إلى صف كل منهما ، ليضمنا لنفسهما القوة ، وحليفاً قوياً صادقاً عند الضرورة (٦) .

كان ذلك هو موقف ملكي بابل وآشور وتقديرهما لأهمية تلك العلاقة الخاصة مع مصر القوية ، إذ كانا دائماً الاتصال بملوك مصر – في الأسرة الثامنة عشر (القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد) ، ويعلق الدكتور أحمد فخري ، يرحمه الله ، على موقف مصر

---

(٦) أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص٨٢ .

وتقديرها الخاص لدورها وواجبها الأكبر ، فيقول :

«ولكنَ رأيِ ملك مصر ، إذ ذاك ، أن خير سياسة هو تقريب الاثنين إليه ، وعقد مع كل منهما معاهدة صداقة ، ورضى بها كل منهما ، وبقيت لمصر هيبتها ومقامها الممتاز إلى حين» (٧) .

وأضافت مصر إلى ذلك خطوةً أكبر تقديراً منها لخصوصية تلك العلاقة الأخوية بأن سعت لمزيد من توثيق علاقاتها بأصدقائها وحلفائها المخلصين فى بابل وميتانى فتزوج ملكها تحوتموس الرابع بابنة ملك ميتانى ، وتزوج أمنحوتب الثالث بابنة أخرى للملك نفسه ، واتبع ذلك بالزواج من أخت الملك الميتانى نفسه ، وأخيراً ضم الفرعون ذاته ، أخت ملك بابل إلى نسائه فى القصر الملكى (٨) .

وبعد ذلك بقليل ، وقع صدام بين مصر ومملكة خيتا (الحيثيين) فى شمال سوريا والأناضول ولكنه لم يستمر طويلاً ، إذ انتهى ذلك كله بعقد معاهدة صلح بينهم وبين رمسيس الثانى . وقامت علاقات حسن الجوار بين المملكتين ، وسرعان ماوطدا الملكان فى كلتى المملكتين

---

(٧) المرجع نفسه .

(٨) المرجع نفسه ، وجدير بالذكر فى هذا المقام – أن نسجل هنا موقفاً شخصياً للفرعون المصري أمنحوتب الثالث ، الذي تزوج من أخت وبنت ملك ميتانى وكذلك بأخت ملك بابل ، وهو إنه رفض أن يزوج إحدى بناته لملك بابل عندما طلب منه ذلك ، قائلاً أنه : «أنه لم يحدث أن زفت إبنة ملك مصر زوجة إلى أحد» . ويعطى المرحوم الدكتور/أحمد فخرى (المرجع نفسه ص٨٢-٨٤) تفسيراً لذلك بأنه هكذا كان العرف والتقاليد فى مصر القديمة . ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ولاسيما بعد أن تولي عرش مصر أمنحوتب الرابع (أخناتون) الذى سمح لأمير من بابل أن يتزوج إحدى بناته ، شريطة أن يبقى الأمير البابلى في مصر ويقيم معها فى عاصمة البلاد أنذاك (تل العمارنة) .

علاقاتهما بالمصاهرة ، وكانت علاقات طيبة ، أيضاً ، بين ملوك تلك المملكة قبل ذلك ولاسيما فى أعقاب موت اخناتون (٩) .

وتمر السنون والقرون ، وتدخل ممالك منطقة الشرق القديم فى عوالم النسيان على إثر موجات مهاجرة من القبائل الهمجية ، التى دمرت كل شئ أمامها ، سواء تلك الموجات التى قدمت من آسيا أو تلك التى أتت من الشمال ، فكانت النتيجة واحدة وهى الانتظار طويلاً ، لعدة قرون تلت ، حتى تفيق من غفوتها الثقيلة وتستعيد توازنها القديم ، وتعود لتمارس دورها الطبيعى فى حضارة تلك المنطقة المهمة من العالم القديم .

ويأتى القرن الثامن قبل الميلاد ، ويكون الغرب قد دخل ساحة المنافسة الحضارية ، فينظر إلى الشرق حيث التراث العتيق والسبق الحضارى الشامل فى كل نواحى الحياة .. كانت مصر وآشور – فى تلك

---

(٩) أحمد فخرى المرجع السابق ، ص٨٨ ، ومن المعروف – تاريخياً – فى ضوء وثائق تاريخ الحيثيين التى تم الكشف عنها بين رسائل تل العمارنة ، فى نص معروف بإسم إبتهال مورسيليس لإتقاء الطاعون . وإن المصريين قتلوا ابن الملك خيتا الذى كان قد أرسله لمصر لإلحاح من زوجة أخناتون الذى مات ووجدت الملكة المصرية نفسها أرملة وليس لها أبناء ذكور وكانت قد أرسلت إليه رسالة تقول فيها :

«لماذا تقول أنهم ربما يريدون خديعتى ؟ إذا كان لى ابن فهل كنت أكتب إلى بلاد أجنبية فى موضوع يحط من قدرى وقدر بلادى ؟ أنك لاتثق فى حتى تقول لى مثل هذا الشئ إن الذى كان زوجى قد مات ، وليس لى أبناء (تقصد ذكوراً) فهل ياترى أخذ واحداً من خدمى واجعل منه زوجاً لى ؟ إنى لم أكتب إلى بلاد أخرى بل كتبت إليك فقط . إن الناس يقولون إن لك أبناء كثيرين ، فاعطنى أحد أبنائك فيصبح زوجى وملكاً لأرض مصر ، (المرجع السابق ، ص٢٥١) .

الفترة – تمثلان الحضارة الشرقية ، بينما اليونان ، تمثل العنصر الغربى الناهض . وقام الفينيقيون ، على الساحل السورى القديم ، بدور الوساطة التجارية فى نقل تجارة الشرق إلى الغرب ومعها نقلوا مظاهر حضارية أخرى عديدة ، وبدأت المراكز الحضارية الفعالة ، فى مطلع الألف الأولى قبل الميلاد ، تنتشر فى ممالك صغيرة فى سوريا وفينيقيا ، بعد أن تراجعت الامبراطورية الحيثية والمصرية والآشورية إلى داخل حدودها منذ أواخر الألف الثانية ق.م ، أى تراجعت أدوارها السياسية العسكرية فى المنطقة ، ولكن ثرواتها – نسبياً – كانت لاتزال مشهورة ومعروفة (١٠) .

ويؤكد دنبابين (Dunbabin) على هذا المعنى ويوضح ارتباط التاريخ اليونانى القديم – فى تلك الفترة المعروفة بإسم العصر الجيومترى من تاريخ اليونان – بممالك العراق القديم ، وهى آشور ، وكذلك بمصر ، فيقول :

(In the eighth century, Greeks came into contact with the monarchies of the East, with Assyria and Egypt and their history is linked to the better - known history of these countries and to the precise chronology of Assyria).

وهى عبارة يفهم منها أن تاريخ ممالك الشرق ، وبصفة خاصة ، مملكة آشور – فى العراق القديم – ومصر على أرض النيل ، كانتا تمتلكان تاريخاً معروفاً آنذاك ، وبالتالى حرص اليونانيون فى بداية

(10) Dunbabin T.J., The Greeks and their Eastern Neighbours, London, 1957, p. 18.

مشوارهم الحضارى على الاتصال بهما ، كما أن إنجازهما هذا وتأريخهما للأحداث كان دقيقاً .

وتذكر السجلات الآشورية ، ولاسيما سجلات الملك سارجون – فى نهايات القرن الثامن ق.م. أسماء لتجار أو مغامرين يونانيين ، مثل يامانى (Iamani) وبلدهم إتانانا (Itanana) [١٠/أ] وكذلك كان الآشوريون يعرفون «السبعة ملوك فى منطقة أيا «أى فى قبرص . وعرف الآشوريون ، أيضاً ، يونانى إقليم إيونيا (Ionia) [١١] .

كما سجل الملك سارجون ثورة أشدود (Ashdod) عام ٧١٢ ق.م «التى أبى شعبها أن يحكمه «يامانى» بدون حق فى اعتلاء عرشها ، وهم يحبون أنفسهم ، ولم يعرفوا يوماً الخوف من أية سلطة» [١٢] .

ويبدو أن يامانى هذا – كما يعتقد دنبابين [١٣] – كان مغامراً من إيونيا (Ionia)– على الساحل الغربى لآسيا الصغرى – وجعل نفسه حاكماً على أشدود» بالقوة ، ولكنه فر أمام الملك الآشورى سارجون ، وكان على الآشوريين كذلك أن يصطدموا باليونانيين فى منطقة

(١٠/أ) ليس بمستبعد أن يكون هذا البلد ، هو مدينة كريتية ، عرفت فى النصوص الهيللينستية «= = والمصادر التاريخية التى تؤرخ بالعصر البطلمى ، باسم «إتانوس : Itanos» ويمكن الرجوع إلى إحدى الدراسات الهامة ، فى هذا الخصوص ، وعلاقتها بمصر إبان تلك الفترة ، لصاحبها: Spyridakis, S., Ptolemaic Itanos, 1970.

(11) Luckenbill D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia II. Indix. S.V. (Iamani) and Itatnana, no 44. 70. 80. 92. 99. 186.

(12) Ibid., no 30, 62, 194.

(13) Op. cit., p. 31.

كليكيا[١٤] .

ولاتهمنا كل تفاصيل كل هذا التاريخ السياسي والعسكرى لفتوحات الملوك الآشوريين فى منطقة الساحل السورى - عبر آلاف السنين - إلا على وجود نوع من الاتصال أو الهيمنة على رأس الضلع الثالث من مثلث القوة الواجبة - فى وجهة نظرهم آنذاك ، وهو بابل- سوريا - مصر ، وضرورة تطهير مابينها من كل دخيل .

وإذا نظرنا كذلك إلى حملة الملك أسر حدون على مصر (٦٨٠- ٦٦٩ ق.م) سنخرج بالانطباع نفسه ، وهو الذى سجله الملك الآشورى بنفسه [١٥] ، حيث يقول :

«.. وطردت جميع الكوشيين من مصر ، ولم أترك حتى واحداً منهم ليقدم خضوعه . وفى كل مكان فى مصر عينت ملوكاً جدداً وحكاماً وضباطاً ورؤساء الموانى وموظفين ورجال إدارة ..» .

أما عن التأثير الحضارى لكل من الحضارة الآشورية على شعوب وحضارات شرق البحر المتوسط القديم ، وبصفة خاصة على الفينقيين واليونانيين ، وكذلك دور الحضارة المصرية عليهم ووساطتهم (أى الفينيقيين واليونانيين) فى نقل تراث أعظم حضارتين فى منطقة

---

(١٤) لقد سجل الكاهن البابلى بيروسوس (Berossos) هذا الصدام فى تاريخه الذى سطره لإقليم مابين النهرين (Mesopotamia) باللغة اليونانية ، تحت حكم آل سليوكس ، خلفاء الإسكندر الأكبر ، وكانت حرباً بين الملك سنحاريب أو (Senasherib) ويونانى كليكيا عندما استولى الملك الآشورى على طرسوس (Tarusus) عام ٦٩٦ ق.م .

(١٥) فى اللوحة المعروفة بإسم لوحة سنجرلى ، راجع السطور ٣٦ ، ٥٣ المترجمة إلى العربية ، عند الدكتور أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ص٢٤٨-٢٤٩ .

الشرق القديم ، فهذا موضوع مازال مفتوحاً لدراسات أشمل وأوسع للميادين الحضارية المختلفة التى ظهرت فيها التأثيرات الشرقية على الحضارة اليونانية الناهضة (١٦) .

ومع منتصف القرن الخامس ق.م. يذكر أبو التاريخ «هيرودوت» فى كتابه الأول من تواريخه (١٧) قائلاً : **«وهناك ملوك كثيرون فى بابل، وهم الذين ساعدوا فى تحصين تلك المدينة ، وتزيين معابدها ، ولسوف أحكى قصتهم فى تاريخى عن آشور» ، ولم نعثر على ذلك أبداً ضمن ماكتب هيرودوت ، ولم يصل إلينا أى كتاب مفصل عن آشور**

---

(١٦) حول التأثيرات الشرقية بعامة على الحضارة اليونانية فى مطلع الألف الأولى قبل الميلاد ، راجع : Dunbabin, T.J., Op. cit., pp. 14-61.

وبصفة خاصة الصفحات من ٤٤-٦١ حيث حدد بطريقة واضحة التأثيرات الفنية الشرقية على الفن اليونانى ، وذلك فى ضوء الدليل الأثرى الذى لايقبل الشك وإن كان يحتمل الاجتهاد فى تفسيرات موضوعاته ومضامينه . أما عن العلاقات المصرية - اليونانية منذ أقدم عصورها وحتى نهاية القرن السادس ق.م وعن مراحل تطورها وموضوعات التأثير المصرى ومظاهره على الحضارة اليونانية ، فراجع مقالة محمود إبراهيم السعدنى : «العلاقات المصرية - اليونانية القديمة» المنشورة ضمن أبحاث ندوة قسم التاريخ بآداب القاهرة ، المنعقدة بتاريخ ١٣-١٥ إبريل عام ٨٥ ، وتم نشرها عن دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، إعداد وتقديم د. رؤوف عباس ، بعنوان الندوة ذاتها : مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، ص ص٣٩-٦٢ . وعن علاقات مصر باليونانيين فى العصر الصاوى ، بالذات ، راجع رسالتى للدكتوراة :

Elsaadani, M.I., Graeco-Egyptian Relations 945-525, Ph. D. Dissertation (1980), Athena 1982.

(17) Herodotus II 158.

وملوكها ومدنها ، ولكنه مع ذلك ، عاد فذكر فى الكتاب ذاته [١٨] ، مايلى : «ولسوف أُعطى نماذج عديدة عن ثروة بابل ومصادرها ..» وأردف قائلاً بأنه سيذكر نموذجاً فريداً كافياً للتدليل على مايقول وكان هذا المثال حول الثراء الكبير لملوك بابل ، يتمثل فى أن إمدادات الإقليم البابلى لملك الفرس وجيشه كانت تستغرق أربعة أشهر من العام ، وبالتالى كانت تمثل ثلث مصادر وثروات كل آسيا وكذلك كان أحد الملوك الذين حكموا هذا الإقليم ، وهو ابن ارتابازوس (Artabazos) يتلقى يومياً أردباً من الفضة [١٩] .

وليس أدل على مكانة بابل القديمة وتراثها الذى خلب عقول الغرب ، المتمثل فى التجار اليونانيين المهرة ، الذين كانوا يجوبون المنطقة سعياً وراء الكسب العظيم وتحقيق الأرباح المؤكدة ، من أن يخرج اليونانيون المرتزقة فى صف قورش ، الفارسى فى حملة ، لاناقة لهم فيها ولابعير ، إلا طمعاً فى مكاسب مادية من ملوك تلك المنطقة الغنية [٢٠] .

ويؤكد العلامة أرنولد توينبى (A. Toynbee) على الدرس

---

(١٨) هيرودوت ، الكتاب الأول ، فقرة ١٩٢ : حيث حد النص مايقصده بالثروة ، فاستخدم كلمة (dynamis) وتعنى (قوة وسلطان) ، كما حدد مكان القوة والسلطان بأنه كان فى أيدى ملوك بابل ، ووعد بذكر أمثلة عديدة على ذلك ، وضرب لذلك مثلاً واحداً خصه باهتمامه لتوضيح ماقصده .

(١٩) وراح هيرودوت يحكى عن بعض ما أثار دهشته عند البابليين ، فذكر القوارب الجلدية وبعض عاداتهم فى الملبس والزواج والدفن والعلاج .

(٢٠) حول حملة قورش ضد أخيه على عرش فارس ، الملك ارتاكزركسيس (Artax-eres) أبناء داريوس ، إقرأ نص الحملة ، المعروفة بإسم (Anabasis) لمؤلفها الضابط اليونانى كسينوفون (Xenophon) حوالى عام ٢٧٠ ق.م الذى قاد حوالى ١٠.٠٠٠ (عشرة آلاف جندى يونانى مرتزق) .

المستفاد من هزيمة الفرس أمام اليونان عامى ٤٨٠ و ٤٧٩ ق.م ، وهو الاتحاد والوحدة بين فصائل الأمة الواحدة (٢١) .

ولأدل من ذلك على مكانة بابل العظمية فى التاريخ القديم وتراثها ، من أن يجعل الإسكندر الأكبر منها عاصمةً لامبراطوريته المترامية الأطراف ، بعد أن نصب نفسه ملكاً على مصر – فى ممفيس – وتوّج نفسه فرعوناً على البلاد ، ولقبه كهنة آمون ، فى سيوة «بابن آمون» . ولم يبق الاسكندر فى مصر – بعد ذلك – أى بعد عودته من سيوه – أكثر من شهر أو اثنين ، فخرج فى ربيع عام ٣٣١ ق.م لملاقاة ملك الفرس على أرض بلاد الرافدين ، ولم يتمكن من رؤية بقية أقاليم مصر فيما وراء ممفيس (٢٢) .

عندئذ استغل كليومينيس (Kleomenes) اليونانى الذى خلفه الاسكندر على إدارة مصر ، كل سلطاته فى تكوين ثروات ضخمة من جراء تجارته فى قمح مصر وتصديره إلى الأقطار المجاورة التى كانت تعانى مجاعة خطيرة (٢٣) .

ولكن الإسكندر كان قد أوصى بدفنه فى مصر . والحقيقة أن جثمانه قد وضع أولاً فى ممفيس ، ثم نقل بعد ذلك إلى الأسكندرية ،

---

(21) The Greeks and their Heritages, Oxford, 1981, p. 65.

(22)Arrian, III 26.

(23) Bevan E., A. History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London. 1927, p. 16.

وخلف وراءه عليها تاجراً (!!!) يونانياً هو كليومينيس الذي أرضي سيده الإسكندر الأكبر وعامل مصر معاملة المشروع الإستثماري العالمي بسند العالم آنذاك .

راجع كتابنا : مصر في عصري البطالمة والرومان ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ٢٠٠٠ م ، ص ص ٢٤ – ٢٦ .

فى عهد بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) ، بعد حوالى (٤٠) عاماً فى قبره فى عاصمة مصر الأولى [٢٤] . وهذا يؤكد على أهمية مصر الروحية فى قلب الأسكندر ، إن صدقت الروايات القديمة . وليس ذلك بمستحيل لما كان لمصر من دور رئيسى فى القيام بدور روحى عظيم ، فى النبوءة والاستشفاء من الأمراض وكذلك فى ميدان السحر [٢٥] .

أما فى العصر البطلمى ، فلم يحرص الملوك البطالمة ، خلفاء الاسكندر ، فى حكم مصر (٢٢٣-٣٠ ق.م) فلم يحرص ملوكها على التوسع الخارجى إلا بالقدر الذى يضمن لهم سيادتهم على البوابة الشمالية الشرقية ، وبصفة خاصة فى جوف سوريا (Koile Syria) ، التى - فى سبيلها - دخل البطالمة فى حروب طويلة مع آل سليوكس الطامعين فى ممتلكات مصر الخارجية [٢٦] .

---

(٢٤) ومايزال الخلاف قائماً إلى يومنا هذا ، بسبب عدم العثور على مقبرة الإسكندر ، وكانت المصادر القديمة قد تعارضت فى آرائها حول تلك القضية ، راجع (مثلاً) : .Diodorus XVIII-Strabo, XVII, 794 تم عرض المشكلة برمتها واحتمالاتها عندنا فى كتيب نشرناه - على عجل - عام ١٩٩١م بعنوان «قبر الاسكندر الأكبر : احتمالات موقعه وشكله «القاهرة (الناشر /المؤلف) .

(٢٥) سيد أحمد الناصرى «التأثير الرومانسى للحضارة المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط «وهو بحث ممتاز ، ليس له مثيله فى موضوعه ، باللغة العربية ونشر فى كتاب : مصر وعالم البحر المتوسط ، إعداد وتقديم د. رؤوف عباس ، القاهرة (الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، ص ص١٠-٣٨) .

(٢٦) إبراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، القاهرة ١٩٥٩م ، وبصفة خاصة الصفحات ١٢٦-١٥٧ ، حول «العلاقات بين مصر والدول العربية فى العصر الهيلينستى» ، وكذلك راجع بحثنا بعنوان «تاريخ الصراع بين المملكتين البطلمية والسيليوكية حتى عام ١٦٨/١٦٧ ق.م» ، راجع كتابنا : تاريخ مصر في عصرى البطالمة والرومان ، المرجع السابق ، ص ص ٤٥ - ٧٣ .

إنه من المؤكد أن مصر البطلمية ، طيلة حوالى ثلاثة قرون كاملة دفعت ثمناً غالياً للإبقاء على جوف سوريا تحت سيطرتها ، بكافة السبل ، فإذا لم تأت بالحرب استخدمت الدبلوماسية وحتى المصاهرة ، كما حدث فى عام ٢٥٢ ق.م [٢٧] .

ومما سبق يتضح بجلاء الحرص الزائد لكل ملوك بابل وآشور الأقوياء على ضم مصر إلى ممتلكاتهم الخارجية كلما كان ذلك ممكناً ، وعلى أقل تقدير ، الحفاظ بعلاقات قوية معها ، بينما ملوك مصر ؛ حتى فى أقوى فترات حكمهم فى العصر الإمبراطورى الجديد (القرن الخامس عشر ق.م) لم يعملوا على توسيع رقعة أملاكهم الخارجية إلى حدود مملكتى بابل وآشور واكتفوا بالبوابة الشمالية الشرقية على حدود مصر ، مهما كلفهم ذلك كثيراً ، وبالتالى كان المثلث الرهيب العراق - سوريا - مصر، هو كل طموحات حكام تلك البلاد عند قوتهم وسطوتهم ، وكانت كل منها مطمعاً للأعداء عند ضعفهم وفترات إنهيار ممالكهم القوية .

ولذلك كله ، فإن الإهتمام والمقدرة كانت دائماً تأتى من الشرق ، من بابل وتتردد أصداؤها فى ممفيس وتتلاقى المصالح ، ولكن الحكمة والسياسة الواقعية ، المحدودة الأطماع الخارجية كانت تجسدها السياسات المصرية عبر العصور ، سواء الفرعونية ، أو حتى تحت الاحتلال البطلمى .

ومع ذلك ، كان الضلع الثالث ، من مثلث القوة والثروة فى الشرق القديم ، وهو سوريا القديمة ، هو محل صراع الأقوياء فى المنطقة .. هاهو ، إذن ، درس التاريخ القديم وعبرة القرون والأزمان

---

(٢٧) إبراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ص ص١٢٢-١٣٣٢ .

الماضية ، **فهل من مستفيد** ؟ وهل آن الآوان لتجتمع الأضلاع الثلاثة من ذلك المثلث الخطير على أعداء أمتنا ؟ أنه تاريخ خالد لمكان ، تؤكده أحداث التاريخ عبر كل العصور ، وبالتالى فهو خالد أيضاً عبر الزمان ، وتلكم كانت هى عبرة الدرس التاريخى ، للأجيال اللاحقة ، علّها تكون مفيدة لهم ، كل فى موقعه ، حتى لاتتكرر مآسى الماضى ، ويزداد اليقين بالحاضر المشرق ، ونستبشر بالمستقبل الواعد لشرقنا المجيد .

العلاقات المصرية القبرصية القديمة

[دراسة تاريخية وأثرية]

أولاً : تمهيد :

(أ) لقد كانت قبرص (Kypros)[١]، قديماً (وتحديداً منذ النصف الثاني من الألف الثانية ق.م) وبسبب :

(١) موقعها القريب جداً من الساحل السورى القديم .

---

(١) كما يسميها اليونانيون اليوم ، وربما جاءت تسميتها هذه - طبقاً لأى النظريات - من أحد أسماء أو صفات الآلهة أفروديتى ، بأنها "Kypris" ، (أى المخلوقة من زبد البحر) ، وفق الأساطير اليونانية الكلاسيكية . راجع / أمين سلامة ، معجم الأعلام (فى الأساطير اليونانية والرومانية) ، دار الفكر العربى ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م ، ص ص٢٩-٣٠ ، وكذلك حول أشهر تحكيم في الأساطير ، ودور باريس فى تمييز أفروديتى عن كل من هيرا وأثينا، مما أوجب تدمير طروادة كلها (؟!!) راجع د. عبدالمعطى شعراوى ، أساطير إغريقية (أساطير الآلهة الصغرى) ، الجزء الثانى (الطبعة الأولى) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٥م ، ص ص٢٥١-٢٥٨ . وحول اشتقاق اسم قبرص ، قديماً وعلاقتها بلفظة (Alasia) ، فى النصوص الحيثية ، ولفظة الحالية) ، راجع :Kition ، التوراتية (إشارة إلي مدينة كيتيون : (Kittim)

a) Oberhummer, E., S.V. Kition (Pauly-Wissowa, Stuttgart 1921, Col. 535-545;

b) Hill, G., A. History of Cyprus, I, Cambridge 1949, pp. 96-97, 101.

c) Dupont-Sommer, A., Les Pheniciens a Chypre, (R.D.A.C., 1974), pp. 75-94.

d) Gjerstad, E., Thc Swedish Cyprus Expedition, Stockholm, IV (2), p. 439 ff.

(٢) ونشاط سكانها ، وميلهم للسلام والعيش فى وئام مع الجيران .

(٣) وتعدد ثرواتها الطبيعية .

(٤) وعدم وحدتها السياسية .

(٥) وطمع الجيران الأقوياء فيها : إذ هى أقرب المعابر والكبارى الطبيعية التى حملت مظاهر التأثيرات الحضارية الشرقية إلى أقرب محطاته الغربية فى الجزر اليونانية (فى البحر الإيجى) ثم إلى اليونان نفسها (Hellas) .

ولما كانت قبرص ، بموقعها الفريد فى أحضان المناطق الحدودية لأعتى إمبراطوريات الشرق القديم (الإمبراطورية المصرية والحيثية والبابلية) فقد جنى عليها ذلك كثيراً وجعلها مطمعاً لملوكها الأقوياء ، من ناحية ، كما جعلها - بسبب وقوعها على طريق التجارة القديمة فى شرق البحر المتوسط- ملجأ لكثير من محاولات القرصنة البحرية ، وربما مركزاً للعديد من عملياتها العدوانية على المنطقة بأسرها ، كما حدث فى مطلع القرن ١٢ ق.م، على يدى شعوب البحر (The Sea-peoples) ، من ناحية أخرى .

(ب) موجز تاريخي لحضارة الجزيرة حتي منتصف القرن ٦ ق.م :

ولعل فى استعراضنا لبعض المعلومات الأثرية الحديثة ، وكذلك فى الإشارة إلى بعض الآراء لعلماء التاريخ ، مايمكن أن يزيدنا فهماً للدور التاريخى والحضارى (كوسيط) لتلك الجزيرة اليونانية الصغيرة

حجماً ، ولكنها كبيرة فى أهميتها وتأثيرها فى تطور الأحداث فى المنطقة ، وبيان مؤشر إتجاه الريادة الحضارية فى تلك القرون الأخيرة من الألف الثانية ق.م ، وطيلة النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد .

(١) أمكن تأريخ أقدم آثار للإنسان الأول فى قبرص بالعصر الحجرى الحديث (Neolithic Period) ، أى منذ مطلع الألف السادسة ق.م [٢] .

(٢) يتضح من آثار منطقة خيروكيتيا (Khoirokoitia) – وهى أقدم مكان لتواجد الإنسان القبرصى على أرض جزيرته – مدى بساطة وفقر ذلك الإنسان ، إذ كان يصنع أدواته من الأحجاروالطين ، وشيد كوخه [الدائرى الشكل ، والذى لم يزد قطره عن ٩ أمتار][٣] على أساس سميك من الأحجار المتواجدة فى سفح التل أو فى مجرى الجداول والأنهار ، وكانت رمادية اللون .

(٣) عرف الإنسان القبرصى الأول عادة الدفن فى حفر (Fossa) ، أسفل أرضية كوخه ، وفى وضع القرفصاء ، المعروف أثرياً بالمصطلح (Synestalmene Stase) ، كما عرف عادة تقديم

---

(٢) وذلك وفق تأريخ الكربون (١٤) ، حيث يبدأ تقدير هذا العصر بحوالى عام ٥٦٥٠ ق.م ± ١٥٠ ، وراجع للمزيد كتاب الأثرى القبرصى العلامة فاسو كارايورغى ، ورأيه حول احتمال تطور تلك الحضارة البدائية على أرض قبرص نقلاً عن حضارة أقدم منها ، كانت مزدهرة على أرض الجزيرة نفسها ، ولكن علم الآثار لم يتوصل إليها حتى الآن (V. Karagiorgi, Archaia Kypros, Athena 1978, p. 13 ff.).

(٣) وكان ذلك قاصراً على زعيم القبيلة ، مثلاً ، بينما باقى الأكواخ أقل إتساعاً من ذلك بكثير ، راجع/كارايورغى ، المرجع السابق ، ص١٥ ، شكل (١) .

القرابين الجنائزية لموتاه ، مثل الآنية الحجرية، وأدوات الزينة ، كالعقود . وكذلك عرف القبرصى القديم استخدام الخشب والجلد والخيط والصوف (٤) .

(٤) ومن المحتمل أن يكون القبارصة الأوائل ، فى العصر النيوليثى ، قد عبدوا الأموات ، خوفاً من شرورهم وانتقام أرواحهم من الأحياء ، فقدموا لهم القرابين(٥) .

(٥) كان سكان خيروكيتيا – كما تؤكد المادة الأثرية المكتشفة فى الموقع نفسه – قوماً زراعيين ، يفلحون الأرض ، ويربون الماشية (ولاسيما الأغنام والماعز وكذلك الخنازير) ، ويصطادون الحيوانات البرية ، مثل الغزلان ، أما نساؤهم ، فكن – فى الغالب–

---

(4) Karagiorgi V., op. cit., p. 16, fig. 2-3.

(٥) يعتقد الأثرى القبرصى كارايورغى ، أن وجود أدوات الاستخدام اليومى ، فى مقابر أولئك ، وكذلك الكشف عن بعض نماذج للحلى والزينة ، يعنى (على حد قوله «كما هو واضح» ؟!) أنهم كانوا يعتقدون فى حياة مابعد الموت (المرجع نفسه السابق ، ص١٨) . وهذا الاستنتاج المنطقى ، ليس له مايبرره من أدلة أخرى مصاحبة ، كنصوص مثلاً ، حتى من العصور اللاحقة على ذلك ، فى عصر البرونز – حيث استمرت هذه العادات ، وكانت هناك كتابات مثلما كان الحال فى العصر الميكينى (١٦٠٠–١٢٠٠ ق.م) . ولكننا نرجح أن الأمر لم يعد أكثر من تكريم من الأحياء لموتاهم ، وإقرار لملكياتهم الذاتية لأدوات حياتهم الشخصية ، وخصوصية تلك الأشياء ، ومن ثم دفنها معهم . راجع كتابنا [عن سلوكيات إجتماعية ونشاطات تعبدية وجنائزية عند الرومان الأقدمين ، فى عصر البرونز] حضارة الرومان ، دار عين ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ص٤٤–٤٦ .

ينتظرن داخل تلك الأكواخ (٦) ، ويقمن بصناعة الأوانى الفخارية أو الحجرية ، أو حتى من الخشب ، كما أنهن كن يغزلن أردية الرجال والأطفال من الصوف ، وذلك فى ضوء العثور على العديد من الإبر العظمية داخل كهوفهم .

(٦) كانت هذه التجمعات البسيطة المعدودة فى قبرص ، [والتى وصل عددها إلى حوالى (١٣) موقعاً ، وتؤرخ جميعها بالعصر الحجرى الحديث (النيوليثى)] تستورد حجر الأوبسيديان ، من آسيا الصغرى ، على أحسن تقدير ، وذلك لأن طبقات الأرض فى قبرص ، لاتحتوى جيولوجياً ، على هذه النوعية من الأحجار (٧) .

ولكن أهم مايلاحظ على آثار تلك الأكواخ هو الكشف عن كم كبير من التماثيل الصغيرة الحجم ، لأشكال أدمية ، فى الغالب نسائية ، وتتراوح أطوالها (إرتفاعاتها) مابين ١٠–٢٠سم ، ولاتهتم كثيراً بتفاصيل الوجه (٨) . ومع ذلك ، تم العثور على تمثال واحد من الطين المحروق (الفخار) – وتحديداً على رأسه ورقبته فقط – قد أعطانا تفاصيل كثيرة للوجه : فالعينين صغيرتان ، والفم صغير ، والأنف

---

(٦) يذكر كارايورغى أن عدد تلك الأكواخ ، فى هذه المنطقة ، كأقدم تجمع سكانى بشرى قبرصى على أرض الجزيرة ، ربما كان قد وصل إلى مائة كوخ ، راجع/المرجع السابق نفسه ، ص١٨.

(٧) المرجع نفسه ، (op. cit., pp. 14,19) حيث تجد جدولاً بتلك الأماكن وتأريخها .

(٨) وهو الشئ نفسه الذى نلاحظه ، بوضوح تام ، فى تماثيل العصر النيوليثى اليونانى الأقدم ، فى سيسكلو وذمينى ، برقليم ثساليا ، وهى أشكال تماثيل الـ "Steatopygous" – كما سماها الأثريون – أى الممتلئة الأرداف ، دون اهتمام يذكر بتفاصيل الوجه والرأس ككل ، وذلك تعبيراً عن الخصوبة . راجع كتابنا ، تاريخ وحضارة اليونان والرومان ، القاهرة ٢٠٠٠ م ، (موضوعات مختارة) ، ص ص٢٢–٢٤ .

قصير ، والوجنتان ممتلئتان [٩] .

ولنا أخيراً كلمة أو هى ، بالأحرى ، استفسار عن وظيفة تلك التماثيل ، وعما إذا كانت (كما يعتقد العلماء ، مثل غيرها فى حضارات أخرى مجاورة ، عند الرومان مثلاً – كما ذكرنا من قبل) – تمثل الألهة – الأم (Thea - Meter) ، ربة الخصوبة ، أم ماذا كانت تعنى عند أولئك القبارصة الأوائل ؟!!!

يقول فاسو كارا يورغى ، بصراحة تامة ، مجيباً عن هذا السؤال: **«إنه ليس سهلاً أن نقول – بتأكيد – ماذا كان استخدام هذه التماثيل ، ولكنه ربما كانت تستخدم فى عملية إقامة الطقوس الدينية»** [١٠] .

كما تم الكشف عن آنية ، ذات أنماط كنعانية ، فى مقابر ومساكن قبرصية ، وبالتحديد فى مناطق «إنكومى» (Enkomi) [أنظر خريطة قبرص القديمة] ، وكذلك «كيتيون» (Kition) ، فى شرق قبرص [١١] . وتؤرخ هذه الآنية الكنعانية بالفترة المبكرة من العصر

(9) Karagiorgi, V. op. cit., p. 19, fig. 8.

(10) Ibid., P. 19.

وإن كان العالم القبرصى لم يوضح كيفية عمل ذلك أثناء إقامة تلك الشعائر الدينية (؟!!) . ولعل فى الكشف عن قطعة حجرية تمثل شكل عضو الإخصاب عند الذكر (Phallos) ، في منطقة «أغيو – إبكتيتو – فريسى» A)، بالقرب من الساحل الشمالى القبرصى ، مما يؤكد مايرجحه معظم العلماء الأثريين قياساً بالتماثيل المشابهة ، فى الفترة التاريخية نفسها تقريباً (العصر النيوليثى) ، سواء فى اليونان أو عند الرومان ، من بعد ذلك في عصر البرونز. أى أننا نميل إلى ترجيح اعتبار تلك التماثيل إلهات للخصوبة (Fertility) .

(11) Dikaios, P., "The statue of a horned god from Enkomi", Archaeologischer Anzeiger (1962), p. 35. & Idem. B.C.H., 88 (1964), p. 355 & Karageorghis, V., "An Early XI century Tomb from Palaipaphos", R.D.A.C., 1967, p. 24.

الجيومترى القبرصى (أى حوالى القرنين ١٢ و١١ ق.م ، مما يؤكد على نقل بضائع من فلسطين القديمة إلى تلك الجزيرة ، التى كانت ، فى واقع الأمر ، المعبر الأول للتأثيرات الشرقية ، لحضارات العالم القديم فى المنطقة (فى مصر والعراق وسوريا) على بقية أنحاء اليونان كله ، سواء فى الجزر أو فى البلد الأم .

وفى دراسة أكثر شمولاً لعلاقة قبرص بالساحل السورى – الفلسطينى القديم ، قام الأثرى اليونانى بيريذو (Pieridou) [١٢] ، بإستعراض كل أنواع الآنية الفخارية التى تم العثور عليها فى قبرص ، وكانت من أصل شرقى/آسيوى ، ولكنه لم يتعرض لعلاقة قبرص مع مصر القديمة .

وتذكر الدراسة السابقة الذكر أن العنصر اليونانى (وفق التراث اليونانى الأسطورى كما صوره شعراء العصر الكلاسيكى أمثال أيسخولوس ، وكذلك بنداروس) جاء إلى قبرص وأقام على أرضها ، مباشرة بعد الحرب الطروادية ، مطلع القرن الثانى عشر ق.م تقريباً كما جرت العادة على تأريخ تلك الحرب ، وذلك عقب وصول البطل تيوكروس ورفاقه إلى الجزيرة .

والجدير بالذكر أن ذاك التراث لاينسى أبداً علاقة قبرص الأبدية بالساحل الفينيقى ، فيجعل تيوكروس يفر لاجئاً إلى صيدا ، بعد نفيه من الجزيرة ، ويعود إلى سلاميس (فى قبرص) بمساعدة الملك الفينيقى

---

(12) Pieridou, A.g., "Archaiologikai endeixes peri ton Skheseon tes Kyprou meta ton Anatolikon khoron." R.D.A.C., (1980) pp. 137-140.

بيلوس (Belos) ، والذى كان ، قبل ذلك فى وقت ما (؟!!) محتلاً لقبرص وغازياً لها .

وهكذا ، فإن الاكتشافات الأثرية الأخيرة ، السابقة الذكر آنفاً ، قد أكدت صدق التراث فى بعض تفاصيله ، كالعادة ، ولاسيما بعد الكشف عن آنية قبرصية ، أيضاً ، تؤرخ بمنتصف القرن الـ١١ وأوائل القرن (١٠) ق.م ، فى أماكن متعددة من الساحل الفينيقى ، وبأشكال عدية[١٣] .

ومن هنا ، ندرك كيف كان الإتصال بين الشرق القديم ، متمثلاً فى بلدان الجوار الجغرافى الطبيعى الأقرب ، مثل مدن الساحل السورى- الفلسطينى القديم ، والمدن القبرصية ، وبخاصة تلك الواقعة إلى شرق الجزيرة ، أو جنوبها الشرقى ، حيث سهولة الإتصال بالجيران، ذوى الحضارة الأعرق والأقدم ، وأصحاب المصلحة المباشرة فى التبادل التجارى ، كأول هدف لكل عمليات التبادل والزيارات القديمة بين كل سكان المنطقة عموماً .

وتدخل قبرص العصر الجيومترى ، وتبدأ فى الإزدهار مع زيادة تأثير الحضارة اليونانية عليها ، مما جعلها تتجه إلى اليونان والجزر اليونانية كمراكز حضارية جديدة نامية ، وجدت فيها ضالتها وهويتها الجديدة ، بل وسوقاً تجارياً رائجة لتصريف منتجات الشرق ، للأذواق

---

(13) Ibid., p. 140.

وحول أسطورة وصول تيوكروس إلى قبرص ، راجع العلامة السويدى آينرجرستاد (E. Gjerstad) :

"The Colonization of Cyprus in Greek Legend", Opuscula Archaeologia, III, pp. 07-123.

الغـربيـة ، المشـوقـة لتلك الأدوات والأصناف، سـواء مـاكـان منهـا للإستخدام فى الحياة اليومية ، أو فى تلبية رغبة عقائدية أو نزعة إيمانية لآلهة الشرق الغامض (؟!!) .

ولقد كانت جزيرة ساموس (Samos) ، فى القرن (٨) ق.م ، وكذلك جزيرة رودوس (Rhodos) ، فى القرن (٧) من بعد ذلك ، مسرحاً لنشاط القبارصة التجارى حيث نقلوا إليهما منتجاتهم جنباً إلى جنب مع بضائع الشرق القديم ، المطلوبة للسوق اليونانية ، وبصفة خاصة المنتجات الفنية الصغيرة (التماثيل والتمائم) ، والتوابل والمنسوجات .

إن الدليل الأثرى الغزير ، الذى تم الكشف عنه فى كل من ساموس ورودوس ، ليشهد بما لايدع مجالاً للشك فى بدور التاجر والفنان القبرصى فى نقل تراث الشرق القديم إلى المراكز الحضارية اليونانية الشهيرة آنذاك ، وهى نفسها التى مهدت للنهضة الكلاسيكية اليونانية من بعد ذلك .

إنه وبشهادة الدليل الأثرى اليقينى - الذى لايكذب ولايتجمل - قد تم العثور على عدة مئات من التماثيل الصغيرة (المصرية الأصل خاصةً ، والشرقية عامةً) ، وكذلك آلاف الجعارين والتمائم الأخرى ، التى وجدت داخل المعابد اليونانية الأقدم ، مثل معبد الربة هيرا فى ساموس (Heraion) ، ومعبد الربة أثينا فى لندوس (Lindos) بجزيرة رودوس [(١٣/أ)] .

(١٣/أ) لقد كان هذا الموضوع ، أى القطع التشكيلية المصرية والمتمصرة المكتشفة فى اليونان ، والمؤرخة بالفترة من ٩٤٥ حتى ٥٢٥ ق.م ، مادة لنيل درجة الدكتوراة من أثينا عام ١٩٨٠م . وتم نشر الرسالة ، باليونانية الحديثة =

هنا يظهر السؤال ، فيما يخص مصر القديمة : وكيف كانت علاقة قبرص بأرض النيل فى تلك الفترة [النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد] ؟ وهل كانت علاقة مباشرة أم كان لها وسطاء ؟

ولكى تتضح الإجابة عن هذا السؤال تحديداً ، وجدنا من المفيد أن نستعرض ، ولو بإيجاز شديد ، المرحلة السابقة عليه مباشرة ، أى إبان العصر الميكينى (فى الثلث الأخير من الألف الثانية ق.م) ، حتى تزداد يقيناً عند عرضها للفترة الثاينة أو المرحلة الثانية ، من العلاقات بين مصر القديمة وقبرص ، كما سميناها آنفاً .

مراحل الإتصال بين مصر وقبرص القديمة

المرحلة الأولى (إبان العصر الميكينى) (١٤) :

لقد سجلت لنا الآثار القديمة العديدة ، والتى تؤرخ بالفترة هذه ، أقدم مرحلة من مراحل الاتصال بين مصر القديمة وقبرص ، حيث أكدت لنا تلك الآثار (وبخاصة التماثيل) – وبرغم صمتها الخالد – على عظم التأثير المصرى على أنماطها وموضوعاتها ، وأيضاً ، على المادة المصنوعة منها تلك التماثيل .

= عام ١٩٨٢م فى أثينا ، راجع للمزيد .

El Saadani. M., Helleno - aigyptiakai Skheseis, Athenai 1982.

(١٤) راجع كتابنا المنشور حديثاً ، عن طبعة الرياض ١٩٩٧م ، فى سلسلة قراءات فى التاريخ القديم (٢) ، بعنوان : تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية أثرية) ، القاهرة ١٩٩٩/٢٠٠٠م، ص ص٨٨-١٢١ .

فمنذ النصف الثانى للألف الثانية قبل الميلاد ، نجد قبرص قد اتصلت بمصر ، سواء بطريق مباشر (دون وسطاء) أو عن طريق غير مباشر من خلال الفينيقيين . وكان هذا الاتصال الأول ذا صبغة فنية ، تفيض ذوقاً جميلاً ، وإحساساً رقيقاً ، وإخراجاً بسيطاً ، تميز به الفنان القبرصى ، عند تناوله وتقليده :

(أ) للموضوعات المصرية (Thémata) .

(ب) وللأنماط المصرية (Typologiká) .

(جـ) ولمادة الصناعة نفسها (Faience) .

وهنا يرجح البعض أن القبارصة ، بالتعاون مع الفينيقيين ، كانوا قد أقاموا مصنعاً خاصاً لإنتاج الفيانس (بدلاً من استيراده من مصر) ، فى منطقة إنكومى ، حيث كان ذاك المكان قد تخصص ، من قبل ، فى صناعة الآنية المطلية بطبقة خزفية لامعة ، وهو الإنتاج المعروف بإسم (Glazed Vases) [١٥] .

ومن الطريف أن السجلات المصرية ، وتحديداً حوليات الفرعون القوى الطموح ، تحوتموس الثالث (نابليون الشرق ، كما أسماه جيمز هنرى بريستد) قد ذكرت خوف وإضطراب ورعب الملوك القبارصة من إنجازات وفتوحات الفرعون المصرى فى شرق المتوسط ، حيث : **«سبقته إليهم أنباء انتصاراته ، فأخذوا يرتعدون خوفاً»** [١٦] .

---

(15) Cf. Boardman, J., "Cypriote Finger Rings", B.S.A., 65 (1970), pp. 5-15.

حيث يتم التعرف على ثلاثة أنماط لصناعة الأختام وزخرفتها ، ويحتل النمط المتمصر المركز الأول.

(16)Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 1907.

ولكن الدارس المدقق لتطور العلاقات المصرية – القبرصية القديمة يمكنه أن يدرك مدى الارتباط الشديد بين قوة مصر القديمة وإزدهارها كقوة يحسب لها حسابها في المنطقة ، وبين حرص ملوك القبارصة وأمراء مدنهم على إقامة نوع من الإتصال أو التحالف بينهم وبين فراعنة مصر آنذاك .. والعكس بالعكس ، إذ أن الدارس يلاحظ إنصراف القبارصة عن ذلك الارتباط إلى ماهو أكثر تحقيقاً لمصالحهم ، وضماناً لكياناتهم الصغيرة ، عندما تضعف مصر ، كقوة ضاربة في المنطقة .

ولذلك فهاهم ، مع آخرين يأتون إلى مصر حاملين الهدايا أو الجزية [كما يعتقد البعض الآخر : Tribute Bearers] ، ولم يفت ذلك الحدث الجلل على فرعون مصر الهمام ، تحوتموس الثالث ، فأمر نبلاءه بتسجيل صورهم وهداياهم ، في مقابرهم في البر الغربي للأقصر ، تخليداً أبدياً لقوة مصر وسلطانها الواسع حتى على أولئك «الذين يسكنون الأخضر العظيم» ، وهم المشار إليهم في نصوص تلك الفترة بإسم «الكفتي» (Kefti) [١٧] .

---

(١٧) يشكك هوكر (Hooker) في تحديد مكان شعب الـ "Keftiu" ، على أنهم من كريت ، مناقضاً بذلك تفسير Vercoutter ، ويقرر صراحة : "The matter cannot be considered as proved, since persons labelled "Keftiu" in Egyptian paintings often have an eastern as an Aegean appearance." (Hooker, J.E., Mycenaean Greece, London 1976, pp. 79-80) هذا فضلاً عن رسالة دكتوراة كاملة ، منذ عام ١٩٩٦م ، كنت قد أشرفت عليها في جامعة الزقازيق للباحث/محمد السيد عبدالحميد ، وتمت مناقشتها آنذاك ، وحملت عنواناً لها (العلاقات المصرية – اليونانية القديمة في الدولة الحديثة : دراسة في مشكلة الكفتيو) وقدمت هذه الدراسة الكثير من=

وإذا كان الحفائر ، فى مصر ، قد كشفت عن آنية قبرصية أصلية بكميات كبيرة، وتؤرخ بالفترة (L.H. III b.)، أى حوالى القرن ١٢ ق.م ، فإن الآنية القبرصية ومعها الميكينية قد عرفت طريقها أولاً ، أيقبل ذلك بقرن كامل تقريباً إلى الساحل السورى ، وبكميات أكبر (١٨) . وهذا أمر طبيعى بفضل الجوار الجغرافى الأقرب وتشابك المصالح المختلفة بين سكان المنطقة كلها .

وتجدر الإشارة ، هنا ، إلى أن عدداً من مقابر الأسرة الثامنة عشر – فى الدولة الحديثة – مثلما الحال فى مقابر سقارة وجوروب (Gurob) ، وحتى صعيد مصر ، قد حوى آنية ميكينية ، ولاسيما أنواع معينة ، بالطبع مفضلة لشاريها ومقتنيها ، وهى المعروفة باسم (١٩) (Stirrup Jars) ، وكذلك الـ "pilgrim flasks" (٢٠) .

ويؤكد «هوكر» (Hooker) على أن ظهور الفخار والمشغولات

= الدراسات الأحدث فى موضوعها ، فضلاً عن العديد من الإحصائيات للأشخاص والأمتعة (الهدايا) المحمولة بين أيديهم فى كل مقبرة على حده ، ثم دراسة تحليلية للنصوص المرفقة .

(18)Hooker, op. cit., p. 114.

(١٩) وهى المعروفة فى الآثار اليونانية الميكينية بإسم "Pseudostoma angeia" : أى الآنية ذات ا الفم الكاذب – فى المنتصف ، حيث ينزل السائل من الجنب فقط ، وليس من الرقبة الرئيسية للإناء فى منتصفه (راجع صور ونماذج هذه الآنية فى كتابنا : تاريخ حضارة اليونان ، القاهرة ١٩٩٩/٢٠٠٠م ، ص ص٢٧٣–٢٧٤ ، وبخاصة شكل رقم (٢٣) حيث تؤرخ هذه الآنية بالفترة الهيلادية المتأخرة III (١٤٠٠–١١٠٠ ق.م) .

(٢٠) وهى آنية الشراب (ماء/خمر) ، أو زمزمية الحجيج ، التى كثيراً مانراها بين أيدى حجاج هذا الزمان ، لصغر حجمها وخفة وزنها . (راجع/كتابنا السابق، والشكل نفسه) .

الميكينية ، فى تل العمارنة ، كان ظهوراً فجائياً وفريداً [٢١] (Sudden & unique) – على حد قوله – بينما كانت الإتصالات بين مصر واليونان القديم مستمرة ، ولكن ليست بدرجة الكثافة الواجبة ، مثلما كان الحال سابقاً مع كريت [٢٢] .

وعلى حين نجد تأثير الحضارة الشرقية (فى الساحل السورى – الفلسطينى القديم) قد تغلغل إلى اللغة والأدب [٢٣] فى التراث الميكينى اليونانى ، لانجد لمثل هذا التأثير شبيه له فى العلاقات المصرية – القبرصية القديمة ، حيث لايزيد الوجود الأثرى المصرى والمؤكد – حتى الآن – عن (١٠) عشر قطع فنية ، تتراوح مابين تماثيل وجعارين . وقد تم العثور عليها جميعاً فى مواقع إتصال العنصر الفينيقى بالسكان القبارصة . كما أنها تؤرخ بحوالى عام ١٢٠٠ ق.م ، مما يعكس علم القبارصة بقيمتها وفائدتها السائدة ٠ كما كانت فى مصر ، فى بلدها الأصلى .

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً ، مع تلك المادة الأثرية القليلة (من الفيانس والعاج) ، وبخاصة من كيتيون ،لنؤكد على بعض المضامين التاريخية الهامة ، التى يمكن أن نستنطقها من هذا الدليل الوثائقى

---

(21) Hooker, op. cit., p. 115.

(٢٢) راجع كتابنا السابق ، (تاريخ وحضارة اليونان) ، ص ص٨٣-٨٧ للتعرف على تأثير الحضارة المصرية على كريت (حجمه ومجالاته) ، وردنا على نظرية إيفانس حول أصل سكان كريت (المينويين) القدماء .

(23) (op. cit., pp. 117-119)

يذكر هوكر ، مثلاً أن هناك ، من المؤكد ، خمس مفردات ذات أصل شرقى (من أوغاريت) دخلت إلى التراث الميكينى ، وهى :

الصامت ، الذى لايكذب ولايتجمل – كما ذكرنا آنفاً .

أولاً : الموضوعات التى تصورها هذه المادة المصرية هى ذات صفة دينية مقدسة ، لتصويرها الجعران أو الإله «بس» . (Bes)

ثانياً : تم العثور عليها في معابد ،، وجاء تمثال «بس» «بالذات ، من داخل حجرة الكاهنة ، حيث يوجد كذلك قدس الأقداس . (adyton)

ثالثاً : هناك إضافات قبرصية (سواء فى اختيار شكل معين أو فى استخدام تلك القطع لوظائف جديدة) لهذه القطع المصرية الأصيلة :

(أ) حيث نجد شكل «بس» ، غير ماعهدناه ، لابساً ، وجاداً ، بل وفى حركة تأديب (!!) .

(ب) جاء تشكيله ، مستعرى الظهر ، وغير كامل النحت ، مما يعنى أنه كان يزين أثراً آخر يلتصق به .

رابعاً : تم استخدام قاعدة التمثال «بس» ، كلوحة تسجيلية لكتابات قبرصية – مينوية ، بالرغم من صغر حجمه [٢٤] .

ومما سبق يتضح لنا أن إختيارات القبارصة للقطع التشكيلية المصرية القديمة (فى القرن ١٣ ق.م) كانت تنم عن :

(أ) فهم تام للديانة المصرية القديمة ، ورموزها المقدسة ، وعمل خيارات من بينها، تحقيقاً لمصلحة محددة (؟!) .

---

(24)Karagiorgi, V., Archaia Kypros, p. 63, fig. 136.

وهو لايتعدى ارتفاعه ٢٢سم .

(ب) التقدير الكبير لتلك القطع ، المقدسة ، بفضل مكان الكشف عنها داخل المعابد ، مما يعنى إعلاء شأنها العقائدى ، على الأقل لدى مالكيها ، من رجال وسيدات الكهنوت آنذاك .

(جـ) كان الفينيقيون هم الوسطاء لنقل تلك الآثار المصرية من مصر الفرعونية إلى الأراضى القبرصية .

ومن الطريف أن نعرف أن جزيرة قبرص قامت ، فى تلك المرحلة الأولى من الاتصال مع مصر ، بتصدير المادة المخدرة «الأفيون» إلى بلاد النيل ، وذلك فى آنية صغيرة خاصة بذلك[٢٥] .

ويبقى أمر واحد لنا رأينا أن ندخره لآخر الحديث عن تلك المرحلة ، (وكنا قد سبق لنا الحديث عنه إجمالاً) ، وذلك نظراً لأهميته الشديدة ، وبفضل اليقين التام حول أصله وأصل الفنان الذى شكله . إنه الآنية المطلية اللامعة ، المعروفة بالمصطلح الأثرى : "Glazed Vases" .

ففى دراسة حديثة للعالم بلتنبورج (Peltenburg) ، فى منتصف السبعينيات[٢٦] ، يؤكد على مايلى :

(25) Ibid., p. 66.

	Mycenaean	Ugaritic	Significance
1	Ki - to	Ktn	tunic
2	Ku - mi - no	Kmn	cummin
3	Ku - pa - ro	Kpr	galingale
4	Ku - ru - so	hrs	gold
5	Sa - sa - ma	ssmn	sesame

(26)Excavations at kition, I (1974), pp. 137-139.

(١) جاءت أقدم محاولة قبرصية لتقليد الأشكال المصرية الأصلية ، من مادة الفيانس، وانتشر استخدام تلك الآنية فى القرن (١٣) ق.م.

(٢) نسبة الآنية المصرية الأصيلة إلى إجمالى هذا النوع ، المكتشف حتى الآن ، تمثل حوالى ٧٠٪ ، بينما انخفض هذا المعدل حتى وصل إى ٣٠٪ فى حفائر إنكومى ، فى القرن ١٢ ق.م .

(٣) جاء ريتون (Rhyton) – ذلك الإناء الجنائزى المخروطى الشكل – كيتيون ، الكبير الشبه ، فى زخارفه ، مع الأسلوب المصرى ، حتى جعل بلتنبورج يقول :

"A faience-worker who travelled from Egypt, perhaps to Byblos, was responsible."[٢٧] .

مما يزكى إحتمالاً قوياً بهجرة بعض الفنانين المصريين المهرة إلى خارج حدود مصر القديمة ، وإن كنا نحن – فربما يحق لنا كوطنيين وأصحاب هذا التراث – أقرب إلى فهم ظروف وملابسات المصرى القديم (سواء الفلاح أو المهنى الذى كان فى خدمة القصر الفرعونى ، فى المقام الأول) ، ومن ثم ، لانوافق نهائياً على مثل هذا الاحتمال السابق – كما رفضنا من قبل [٢٧/أ] ، فى مكان شبيه بذلك (وبخاصة حول صناعة الآنية المصرية المكتشفة فى كريت) ، أى إيفانز (Evans) حول أصل سكان تلك الجزيرة المينوية . بناءً على

---

(27) Ibid., p. 138.

(٢٧/أ) راجع كتابنا/تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٩٩/٢٠٠٠م ، ص ص٨٣–٨٧ .

الكثير من المتشابهات بين الحضارة المصرية القديمة ، الأسبق والأعظم، وبين بعض مظاهر حضارة كريت اللاحقة في منتصف القرن الـ١٥ ق.م .

وقبل أن نختم حديثنا عن تطور شكل ومضمون العلاقات المصرية – القبرصية القديمة ، نرى من المفيد أن نستشهد بوجهة نظر أحد أشهر علماء الآثار القبارصة ، وهو فاسوس كارايورغيس ، الذى أكد على التحول الحضارى ، على أرض الجزيرة ، بعد الغزو الآخى (الميكينى) حوالى منتصف القرن ١٣ ق.م وحتى آخر فوج من أفواج دخول العناصر اليونانية إلى قبرص نهاية القرن ١٢ ق.م (أى تقريباً فيما بين ١٢٣٠ وحتى ١١٠٠ ق.م) .

يقول كارايورغيس بهذا الخصوص ، مايلي :

«بينما كانت قبرص ، من قبل ، جزءاً لايتجزأ من الشرق الأدنى، وتحت التأثير المستمر لشعوبه المجاورة لها ، فإنها الآن (ويقصد القرن ١٢ ق.م) إتجهت بصورة مفاجئة نحو البحر الإيجى [٢٨]» .

إذن ، لقد جاء التحول فى قبرص ، من الشرق صوب الغرب – إبان نهاية القرن ١٢ ق.م – بسبب الغزو اليونانى (الميكينى) لها ، واتخاذها قاعدة لهجوم شعوب البحر [٢٩] : "The Sea-peoples" ،

(28)Karageorgi, V.. op. cit., p. 71.

(٢٩) حول ظروف وملابسات هجمات تلك الجماعات من القراصنة ، فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط ، على سواحل دولها ، وهزيمتهم النهائية على أيدى القوات المصرية ، وبخاصة أمام جيش مرينبتاح ، فرعون مصر الشاب ، راجع محمود السعدنى ، تاريخ وحضارة اليونان ، (المرجع السابق) ، ص ص١٣٠–١٣٤ .

على الشرق القديم ، آنذاك ، ومن ثم أسلمت قبرص قيادها الحضارى لليونان ، منذ ذاك التاريخ ، وبدأ التأثير الشرقى ينحسر ، رويداً رويداً ، مواكباً بذلك مرحلة إنهيار وضعف إدارى وسياسى فى المنطقة ، وبخاصة فى المملكة المصرية .

ومع ذلك ، كانت النصوص المصرية والسجلات الفرعونية هى أسبق أرشيفات العالم القديم ، التى رصدت لنا ، من قبرص وحدها (؟!!) أسماء ٨ مدن شهيرة بها ، عرفت منذ الربع الأول للقرن ١٢ ق.م ، وأشارت إليها لوحات مدينة هابو (Habu) ، كالتالى (أنظر خريطة قبرص القديمة) :

(١) مدينة سالامينا (Salamina) .

(٢) مدينة كيتيون (Kition) .

(٣) مدينة إذاليون (Idalion) .

(٤) مدينة ماريون (Marion) .

(٥) مدينة سولى (Soloi) .

(٦) مدينة أكاماس (Akamas) .

(٧) مدينة كيرينيا (Kyrenia) .

(٨) مدينة كوريون (Kourion) .

المرحلة الثانية :

فى حوالى عام ١٠٧٥ ق.م ، انتهى العصر المتأخر من عصر البرونز فى قبرص ، وذلك إما بسبب عوامل طبيعية أو غارة أو إعتداء

خارجي تعرضت له الجزيرة في تلك الفترة ، نتج عنها تدمير كافة المدن القبرصة عن آخرها ، وهجرها السكان ، حتى غدت البلاد أطلالاً خربة ، وقد أعيد بناء مدينتين اثنتين فقط هما : مدينة كيتيون (Ki-tion) ، وباليبافوس (Palaipaphos) .

ومع مطلع الألف الأولى قبل الميلاد ، كشفت قبرص عن تراثها الجديد اليوناني ، الممزوج ، بدرجة ما ، بحضارات الشرق القديم .

ومرت قبرص - في هدوء وسلام - بالفترة الجيومترية من تاريخها (١٠٥٠-٧٢٥ ق.م) ، وتخلل ذلك ظهور ممالك صغيرة ، أرستقراطية التركيب الاجتماعي ، وعلى رأسها ملوك ، يختارون من بين أفراد تلك الطبقة الأولى الثرية ، التي - كما يحدث عادةً في كل الأحيان وفي كل حضارات العالم القديم - مارست أدوارها السياسية ، وحققت نجاحاتها في المجد والشرف ، بفضل ثرائها [٣٠] . وعرفت قبرص، آنذاك ، نظام «المدن - الدول» (Poleis-Krate) ، المستقلة استقلالاً ذاتياً كاملاً ، واشتهرت من بينها مدن : كوريون ، وبافوس ، وسلامينا .

وإزدادت العلاقات التجارية بين القبارصة والشرق القديم ، مرة أخرى ، ولكن - في هذه المرحلة - بناءً على طلب واحتياجات الغرب اليوناني . وكان الاتصال بالبحر الإيجي وجزره وأسواقه أشد إنتظاماً وأكثر ربحاً للتجار القبارصة [٣١] ، وكذلك الفينيقيين .

---

(٣٠) وهكذا يصدق حديث هيسيود - من بعد ذلك بقليل (في القرن ٧ ق.م) ، حينما قال : «المجد والشرف يسيران خلف الثروة :

"Plouto d'arete kai kydos opedei : Hesiod, Works and Days, I : 315).

(31)Karageorgi, op. cit., p. 74.

ومنذ عام ٨٥٠ ق.م ، كان الفينيقيون قد استطاعوا تأسيس مستعمرتهم الأولى على أرض قبرص ، فى منطقة كيتيون . وقد شيدوا معبداً جديداً لهم لربتهم «عشتار» . وغدت كيتيون ، منذئذ مدينة تجارية هامة ، وسوقاً رئيسية للمنطقة كلها . وكان أهل صور (Tyros) ، هم الذين بادروا بإنشاء هذه المستعمرة ، فوق أراضى قبرص . ولقد استغل الفينيقيون ، بفضل نشاطهم وحسن إدارتهم واستفادتهم لموارد تلك الجزيرة ، وبخاصة النحاس والأخشاب ، اللازمة لصناعة السفن التجارية أو الحربية ، حتى **صارت قبرص ، فى القرن ٨ ق.م ، واحدة من أقوى كيانات العالم القديم البحرية فى شرق المتوسط** (٣٢) .

وإذا ما إنتقلنا إلى السيادة المصرية على قبرص ، فإنها لم تستمر طويلاً ، فلم تزد عن [٢٤] عاماً ، بدءاً من عام ٥٦٩ ق.م وحتى ٥٤٥ ق.م ، وذلك عندما احتلتها قوات الفرعون المصرى النابه أماسيس (Amasis) – أحمس الثانى – وتم ضمها إلى السيادة المصرية القوية ، آنذاك ، ولكن ذلك انقضى بإنقضاء الأسرة [٢٦] المصرية وضعف إدارتها وإرادتها السياسية أمام الأطماع الفارسية الأقوى فى المنطقة كلها ، فدخل الفرس قبرص فى عام ٤٥٤ ق.م ، ثم دخلوا مصر ، بعد ذلك بقليل فى عام ٥٢٥ ق.م .

---

(٣٢) انتشر الفينيقيون إلى داخل قبرص ، ووصلوا حتى وسط الجزيرة ، فى مدينة تاماسوس (Tamassos) . وكان قد تم الكشف عن نقش فينيقى بإسم "Phoinika" على إناء من المعدن ، عثر عليه على أرضية معبد عشتار فى كيتيون . ويبدو أن هذا المواطن الفينيقى كان قد جاء من وسط الجزيرة ، حتى يقدم قرباناً للآلهة الشرقية «عشتار» . وكانت كيتيون مشهورة بثرائها فى معدن النحاس ، وحرص الفينيقيون على الوصول إلى هذا الموضع والاستيلاء عليه .

وهنا أشعر بضرورة نقل كلمات عالم الآثار القبرصى ، (بالترجمة عن اليونانية الحديثة) واصفاً تلك السيادة المصرية على الجزيرة ، فيقول كارايورغيس :

«ظهرت قوة جديدة فى منطقة الشرق الأدنى ، وهى مصر ، بأسطولها القوى جداً ، وفى عام ٥٦٠ ق.م ، أصبح الملك أماسيس سيداً على قبرص ، منهياً السيادة الآشورية عليها ، والتى كانت فترة [استقلال] تمتع بها القبارصة ، وذلك لأن أسلوب إدارة المصريين كان مختلفاً عن مثيله الآشورى ، ولايترك أية فرصة للاستقلال : Kai ... den afenei perithoria yia anexartesia» [٣٣] .

ولكن التأثيرات الفنية المصرية ، على قبرص ، كانت أعمق بكثير من تلك الآثار السياسية السلبية ، ذات الأمد القصير – كما عرفنا– وهى التى نراها نحن واضحة تماماً فى المجالات الآتية :

أولاً : في العمارة :

تم الكشف عن مقبرة مبنية في سلاميس (Salamis) ، وبها زخرفة جدارية ، ذات ألوان عديدة ، وذلك فى الحجرة الداخلية الرئيسية للدفن . ويلاحظ أن الوحدة الزخرافية الشائعة هى زهرة اللوتس . وربما كانت هذه المقبرة ، على أحسن تقدير ، تخص الحاكم الإقليمى المصرى إبان السيادة المصرية على الجزيرة ، فى منتصف القرن ٦ ق.م .

---

(33) Karageorgi, op. cit., p. 92.

ثانياً : في النحت :

وهو المجال الأكبر تأثراً ، والأكثر نقلاً عن الفن المصرى القديم ، عبر عصوره كلها ، وفق اختيارات قبرصية خالصة . ويتضح هذا جلياً فى أمور عدة :

(أ) إختيار النحات القبرصى لموضوعات بعينها ، دون سواها .

(ب) تقليده لتكنيك محدد فى صناعة التماثيل ، نقلاً عن الفن المصرى الأقدم ، وليس فقط المعاصر له .

(جـ) إضافة بصمة قبرصية لازمة ، كذوق خاص للفنان القبرصى الواعى لغرضه وهدفه ، والفاهم لعمله .

ولكننا هنا نريد أن نلفت الانتباه إلى حقيقة تاريخية - هامة لبداية مشوار الفنان القبرصى فى نقل العناصر الفنية المصرية وتقليدها، حيث لم تبدأ ، فقط ، بفضل التواجد السياسى المصرى على أرض الجزيرة ، فى منتصف القرن [٦] ق.م ، بل قبل ذلك بمائة عام على الأقل ، أى حوالى منتصف القرن السابع [٧] ق.م ، بمبادرة قبرصية تامة ، وفق مصالحها هى ، وفى التوقيت ، الذى ناسبها هى .

ومع ذلك فسيظل هناك تأريخ فيصل ويمثل نقطة تحول جوهرية فى توجهات المنطقة وحركة تجارها ، فى الحوض الشرق للبحر المتوسط ، وهو عام ٦٦٤ ق.م ، حينما نجحت مصر فى إجلاء القوات الآشورية من مصر (سلماً ؟!!) وأسس أبسماتيك الأول الأسرة الـ٢٦ المصرية ، بمساعدة من المرتزقة اليونان : الكاريين (Kares) ، والأينيين (Iones) ومن ثم ، أصبح التوجه المصرى السياسى

والحضارى ، رسمياً ولأول مرة بمباركة الفرعون ، صوب الغرب ، حيث اليونان على اختلاف بلدان إقامتهم .

إذن ، هكذا – التقت المصلحة القبرصية ، فى التوقيت المناسب لها ، مع المصلحة المصرية (فى الاستعانة بالمرتزقة اليونان) ودخل القبارصة مصر – حوالى منتصف القرن [٧] ق.م – كتجار مع عشرات المئات أو الآلاف من التجار اليونانيين الآخرين الذى وفدوا طامعين فى المكاسب الكبيرة ، ومستغلين للظرف السياسى الجديد تماماً، (بمباركة فرعون البلاد الرسمية وموافقته على دخولهم مصر)[٣٤] ، ومن ثم كانت المحصلة الحضارية ، لمثل ذلك التبادل بين الحضارتين : المصرية واليونانية ، فنية كذلك .

ولما كنا قد سبق لنا – أثناء الحصول على درجة الدكتوراة فى أثينا عام ١٩٨٢/٨٠م – دراسة الفن التشكيلى القبرصى فى اليونان

(٣٤) أكد هيرودوت فى روايته (الكتاب الثانى ، فقرة ١٥٢) على أن أبسماتيك هو الذى أرسل فى طلبهم لمساعدته ، ولكن فى اقتضاب شديد . ولكن تفصيل ديودوروس كان أكبر (؟!!) ، راجع روايته أيضاً : الكتاب الأول ، فقرة ٦٧ : ٣ . وحول الموضوع كله إجمالاً وبقلم مصرى ، راجع/سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الثانى عشر (١٩٥٧) ، ص٣٩٨ ومابعدها وكذلك مقالنا : «العلاقات المصرية – اليونانية القديمة» ، ندوة (مصر وعالم البحر المتوسط) ، قسم التاريخ بجامعة القاهرة ١٩٨٦م . وفى أحدث دراسة حول موقف هيرودوت العام من الحضارة المصرية ، وأوافقه الرأى ، جاءت عند روبين سويربى (R. Sowery) .

The Greeks : an introduction to their culture, London and New York, 1995, p. 42: "He admires Egyptian achievements in medicine and philosophy, rightly regarding Egypt as the teacher of Greece."

ومدى تأثره بالفن المصرى[٣٥] ، فإننا هنا نقدم نموذجاً واحداً ، فقط ، لفن النحت والتشكيل القبرصى ، أيضاً، ولكن [في هذه المرة] من مصر .

والتمثال الفخار (Terracotta) – موضوع الدراسة والتعليق الآن (شكل ١ ، ٢) هو أحد مكتشفات فلندرزبترى القديمة من ناوكراتيس[٣٦] (Naukratis) القديمة ، أقدم موقع يونانى على أرض مصرر، منذ نهايات القرن٧ ق.م [٣٧] .

(35) El Saadani, M., Helleno - aigyptiakai Skheseis (Graeco-Egyptian Relations) : 945-525 B.C., Athenai 1982, pp. 114-116, 123-23- (Ky-pro-aigyptiazon) وهو ما أسميناه «بالنحت القبرصى – المتمصر .

(٣٦) الصور الأربعة لهذا التمثال الصغير ، لسيدة مصرية (؟) بأيدى قبرصى ، كما سنعرف ، جاءتنى فى صورة إهداء مجانى كريم من المتحف البريطانى . بلندن . ارتفاع التمثال – ٥ . ٢٨ سم ، وعرضه . عند الأكتاف ، حوالى ٣ . ١٤ سم . ومصنوع من الطين المحروق . وكانت الرأس بالرقبة وأعلى الكتف الأيمن مفصولة عن بقية الجسد ، وأعيد تثبيتها ، ويظهر الكسر واضحاً فى الصورة . التمثال ناقص ، عند الركبتين تقريباً ، والذراع اليمنى ممتدة إلى الجنب، بينما اليسرى ممسكة بطائر (؟) وملتصقة بالصدر . لا أثر لألوان على التمثال . الرأس تلبس غطاء ، على شاكله أغطية الرجال ، فى مصر القديمة ، وهو المنديل أو الـ "Wig" – بالمصطلح الأثرى المعروف . ويظهر عقد ذو حبات كبيرة ، يتدلى من رقبة السيدة ، ويتمركز ، عند منتصفه، حبة أكبر أو دلاية ، ربما كتقليد للأصول الحقيقية مثل الأحجار الكريمة ، يتضح ، كذلك ، تكنيك الصناعة بالقالب (mould) ، حيث الظهر مستوى تماما ، والأحجام صغيرة ، والتفاصيل غير دقيقة الملامح ، للمزيد راجع Higgins, Catalogue of Terracottas in the British Museum, Oxford 1954.

(٣٧) تم العثور عليه عام ١٩٦٢م ، فى أعماق مياه ساحل سلاميس ، على بعد حوالى ٣٠٠ متر ، أمام الميناء القديم للمدينة ، وكان معروضاً أساساً فى متحف قبرص ، فى نيقوسيا ، برقم Inv. No. 1963 LX 19/1 ولكنه نقل=

وبدراسة مقارنة بسيطة لهذا التمثال الصغير ، من نقراش المصرية ، مع أشباهه من قبرص نفسها ، وللفترة ذاتها ، يمكننا أن نصل إلى يقين بأن ما أمامنا هو تجسيد لفلاحة مصرية ، فى لحظة تقديم لقربان متواضع (طائر ؟) للمعبد اليونانى فى الموقع نفسه .

إن نظرة فاحصة، وهى لتمثال شبيه فى وقفته – وإن كان قد غير وضع الذراعين – وكذلك شبيه فى موضوعه (تقديم قربان ، وهو تمثال من مدينة سلاميس القبرصية الواقعة إلى أقصى الشمال الشرقى للجزيرة) ، هذا فضلاً عن الرأس التى أسفله ، من سلاميس كذلك ، وهى مجوفة وتغطى الرأس فيها قلنصوه ، ذات شكل فريد تتدلى منها أهداب قصيرة على الأذنين [٣٨] ، لتجعلنا نشعر بالفارق الكبير فى الإخراج الفنى النهائى لتمثالنا (من نقراش) ، وبخاصة فى الزى ، وغطاء الرأس . أما الملامح ، فربما كانت قسمات الوجه عندنا تتشابه ، فى غالبية تفاصيلها : استدارة الوجه ، وصغر ودقة الشفتين ، وسعة العينين ، مع الموروث القبرصى الواسع الانتشار، من سلاميس .

ولكن التأثير المصرى الواضح ، فى التشكيل القبرصى (على أرض مصر) جاء قوياً ولاشبهة فيه ، فى أشياء ثلاثة :

(١) غطاء الرأس (Wig) ، وبروز الأذنين خارجه .

= للعرض فى المتحف الإقليمى فى مدينة فاماجوستا ، منذ عام ١٩٦٥م ، وارتفاعه الكامل هو ٥٦ سم . راجع : Karageorghis. V. - Vermeule, C., Sculptures from salamis. II. Nicosia. Cyprus. 1966. pp. 32-34, No. 105-106, plates xx:1-4.

(٣٨) برجاء الإطلاع على رسالتنا للدكتوراة ، باليونانية الحديثة ، (ولها ملخص بالإنجليزية) لمعرفة حجم التأثير المصرى على النحت القبرصى – المتمصر ، خارج مصر ، وذلك فى El Saadani, M., op. cit., pp. 123-132 .

(٢) الزى الطويل (الجلابية ذات القطعة الواحدة) والأكمام الطويلة .

(٣) قبضة اليد ، بشكل تراثى مصرى أصيل ، كما فى تماثيل الرجال والنساء على السواء .

إننا – هنا – **أمام حالة إثبات صغيرة** ، إذ أن حالات الإثبات الأكبر حجماً ، والأكثرعدداً جائتنا من خارج مصر وبأيدى قبارصة ، أيضاً ، وذلك سعياً وراء الربح والطلب المتزايد على الأشكال المصرية ، لآلهة وغيرها ، بغرض الحماية والتبرك بها، وقد كانوا الوسيط الفنى الذى نقل لليونان بعض ملامح التكنيك المصرى فى النحت والتشكيل (وبخاصة فى الحجر) فكان الشكل الـ Kouros (الشاب الواقف ، ناظراً إلى الأمام ، ويديه إلى جنبيه ، ويقدم رجلاً على أخرى) اليونانى مديناً ببداياته الأولى ، منذ منتصف القرن [٧] ق.م ، للنحت المصرى .

وهكذا ، مالم تنجح فيه السياسة والهيمنة والسيادة على الأرض ، كان الفن أسبق ، لاعتبارات عديدة ، لغزو العقول والأسواق والضمائر .. وجاء هذا التمثال ، منذ أواخر القرن [٧] ق.م – أى قبل الغزو المصرى لقبرص وسيادة أماسيس عليها ، بما لايقل عن نصف قرن من الزمان – ليؤكد أن رسالة الفن (عند الضرورة والاحتياج) **تكون أقوى أثراً وأبقى زمناً ، بالرغم من أن العناصر اليونانية (عامة) كانت هى الأقرب إلى قلب وعقل فراعنة ذاك الزمان ، وكانت مصر هى الأحوج إليهم (!!!)** .

SUMMARY

M. I. ELSAADANI

"Graeco ñ Egyptian Relations in the Light of the Egyptian and Egyptianizing Plastic Figures Found on Greek Sites: 945-525 B.C."

(Ph. D. Dissertation submitted to the faculty of Philosophy)

Athens University

1980

This dissertation studies one of the most discussed and debated subjects of Archaic Greek Archaeology. Its theme can be considered as an answer to the following question: "Is there evidence for an Egyptian influence on archaic Greek sculpture? If there is, to what extent can this influence be traced ?"

The argument of my dissertation does not rely on references to ancient Egyptian works for comparisons, but unlike all previous studies, it compares the archaic greek statues chiefly with those of contemporary Egyptian origin dated to the 7th and 6th centuries B.C. The material for the comparisons is mainly derived from the catalogue of the plastic figures already found on greek sites.

It is worth noticing that this thesis, unlike those articles of, e.g., F.R. Grace (AJA, XLVI, 1942), E. Iversen (MDAIK, 15,1957), R. Anthes (PAPS, 107. 1, 1963), and K> Levin (AJA, 68,1964), discusses the Cypro ñ Egyptianizing style and its relations with Archaic Greek sculpture. An Approach which no one before has taken into consideration.

During the first millennium B.C., the Ionians were the first Greeks to create Kouroi (p. 140). Their frequent and increasing interconnections generally with the East and especially with Egyptian from about the middle of the 7th cent. (pp. 28-38) must be considered as one of the most important incitements for the creation of the monumental kouros nearly about the same period.

I had a supposition that the kouros type should have been known and imitated by Greek sculptors through the Cypro-Egyptianizing style. However my research led me to the opposite conclusion, viz. The Cypriote artists knew the kouros type from the earlier Archaic Greek Kouroi.

As for the Greek sculptors, there is no doubt that they have

seen and had an idea about the stiff stance of the Egyptian standing statues, either from the authentic Egyptian bronze of the Egyptian standing statues, either from the authentic Egyptian bronze statues found in Crete and Samos or from the Egyptianizing standing male and female figures found also in these islands and especially in Rhodes.

The small quantity of the Pre-600 B.C. Egyptian and Egyptianizing anthropomorphic plastic figures, which were found in Crete, did not influence the greek Daidalic works.

The only certain Egyptianizing element can be noticed in Early Archaic Greek sculpture is the wig of the Daidalic works (pp. 132-139). Even these did not copy any precise Egyptian prototype found on Greek sites or seen in Egypt itself. The Diadalic wigs are not a mere copy, but a mixture of different elements imitated willingly from various Egyptian headdresses or more correctly from Syrian variations of Egyptian prototypes (pp. 132-139). It is note worthy that even the remarkable "Etagenperucke" of the Daidalic heads is not derived from the hair styles of the Egyptian prototypes, which have already been found on Greek sites (pp. 133-139). The most clear Egyptianizing element in this phase of relationship between Greece and Egypt, i.e. Pre-600 B.C., is the technique of the sculpture of the Early Archaic Greek statues (p. 149). One of the most important findings of this thesis is that the forerunners of the Kouros type are not derived from the Egyptian and Egyptianizing plastic figures, which have been found on Greek sites and dated to Pre-600 B.C. That is because many characteristics of that type existed in the Greek Geometric and Early Archaic statues (p. 164). But one can say more definitely that monumental kouros type, especially its early technique, is derived from Egyptian Prototypes outside Greece, i.e. seen in Egypt itself, from the end of the 7th century B.C. (pp. 165, 187-188). The Greek sculptor imitated the Egyptian Saitic canon to a limited extent and in certain details, i.e. he chose what he needed, when these borrowings were practically helpful to him. In this way, he was a Creator and not a mere I m itator like his fellow-sculptor the Cypriote. That is because, while we notice many differences and few similarities between the Egyptian standing male figure and the Greek Kouros (pp. 158-166), there are very many similarities and very few differences between the Egyptian and Cypro-Egyptianizing standing male statues (pp. 123-131).

Apart from the thousands of Egyptian and Egyptianizing

scarabs found on Greek sites, there are 147 figures of Bes, 106 of Nefertum. 29 of Pateke in total 282 out of the 682 in my catalogue (pp.38-91, 101), i.e. about 40%. Egyptian deities. That knowledge goes back to the Minoan and Mycenaean ages (pp. 180-181, 183-184).

Generally speaking about this thesis, it deals with the following chapters: First I had to refer to the prevailed status in Egypt and in Greece separately 192.
Before studying the aspects of their interconnections to perceive the interior factors that affected the course and the quality of those relationships before and after 664 B.C. (pp. 21-28).

For reference to the Graeco-Egyptian relations from the earliest times to 525 B.C. see pages 29-37, i.e. the Second Chapter of Part one of the present thesis. In that chapter, a detailed study is made of the Graeco-Egyptian relationships during the Saitic period (664-525 B.C.). It was the new foreign policy of Psammetikhos I, that completely changed the direction of the Greek trading interests from the Syro-Phoinician coast towards Egypt.

In the Third Chapter is a "Catalogue of the Egyptian and Egyptianizing Plastic Figures Found on Greek Sites Dated to 945-525 B.C." (pp. 38-94). The material, which is being published for the first time is that from Inatos of Crete (pp. 39-43), from the private collection of N. Metaxa (p. 43), those from the Akropolis of Ialysos of Rhodes (pp. 81-83) and from Brauron (p. 90). On pages 91-94 are mentioned, for example, some Cypro-Egyptianizing Plastic figures found on Greek sites, and some others found in Cyprus itself. These examples are used as material for a comparative study, through which the important role of the Cypriotes in their imitation of many Egyptian sculptural elements is confirmed.

Part Two: " Study and Results" is divided into three chapters. In the First Chapter "Historical Review of the Evolution of the Graeco-Egyptian relations and of the preference for the Egyptian and Egyptianizing works by the ancient Greeks". I have discussed how these relations changed and noted the change of the quantity and genera of the finds from the Mycenaean age up to the Saitic period. The influx of the plastic Egyptian and Egyptianizing figures is recorded only from the beginning of the Saitic Dynasty onward. This reflects an intimate relationship and ever-increasing Greek knowledge of the Egyptian civilization.

According to our catalogue, the 13 Pre-Saitic plastic figures

cannot be considered as evidence of regular trade but only "Causal Imports" of some Greek merchants or adventurers (p. 109). The thousands of Egyptian and Egyptianizing scarabs and anthropomorphic plastic figures are dated only from the middle of the 7th cent. B.C. onwards, and most of them are found in Rhodes.

For all those reasons, and others (pp. 109-110) the authentic Egyptian bronze statues found in the Heraion of Samos must be Saitic, i.e. dated after 664 B.C. and not earlier.

In the Second Chapter " The Origin and Chronology of the Finds", (pp. 105-116), are studied the ancient factories of faience: 1- The most ancient, the Cypriote, (pp. 06-113), and there follows the criticism of R. Brownís theory about the origin of faience objects (pp. 111-113),2- The Eastern Greek (pp. 113-114), and 3- The Naukratite (p. 114). At the end of this chapter, the role of the Cypriote artist is discussed (pp. 114 ñ 116).

In the third Chapter "Typological Study". (pp. 117-166), are studied the essential problems of the present thesis. This chapter is divided into six (6) sections:

1- (pp. 117-122) : The types of the Egyptian Plastic figures contained in the present catalogue.
2,3- (pp. 123-131) : (pp.123-131): The Cypro-Egyptianizing style.
4- (pp. 132-139) : The Wig.
5- (pp. 139-166) : Comparative Study.
6- (pp. 166-180) : Other types.

In these sections it is confirmed that the Greek sculptor. in spite of borrowing some technical methods of sculpture from Egypt, he showed this genius and ability of creation depending chiefly on his own ancient artistic tradition. This ability of the Ancient Greek sculptor to create by combining selected foreign elements is also confirmed, not only in the kouros type, but also in other types, like those of the seated figures (pp. 166-169), of the lions (pp. 176-178),of the sphinxes (pp. 178-180), of the cats (pp. 180-182) and of the hawks of Horus (pp. 183-188).

The conclusions of my thesis are as follows:

1. There is no life-size or colossal, standing male or female, statue, either Egyptian or Egyptianizing, found on Greek sites, which can be dated to a period before 525 B.C. Consequently, the source of the very limited sculptural Egyptianizing elements, practiced by the Greek sculptors of the Archaic period

must be sought outside Greece, i.e. from statues found, not on Greek, but on Egyptian sides.
2. Egyptianizing life-size and colossal statues are found only on Cypriote Archaic sites. They represent well the Cypro-Egyptianizing style, which is famous for its many Egyptianizing sculptural elements.
3. The Archaic Greek Kouroi were the prototypes of the small faience Cypro-Egyptianizing kouroi, which are found on Archaic sites in Rhodes.
4. The only undoubted imitations by Greek sculptors especially during the first phase of the Graeco-Saitic relations (i.e. 664-615 B.C.) are represented by the inaccurate and intentional variations of the Egyptian hairstyle prototypes. But during the second phase of these relations (i.e. 615-525 B.C.) it is noticeable that the Greek sculptor had already abandoned his attempts to imitate the Eygptians hair styles. He began to create his own forms with new outlines and details as is confirmed by the hair styles of the kouroi.
5. The Greeks knew Egyptian divinities, like Taurt, Bastet, and Horus from at least, the Mycenaean age onwards. The greatest quantity of amulets and idols of these deities and others is dated to the Saitic age. The faience items of these figures clearly deteriorated in manufacture from about the end of the 7th and beginning of the 6th century up to 525 B.C.
6. The few Pre-Saitic Egyptian plastic figures found on scattered Greek sites,e.g. in Crete, Chios, and Eleusis, show that there were not essential (either direct) Graeco-Egyptian relations before the Saitic period. The most probable interpretation is that these finds can be considered as personal souvenirs indicating indirect contacts, via Phoenicia, between Greece and Egypt.
7. The unique discovery of the authentic Egyptian bronze statues in the Heraion of Samos must be considered as the first evidence of the direct Graeco-Saitic relations from about 656 B.C. onwards.
8. The sudden influx of the Egyptian and Egyptianizing faience plastic figures in Eastern Archaic Mediterranean sites is due to the great production of the faience factories of Naukratis in Egypt and of Rhodes from about the end of the 7th century B.C. onwards.
9. Rhodes was the central market for all foreign goods from the East from the beginning of the 7th century B.C. It was also, the centre of manufacture and distribution in all the

Greek world for the Egyptianizing small faience plastic figures from the end of that century onwards.
In spite of all these evidences for Graeco-Egyptian relations during the Saitic epoch (664-525 B.C.) ñ contemporaneous with the creation of the Archaic Greek monumental sculpture ñ theGreek
Sculptor,though he saw and knew some technical methods of sculptured from Egypt, imposed his own character and artistic taste on what he scuptured so amazingily that he can be worthily called a creator.

M.I. ELSAADANI

GYZE 41-44, Gyze

Athens T.T. 702

Tel. no. 6441556



تاريخ الحضارة المصرية القديمة

هذا الكتاب

(١) يستعرض تاريخ مصر القديمة بإيجاز شديد ، دونما الخوض فى تفاصيل أثرية أو مسميات مصرية وألقاب قديمة للملوك والآلهة .

(٢) يركز على الجانب الحضارى المصرى القديم لبعض الأسر التاريخية .

(٣) يبرز خصوصية الحضارة المصرية القديمة ، كما أنه يضيف ، ويعلق ، ويشرح بعض المظاهر القديمة فى ضوء التراث الخالد لمصرنا العزيزة حتى الآن ..

(٤) يُكمل الصورة التاريخية ، والحضارية لعلاقات مصر الخارجية ، شرقًا وغربًا ، لتوضيح درجة تأثير الثقل المصرى القديم على جيرانه .

(٥) يلقى مزيدًا من الضوء على النصوص البردية - ذات العلاقة - وإبراز مضامينها التاريخية والحضارية لمصرنا القديمة .

(٦) إنه كتاب للطالب العادى ، والقارئ المعتز بماضى الأجداد ، لأخذ العبرة ، وتحدى معوقات الحاضر ، واستشراف المستقبل دون تردد أو ترَّهات!!! وعالم (عولمة) الماديات !!!

فأرجو - لذلك كله - أن يسمح لى زملائى أن أدلو بدلوى فى حضارة بلدى ، التى يفاخر بها العالم ، كتراث إنسانى خالد ، يجب علينا نحن أن نعرفه، وأن ننقله لأبنائنا ، كأعز تراث - لايقدر بثمن - نباهى به حضارة تكنولوجيا اليوم [illegible] الطاغية ، وحيث يكفينا فخرًا أننا نحن الذين علمنا العالم القديم بد[illegible] الإنسانى ، والسلوكيات ، والأخلاق الحميدة فى الحق والعدل و[illegible] الجمال والأدب الخالد .. إنها شهادة أحد أشهر علمائهم : وشهد شاهد من أهلها، والحق ما قالت به الأعداء !!!



مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
The World of Words & Thoughts